منشورات



من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة (رقم ٢٢)



قرية بيت نبالا

تأليف

أحمد خليل كايد حسين

اشراف وتقديم

د. وليد مصطفى

منشورات



مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة (رقم ٢٢)

قرية بيت نبالا

تأليف

أحمد خليل كايد حسين

اشراف وتقديم

د. وليد مصطفى

تشرين الثاني /١٩٩٨

صدر عن مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

المراسلات : مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

ص . ب ١٤ بيرزيت

جامعة بيرزيت

فاكس : ٩٩٨٢٩٨٠ -٢-٩٧٢

تلفون : ٩٩٨٢٨٧٥-٢-٩٧٢

او

جامعة بيرزيت – مكتب الارتباط

ص . ب ٩٥٠٦٦٦

فاكس : ٨٢٧٢٠٢

عمان – الأردن

تدقيق لغــــوي : عمر مسلم

طباعــــــــة : اماني مصلح

مونتاج خرائط ووثائق وصور : عبد الرحيم المدور

صورة الغلاف : مدرسة القرية



تم طباعة هذة الدراسة بمساهمة كريمة من جمعية
بيت نبالا الخيرية - رام الله .

المحتويات

تقديم مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

في الوقت الذي يحيا فيه الشعب الفلسطيني الذكرى الخمسين للنكبة وترحيله قسرا عن أرضه ومدنه وقراه، وتدمير البنية التحتية لمجتمعه، وتعرضه لأبشع سياسة اقتلاع عرفها النصف الثاني من القرن العشرين حيث مورست وتمارس ضده أقصى أساليب التطهير العرقي، يصدر مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني الحلقة ٢٢ من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة بعنوان "قرية بيت نبالا المدمرة" تأليف احمد كايد الذي بر قريته، وجمع اشلاها ليعيد بناءها في كتابه، مستذكرا فيه مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، للحياة في القرية، ومتسلسلا في تاريخ قريته واصفا موقعها وسهولها وبيادرها ومعالمها، ومستذكرا احلام كبارها وصغارها وراويا قصة ترحيلها.

وتأتي اهمية دراسات كهذه، في ظل غياب الرواية الرسمية الفلسطينية والعربية لحرب عام ١٩٤٨، ومن هنا فان الرواية الشفوية لمن صنعوا التاريخ وعايشوا الاحداث تعد اصدق إنباء من الكثير من الكتب، ووسام شرف يزين به صدر كل من جمع ويجمع هذه الروايات ويوثقها عن أنباء الأمس من الأجداد والآباء، الذين ما زالوا يصارعون أملا بالعودة ليدفنوا فوق تلة رابية من قراها. ان كل يوم تشرق فيه الشمس ننعى واحدا منهم، وكل يوم تغرب فيه يفقد امل العودة عندهم، فيسكت لسانهم عن النطق وتموت الحقيقة معهم.

لقد سمع القاصي والداني الرواية الصهيونية المزورة، الا ان رواية المرأة والشيخ المناضل والمرابط الفلسطيني الذين اكتووا بنارين نار العدو الصهيوني

ونار التهجير التي كانت أصلى وأمر لم تسمع كما يجب بعد. لذا تأتي أهمية هــذه الدراسة التوثيقية من خلال المقابلات الشفوية، التي تفــضل رواتهــا مــشكورين بسردها للاستاذ احمد كايد الذي حررها ووثقها على لسان أصحابها فـــي دراســـته لتكون وثيقة تفيد الباحث وتحفظ التاريخ من الضياع.

ومن خلال الروايات التي جمعها موظفو مركز دراسة وتوثيــق المجتمــع الفلسطيني في جامعة بيرزيت حول تهجير سكان قرى قضاء الرملة واللد، تم تسجيل أبشع المجازر وأفظع أساليب التطهير العرقي. حتى أن أحد الرواة ممن رجع متسللا إلى الرملة بعد الرحيل قال "لقد شاهدت الدجاج في فناء أحد البيوت يأكل من جمجمة طفل استشهد امام بيته ولم يجد من يدفن جثته".

تشير هذه الدراسة إلى أن الكثير من أهالي قرى العباسية وكفر عانة وسلمة والخيرية وغيرها من قرى قضاء الرملة وقد وجدوا في قرية بيت نبالا ملاذا لهم بعد ان هجروا من قراهم. الا ان العدو الاسرائيلي الذي يريد الارض فارغة من الناس عندما لاحظ هذه التجمع السكاني الكبير قام في ١٩٤٨/٧/٣، والذي صادف اليــوم الأول من شهر رمضان المبارك بملاحقتهم بالطائرات التي قصفت بيت نبالا، تنفيذا لخطة(داني) التي تتطلب احتلال جميع قرى واراضي قضاء الرملة واللد وتفريــغ اهلها منها.

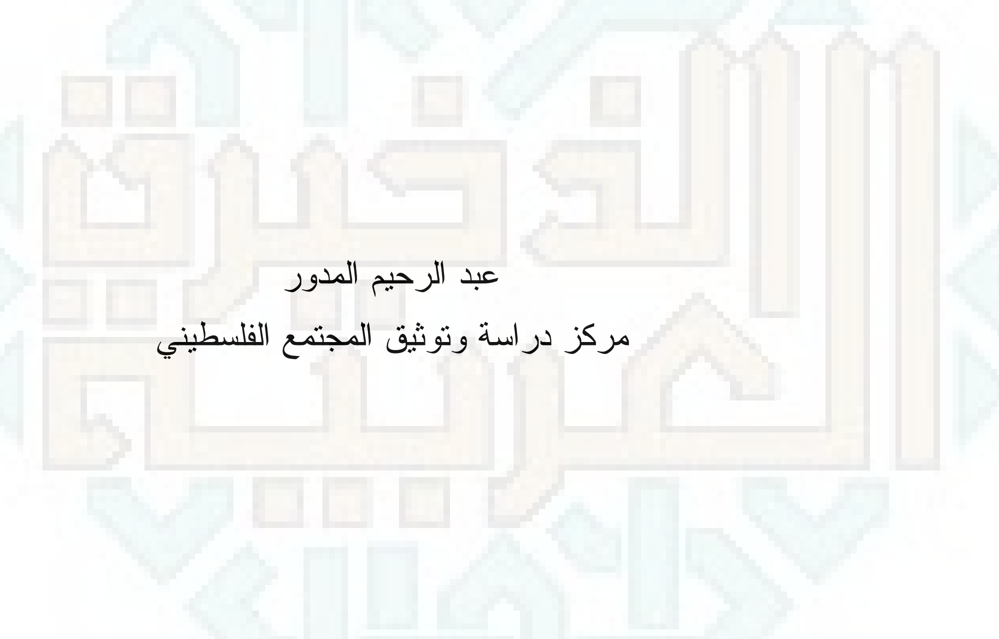
من جانب اخر ونحن نقف امام مرحلة سياسة جديدة يتقرر فيهــا مــستقبلنا الحضاري والثقافي، وحيث تتابع الدول البرية محاولاتها لطمس الهوية الــسياسية والحضارية للشعب الفلسطيني، فاننا بحاجة ماسة الى توثيق تاريخنا واعادة كتابته من جديد بأقلام فلسطينية تستوعب التاريخ والتراث وتدون التاريخ، وتوثق الرواية

الشفوية من ألسنة من عايش الاحداث وصنع التاريخ من ابناء الأمس لنقلها الى ابناء الغد.

وفي هذا الصدد لا زالت الحاجة برراينا ماسة لاستكمال مسيرة مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني في جامعة بيرزيت، الذي بدأ خطوته الاولى في توثيق القرى الفلسطينية المدمرة منذ عام ١٩٧٩ على ايدي الرواد الاوائل الـذين قـدموا الكثير من جهدهم وعقلهم لهذا المركز امثال د . كمال عبد الفتاح الذي وضع اسس البنية المعوماتية من خرائط القرى المدمرة ونواة أطلـس للمخيمـات الفلـسطينية وتوثيق المواقع الفلسطينية، وامثال د. شريف كنعانة الـذي نـشر ثـلاث عـشرة حلقة من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة، ود. صالح عبد الجـواد الـذي أخـرج ثماني حلقات جديدة من هذه السلسلة بالتعاون مع باحثي المركز ولكن بحلة جديـدة مميزة بحيث دمج التاريخ الشفوي بالتاريخ المكتوب، وغطت جوانب متميزة في حياة كل قرية بحيث تضاعف حجم المكتوب عن القرية وتعددت المواضيع المدروسة فيهـا واتبع اسلوب تحليل الأحداث وربطها بسياق ما كان يجري على سـاحة فلـسطين ككل .

وعليه فاننا نعتقد ان اكمال مسيرة المركز بمشروعه الريادي واجب وطني نأمل أن تتبناه المؤسسات الوطنية الفلسطينية الرسمية والشعبية، من خـلال تقـديم الدعم المادي والمعنوي لهذا المشروع . ومن هنا اوجه دعوة الى هذه المؤسـسات لدعم هذا المشروع حتى يتسنى للمركز استكمال مشواره الطويل، وبدون دعمكـم ومساندتكم قد يخفت ضوء شمعه اضاءات الطريق امام البحث في ثقافـة وتـراث شعب تم اقتلاعه من ارضه، وحل مكانه شعب اخر سرق التراث وهود الاسـماء وزيف التاريخ.

وأخيرا يهنئ المركز الاستاذ احمد كايد على هذا الجهد المميز الـــذي زرع الأمل من جديد وستثار الهمم وحرر وحافظ على جـــزء مـــن التـــاريخ والثقافـــة الفلسطينية. ويتقدم بالشكر للدكتور والباحث الفلسطيني وليد مصطفى على الجهـــد التطوعي الذي قام به من خلال اشرافه العلمي على هذه الدراسة واخراجها بالشكل الذي ترون، كما نوجه شكرنا للاستاذ عمر مسلم على قيامـــه بالتـــدقيق اللغـــوي والآنسة اماني مصلح التي طبعت أحرف هذا الكتاب . كما وأتقدم بالشكر الجزيـــل لاهالي قرية بيت نبالا الكرام المتواجدين على ارض الـــوطن فـــي الأردن علـــى حماسهم ازاء انجاز هذا الكتاب ودعمهم للمؤلف عبر تقديم الشهادات الغنية للرواة وقيامهم بتزويد المركز بالعديد من الوثائق والصور.



عبد الرحيم المدور

مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

تقديم المشرف

عرفت الصديق العزيز احمد كايد منذ بداية الستينات، عندما التحقنا معا بجامعة دمشق، هو في قسم التاريخ وانا في قسم الجغرافيا، ومنذ ذلك الوقت، تجمعنا وعدد من الطلبة الفلسطينيين خريجي جامعة دمشق علاقات وثيقة امتزج فيها الروحي الأكاديمي بالمهني. عرفته وهو يروي بكل حب، وأحيانا بتندر، التفاصيل عن الحياة في بيت نبالا واهلها، وقد كانت لهذه الاحاديث نكهه مميزة، خصوصا عندما كان يشارك فيها زميل دراسة اخر لنا، هو عبد العزيز قطيفان، ابن بيت نبالا . لم تكن بيت نبالا بالنسبة لأحمد مسقط رأس فقط او موقعا في سهل او بنايات، بل كانت بيت نبالا بالنسبة اليه مرتبطة دائما بأبطالها العاملين في الارض او الكسارة او الكامب وغيرها من مجالات الحياة. وكانت نوادرأهل القرية تشغل حيزا مناسبا للدور الذي كانت تلعبه في حياة اهل القرية، وقد كنت اتابع بغبطة شدشدة وباعجاب هذه الدقة في رواية التفاصيل، وهذا الحب الكبير الذي كان يغمر قلب شاب حرم من العيش والبقاء في قريته.

وتمر الايام وتتاح لي فرصة المشاركة في برنامج مركز توثيق ودراسة المجتمع الفلسطيني الكبير حول القرى المدمرة، فطرحت على الصديق د. صالح عبد الجواد، مدير المركز في حينه فكرة الكتابة عن قرية بيت نبالا . وفي احدى الزيارات الى عمان وبوجود صديقنا المشترك منذ ايام الدراسة في دمشق د. كمال عبد الفتاح، أحد مؤسسي برنامج القرى المدمرة المشار اليه، تم الاتفاق مع الاستاذ أحمد كايد للكتابة عن قريته. وكأنه كان بانتظار هذه الفرصة منذ زمن طويل، فوجدناه يشحذ الذاكرة والقلم ويتجول بين المعارف والأصدقاء يستعيد ذكريات

وصورة بيت نبالا . فكان هذا الكتاب الذي يصدر بالتزامن مع احياء اهل القريـــة لمرور خمسين عاما على رحيلهم الذي طال عن القرية، فقد حالت اسرائيل وتحول ومنذ البداية، دون عودة اي من اللاجئين الفلسطينيين تطبيقا لسياستها فـــي احـــلال شعب مكان الشعب الاخر واقامة دولتها على حساب الشعب الاخر وليس بجواره .

جاءت هجرة اهالي بيت نبالا عن قريتهم في ١٩٩٨/٧/١٣ ضمن الدفعـــة الثالثة من الهجرة الفلسطينية عن الوطن التي وصل عددها ما بين كانون الاول لعام ١٩٤٧ وتشرين الثاني لعام ١٩٤٨ الى اربع دفعات . وتلت الدفعة الثالثـــة قـــرار الحكوة الاسرائيلية الواضح والصادر في شهر حزيران ١٩٤٨ الـــرافض لعـــودة اللاجئين الفلسطينين، بالرغم من مطالبة الامم المتحدة، وقد ارتبطة هـــذه الهجـــرة بعملية اجلاء اهالي مدينة اللد والرملة بالقوة من قبل القوات العسكرية الاســـرائيلية والقيام بمذبحة الجامع في اللد (٢٥٠ شهيدا)، مع أن مدينتي اللد والرملـــة تقعـــان ضمن حدود الدولة الفلسطينية، وفق قرار التقسيم الـــذي وافقـــت عليـــه الحركـــة الصهيونية، والذي بموجبه تم الاعتراف بها في ما بعد في الامم المتحدة .

بمعنى اخر اصبح المخطط الاسرائيلي في هذه المرحلة اكثر وضوحا بعـــد الانجازات العسكرية المتحققة، وبدا الا حدود هناك للاطماع التوسعية، خـــصوصا بعد ردود الفعل العالمية السلبية او الميتة، على ما ارتكبـــوه فـــي حـــق الـــشعب الفلسطيني من عمليات طرد واحتلال للاراضي، وتهجير عشرات الآلاف من سكان المدن والقرى. فشهدت هذه الفترة وتاليا، تصعيدا عسكريا وتصميما على احـــتلال اكبر مساحة ممكنة من الاراضي الفلسطينية وتطهيرها عرقيا من السكان الفلسطينيين. وفي سبيل ذلك عملت السلطات العسكرية الاسرائيلية على :

١- ارتكاب مجموعة من المجازر في العديد من القرى ونشر الاخبار عنها بشكل واسع لبث الرعب في نفوس الاخرين، والتشجيع على الهجرة، في مسعى واضح لتفريغ المواقع السكانية من اهلها.

٢- في حالة عدم اخلاء السكان لمدنهم وقراهم كانت السلطات العسكرية تلجأ الى تهجيرهم بالقوة كما حدث مع أهالي اللد والرملة والمجدل والفالوجة وعراق المنشية وبدو النقب وبدو الشمال.

٣- قيام السلطات الاسرائيلية وبعد توقيع اتفاقيات وقف اطلاق النار النهائية ١٩٤٩/٤/٣، باخلاء المناطق الحدودية من السكان العرب اما بطردهم الى خارج الحدود او نقلهم الى مواقع اخرى وذلك بهدف تقليل نسبة العرب الذين ظلوا في الاراضي الفلسطينية المحتلة.

٤- قيام السلطات الاسرائيلية في بداية الخمسينيات، وبعد الاطمئنان الى ان ما ارتكبته بحق الشعب الفلسطيني من مجازر وطرد وتشريد قد مر دون عقاب، بتدمير ٤١٨ قرية فلسطينية وازالة اثارها عن وجه الارض، وذلك بهدف منع عودة اصحاب هذه القرى الى ديارهم والحيلولة دون تطبيق قرار الامم المتحدة ١٩٤ الذي ينص على تلك العودة.

نخلص الى القول بان هجرة وتهجير الفلسطينيين وتدمير قرابة ٨٢ % من القرى التي وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٤٨ والتي تعادل ٤٩% من عدد القرى الفلسطينية القائمة في فلسطين في تلك الفترة، لم تكن مصادفة ولا هي نتيجة عفوية للحرب العربية – الاسرائيلية. ذلك ان الحركة الصهيونية قد عملت وبشكل حثيث، خاصة بعد دخول الانتداب البريطاني وصدور قرار عصبة الامم باقامة الوطن القومي لليهودي، من اجل تحقيق هذا الهدف على كافة المستويات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية. ولقد جاء عام ١٩٤٧ وكان كل شيء جاهز تقريبا لاقامة

الدولة، بما في ذلك ضمان نتيجة اية معركة مستقبلية، لان التفوق العسكري الاسرائيلي على المقاتلين الفلسطينين والجيوش العربية كان مضمونا من حيث عدد المقاتلين وعدتهم .

بالمقابل وليس من قبل تحميل الضحية المسؤولية، ولكن بدافع دراسة التجربة المريرة للشعب الفلسطيني واستخلاص الدروس المفيدة، نقول ان الشعب الفلسطيني وبسبب مباشر من عجز قيادته الوطنية وعدم تحمل الانظمة العربية لمسؤولياتها المطلوبة، لم يكن يع حجم المؤامرة المحاكة ضده، لذلك لم يعمل بشكل جدي على تلافيها أو حتى التقليل من حجم المأسات التي ستصيبه. حتى القلة التي وعت حجم المؤامرة ودفعت باتجاه قبول الحل الوسط المطروح، قرار التقسيم، عوملت بجفاء وقسوة، لانها طالبت بأخذ موازين القوى بعين الاعتبار وحذرت من التمسك بالحق المطلق غير المدعوم بموازين القوى.

فبالرغم من ان تهجير وهجر الشعب الفلسطيني استمرت قرابة العام وعلى دفعات، وبالرغم من ان القوات العسكرية الاسرائيلية حالت طوال الوقت دون عودة المهجرين، الا ان الهجرة استمرت، واعتقدت الغالبية الساحقة من المهجرين ان رحيلهم عن ارضهم وبيوتهم وثمارهم لن يطول. لم تدرك الغالبية الساحقة ان هناك دولة قادمة لتحل محلهم وعلى ارضهم، وان غرباء سيستحلون بيوتهم ويستخدمون اثاثهم، والا لتصرفوا باسلوب مغاير، لم تكن اساليب التصدي والمواجهة الا بأكثر اشكالها بدائية، امام هيئة اركان للعدو وجيش متمرس في القتال، مر في مدرسة الحرب العالمية الثانية، وتزود بأحدث الاسلحة.

والسؤال الذي لم تتم معالجته بشكل ايجابي وجدي حتى الان، لماذا وكيف حدث ذلك؟ من يتحمل السؤولية عن تشريد شعب بأكمله، بالاضافة الى المعتدي والغاصب ومن دعمه ؟ وما هي الدروس المستوعبة من تجربة الماضي المريرة ؟ تثبت تجربة الشعوب والتاريخ ان مسؤولية كبرى في رفع شؤون شعب ما او الانحدار به الى حافة الالم، تقع على قيادات هذا الشعب. وتجربتنا الفلسطينية خير شاهد على ذلك . بل والمفزع ان هذا الشعب الذي تعرض الى اقصى وابشع جريمة تشريد واقتلاع في النصف الثاني للقرن العشرين، لا يتحدث عن حجم مأساته . هذا الصمت الرهيب من يوقظة ؟ وقصة المعاناة من يرويها ؟ لعله وبعد قيام اول سلطة وطنية فلسطينية، ستتاح امكانية الدولة وستكرس جهود العقل الجماعية لتسجيل حقيقة ما جرى، ومحاولة استخلاص الدروس والعبر.

اما فيما يتعلق بهذا الكتاب عن بيت نبالا، فمؤلفه بالاضافة الى كونه مربيا للاجيال عمل في حقل التربية والتعليم قرابة ٣٥ عاما، هو مؤلف للعديد من القصص القصيرة والاعمال الادبية الاخرى، مما ترك أثره على هذا العمل فجاء حديثه عن بيت نبالا مفعما بالعواطف وغنيا بالصور الحسية عن الحياة في القرية. فقد جال الكاتب واستمع بعناية وشفافية للرواة، وسجل ما قالوا، ونقل عنهم بشكل فني جميل الاحداث التي مرة بها بيت نبالا، من معانات على يد الانجليز اثناء ثورة ١٩٣٦، الى قسوة الحصول على لقمة العيش في معسكر بيت نبالا، الى قصص الرحيل، كما وروى برقة وشفافية ما جرى له وهو طفل صغير عندما أصيب بتشنج مؤقت في الوجه عرضه للكثير من التجارب المريرة التي كانت تحكمها قلة المعرفة.

وتحدث الكاتب بحرفية رفيعة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرية، عن الزراعة وتربية الماشية، وعن الاعراس والحج وعن المدرسة والحرف المتعددة وغيرها من النشاطات الحيوية لاهل القرية، وكأني بروايته قد اعادت الحياة من جديد الى شوارع وبيوت وحقول وكسارات بيت نبالا.

وجاء هذا العمل بالمحصلة ليفي قرية بيت نبالا حقها ويعبر عن الوفاء والعرفان لقرية استمرت فيها الحياة بشكل متواصل قرابة سبع قرون، تم بعدها اقتلاع اهلها ومحهوها عن وجه الارض على ايدي غزاة جدد . لكن تاريخ بيت نبالا، وكما هو تاريخ فلسطين ايضا يشيران الى ان اعادة سكان فلسطين، قراها ومدنها، كان يتم في كل مرة ولو بعد انقطاع القرون، والمهم الا ننسى.

بقي لي ان اشير في نهاية هذه المقدمة، الى اني وعند مراجعة مخطوطة احمد كايد عن بيت نبالا، اطلعت ايضا على مخطوطتين عن نفس القرية، وجدتا لدى مركز توثيق ودراسة المجتمع الفلسطيني، واحدة من تأليف الاستاذ سمارة الرنتيسي، والأخرى من تأليف الأستاذ صافي صافي كما اطلعت على كتاب بيت نبالا – دراسة في التاريخ والتراث من اعداد الاستاذ حسن قطيفان وموسى علوش. وقد ساعد الاطلاع عليها في استكمال الصورة عن القرية، مما كان له عظيم المساعدةلي في تحقيق ما اعتقدت انه الافضل في استكمال هذا العمل الهام

د . وليد مصطفى

المقدمة:

كانت طفولتي من ذلك النوع الذي يتعذر على الانسان أن ينساه، فكانت واضحة الليالي والاحداث، وكان اخر عهدي عند نقطة تحول غيرت مجرى حياتي عندما رحلت من قريتي بيت نبالا التي قضيت فيها صباي حين بلغت الثامنة في أول تموز عام ١٩٤٨، فقد ظلت قريتي عندي كفكرة بعيدة تلهب خيالي في الغفوة والحضور، وعاطفة مشتعلة تأتي على أسباب الغنى والجاه في ديار الغربة.

أذكر أنها كانت محاطة بالأودية الهادئة السحرية، والسهول الوادعة المنبسطة التي كانت تتموج في جنباتها رنات الناي والأرغول، وأغاني الرعاة وجامعات البقول وأقراص الجلة، وأهازيج الحصادين وقاطفي الزيتون.

لقد ظلت تلك الربوع في وجداني صلاة مجنحة ترفرف صباحا فوق عمر الأجيال كلما ذكرت رعاة العجال يقودون قطعانهم نحو المروج، وتتصاعد مساء عندما يعود الفلاحون من حقول الذرة والسمسم ومحاجر الكسارات مثقلين بغبار الخبر، ترتسم على وجوهمم راحة البال.

لقد كانت بيت نبالا مرتفع الأمان بين السهل والجبل، يلوذ بها مغاوير فلسطين كلما ضاقت بهم سبل الامان ومنافذ الحرية أمام زحف الغزاة الطامعين عبر التاريخ، فكانت قريتي تجلس على تلة وديعة عند أقدام الجبال جلوس شاعر يروي ملاحم التاريخ بين الأبدية و الأبدية، فظل اسمها عندي مثل كلمة علوية تهمسها الأرض في أذن السماء.

لقد زرت أطلالها عام ١٩٧٣، ولم أشاهد حجر بناء واحدا، حتى لا يـــروي للأجيال القادمة من أبنائها كلمة واحدة عن سر وجودها عبر التـــاريخ. وكطـــائر بجناح واحد درت حول نفسي بين كثبان الشيد والتراب الباقية من أثارها فتولدت في صدري كتلات من الضيم واللهفة، حتى اذا ما بلغت المقبرة توقفت فيهـــا مـــأمورا بذات أثيرية وأطرقت خاشعا مطبقا أجفاني ثم رحلت في غيبويـــة تـــشبه غيبوبـــة الأنبياء، فشعرت بكرامتي التي قتلت في بلاد الغربة قد انبعثت متزاحمة من قبـــور أجدادي حتى ملأت علي المكان بعزة النفس، وتمثل لي جامع القرية ومئذنتها التي تعانق الفضاء، وصوت مؤذنها الشيخ محي الدين يطوف بين الـــسفوح والأوديـــة فيرجع صداه كتهليل الملائكة، وغم خياشيمي دخان الطوابين الممزوج برائحة الخبز وشواء الطبيخ ينبعث من آنية الفخار المدفونة في ساساتها، رأيت النسوة شـــاكلات الثياب رائحات غاديات بجرار الماء على رؤوسهن، والصبية يتبارزون بقصب الذرة المطروح على الطرقات كي تحليه أقدام المارة الى "قصول".

رأيت الصبايا في موكب العروس بثياب مطرزة على هيئة عروق وأغصان مرسومة على ثنايا أجساد مدمجة فصيحة تجمع بين فتنة الأنثى وجبروت الرجال، رأيت الكهول على ساحة المطامير يموجون في السحجة منتشين كالسكارى يتقاذفهم أمواج الفرحة والحبور، والشيوخ يجلسون على مقاعد حجرية يتسامرون والأطفال يتراكضون بين ظهرانيهم، رأيت الأباء يحصدون القمح والأمهات يجمعن الاغمار.

ان بيت نبالا لمجالس في المضافات حول النراجيل في ليالي تغمرها هيبـــة العواصف ويجللها طهر المطر، وفتية يتسلقون أشجار الزيتون ويركـــضون مـــع السهول، وزغاريد نساء ترجع صداها جدران المغاور والكهـــوف، انهـــا حقيقـــة بسيطة عارية اذا ما نظرت في حوض ماء ما رأيت غير ملامحها المنبسطة، انها

فطرة في أسرار الحياة، وشوق يلامس اليقظة في أذيال الغيب، انهــا فــي نفــسي تنتصب كالبرج وتبتسم كالصباح.

بعد قليل داهمتني اليقظة اللعينة التي أفــسدة علــي غيبــوبتي الــسحرية، وعدت الى نفسي، فوجدتني أقف بين الهشيم الجاف النابت بين أطلال خربة خلفتها مخالب الغيلان، فانهمرت من عيني الدموع التي انداحت مالحة على زوايا فمــي، وتمنيت لو اتخذ من كهوفها معابد ادخلها بالروح بعيدا عن العيش في المخيمات التي أقامها لي العالم ملهاة كاذبة في ظل هذه المدينة السائرة على الدواليب.

ولكن عند حلول الكوارث فإن القلوب الجريحة تتسول العزاء من حولهــا، فوجدت العزاء في تلول الشيد والتراب بعد الدمار تتعالى بهيبة وجلال نحو ازرقاق السماء، ووجدته في حماسة قلوب أهلها وعزم سواعدهم الذين يتغلبون على محيطهم أينما حلوا ويجتذبون القلوب إليهم أينما وجدوا. هؤلاء الذين ولدو فــي الخيمــات وتربعوا فوق صروح العلم. فهم السرج التي لا تطفئها الرياح والملح الذي لا تفسده الدهور.

ان دمار قريتي في نظري. ليس مواتا لها. بل هو السبات العميــق الــذي يــسبق النهوض مع الصباح. وقد علمتنا دورة الحياة ان البذور الصغيرة التي تختبئ تحت أطباق الثلج في فصل الشتاء، ما هي إلا حياة كامنة في قمقمها، لا تلبث ان تغــدو أشجارا ساهمة نحو الفضاء اذا ما صافحتها حرارة الشمس. وما الخرب المحيطــة بقريتي، سوى الا شاهد على نهوض الحياة وسباتها بالتناوب عبر الــدهور. وقــد وعظتني نفسي ان لا أنظر الى ظلمة الليل، بل الى النجوم التي هي ما بعد الظلمة.

انی لأطلب المعذرة من ذكر بعض الألقاب التي يحاول أهلها الانسلاخ عنها في هذا العصر التياه، والتي أعتبرها بمثابة أوسمة على صدور أصحابها، تحفها من الخارج أطر من الشرف، وتضفي بوقعها نكهة طريفة على مجمل الحياة في القرية، ليس في بيت نبالا فحسب، بل وفي فلسطين جميعا، هذه الألقاب التي ترتفع شهرتها في سماء القرية اكثر من نداء أصحاب الجاه فيها، والتي لا تعرف القرية في كثير من الحالات إلا بذكرها.

كما وأرجو المعذرة لورود بعض النوادر. التي يعتبرها البعض سطحية وتافهة، ولكنني مضطر لسردها، لأنها تجعل كل ما في القرية من جماد وأحياء ينبض بالحياة، فعجائب الدنيا السبع لم تشكل عظمتها الا من ذرات الرمل والماء التافهة.

وأخيرا، فإني أضرع الى الله، ان لا ينشغل أبناء قريتي وأحفادهم عنها بالنظر الى بريق العز المغموس في ترياق الذل والهوان في ديار الغربة، بل امل ان يظلوا شاخصين بعيونهم نحو تراب جذورهم. فقد وعظتني نفسي، ان العمر يهون الا ساعة، وتهون الأرض الا موضعا.

وقد تغنى بسهول وربا تلك المواضع، ابن القرية، الشاعر الصامت : مصطفى حسن حمدالله النبالي، الذي غلف سعير شوقه المتأهج لتراب أجداده بالصبر والحيرة والمناجاة، التي لا بد أن تقود في النهاية الى فسيح الأمل الذي يعقب الظلام مهما طال الأمد، فيقول في بعض أبياته من قصيدته : نظرة الى بيت نبالا من ديوانه : أين الطريق ؟

"بيت نبالا" نبضة في خافقي — *توقظ الذكرى مساء وصباح*

شاقني السامر في ساحاتها — *وليالي صيفها الغر الوضاح*

والمضافات بأهلي تزدهي — *تمسح الهم بموزون المزاح*

وصباياها على البئر التقت — *تنشل الماء وتشدو بالصداح*

ايه يا "جنداس" هل من عودة ؟ — *فاملي الطرف من تلك البطاح*

وأرى "الجلجل" يزهو بالحيا — *و "اباحولة" يعلوه الاقاح*

وعلى "الوسطة" يشدو معزفي — *وبحضن "الميشر" يحلولي المراح*

أين اهلي ؟ أترانا نلتقي ؟ — *اخوتي قد شردوا في كل ناح*

نركب الموت لنفدي أرضنا — *إنما الموت طريق النجاح*

نكسر القيد الذي كبلنا — *قبل أن يورثنا منه الكساح*

ندرك الفجر وان طال الدجى — *كل ليل سوف يتلوه الصباح*

وفي الختام، لا يسعني الا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لكل من فتح لي منزله وذكرياته، وقدم لي كل ما في حوزته من معلومات ساهمت في رسم صورة قريتنا الجميلة، التي ستبقا ماثلة في الأذهان ما دامت الحياة تدب على الأرض. وأخص بالذكر منهم. حسن سكيية ومحمد ذيب عبد الكريم وهاشم السيد وحمودة شحادة وصالح عابد وآمنة العيشاوي، وأحمد الشنطي، وأحمد و محمد سليمان داود ومعاذ نخلة.

الؤلف

احمد كايد

١٩٩٨/٤/١



الفصل الأول

القسم الجغرافي



الفصل الأول

القسم الجغرافي

الموقع واهميته :

تقع قرية بيت نبالا وفق احداثيات فلسطين على تقاطع خطي ١٥٥ شمال مع ١٤٦ شرق والتي تطابق تقاطع خطي عــرض ٢٩ ٥٩ ٣١ وطــول ٢٦ ٥٧ ٣٤.
وبكلمات اخرى تقع القرية على مسافة لا تزيد عن ٧ كم هوائي شمال شرق مدينة اللد، وعلى بعد ١١ كم هوائي بنفس الاتجاه عن مدينة الرملة. ولكــن الموســوعة الفلسطينية تقول بانها تبعد عن اللد حوالي ١١ كم وعن الرملة ١٥ كــم. واذا مــا اخذنا بعين الاعتبار الفرق بين المسافة الهوائية والمسافة على الطريق الارضية فاننا نعتبر الفرق منطقيا او قريبا من المنطق. وقد كانت هــذه المــسافة بــين القريــة والمدينتين المذكورتين مألوفة جدا لدى اهل بيت نبالا، الذين كانوا يقطعونها يوميــا مشيا على الاقدام او على الدواب، او بواسطة العربات التي تجرها البغال، وذلك من اجل تسويق منتجاتهم الزراعية، او شراء ما يلزمهم، او لاجل الاستشفاء، او تجهيز العرائس وغيرها من الاحتياجات.

ومما يزيد من اهمية موقعها سهولة اتصالها بالمدن المجاورة كاللد والرملة، بطريق معبدة رئيسية تستمر نحو الشمال الى قولية وراس العــين باتجــاه قلقيليــة وطولكرم ثم حيفا. وترتبطها بالقرى المحيطة بها طرق عديدة معبدة او ترابية، كما ويرتبط خط سكة حديد رفح – حيفا بوصلة فرعيــة انــشأتها حكومــة الانتــداب البريطاني خصيصا لنقل الحصمة من كسارات القرية الى جميع انحــاء فلــسطين، ولنقل المواد اللازمة من والى المعسكر (كمب بيت نبالا) الذي اقامه الانجليز عــلى

الارض التابعة للقرية والمحاذية لطرفها الغربي، نظرا لاهمية موقعها على عتبة ممر طبيعي يؤدي الى جبال القدس ونابلس، هذا الممر الذي يقارب في اهميته معبر باب الواد الذي يربط القدس بمدينة يافا.

لقد نشأة القرية فوق رقعة منبسطة في الطرف الشرقي للسهل الساحلي الاوسط، وترتفع ٨٥ مترا عن سطح البحر، وتتحصر بين ذراعين وادي شاهين وهما الوادي الشامي من الشمال ووادي كريكعة من الجنوب، اللذين حدا من امتداد العمران والتوسع بهذين الاتجاهين مما جعل التوسع العمراني يمتد شرقا وغربا.

تحدها من الشرق اراضي قريتي قبية وبدرس، ومن الجنوب اراضي الحديثة وجنداس، والاخيرة اراضي وقف ومستغلة من قبل اهل القرية. اما من الشمال فتحد القرية اراضي طيرة دندن وقبية ودير طريف، ومن الغرب مدينة اللد ومطارها.

المساحة:

تبلغ مساحة اراضي بيت نبالا ١٥٠٥١ دونما[١] ، وجميعها ملك لاهلها العرب، فيما عدا ٤٦٨ دونما هي املاك عامة مخصصة للطرق والاودية. وتتميز اراضيها الزراعية بخصب تربتها التي تنتمي الى تربة البحر المتوسط الطفلية الحمراء (اللحقية) [٢] . يرفض اهالي القرية هذا التقدير لمساحة الارض جملة وتفصيلا، حيث قالوا إن مساحة سهل بيت نبالا وحده هي ١٥ الف دونم، اما مساحة الجبل والوعر فتصل الى عشرة آلاف دونم. وهذا موثق برأيهم عند كبار السن واعضاء المجلس القروي قبل الهجرة، كما تقول الرواية الشفوية ان لهم

اراضي واسعة من ضمن اراضي القرى المجاورة مثل رنتيس و بدرس وقبيـــة.[٣] وهذا في رأينا هو سبب الالتباس في تقدير مساحة اراضي القرية، ذلك ان المساحة المشار اليها اولا هي تلك المساحة المسجلة في دائرة الاراضي لحدود قرية بيــت نبالا وفق التقسيمات للاراضي التي جرت في دائـــرة المـــساحة الفلـــسطينية فـــي الثلاثينيات على يد الانتداب البريطاني. اما فيما يتعلق بالاراضي التي تعود ملكيتها لاهالي بيت نبالا في القرى المجاورة فقد دخلت ضمن حدود تلك القـــرى، مـــع ان ملكيتها نبالية.

جيولوجيا القرية [٤] :

يعود العمر الجيولوجي لجزء من الارضي المكشوفة التابعة للقريـــة الـــى الزمن الجيولوجي الثاني، وبالذات الـــى الكريتاســـي الاعلـــى، اي الـــى حقبتـــي السينومنيان والطورونيان. وقد بدأت حقبة السينومنيان كما هو معروف قبـــل ٩٣ مليون سنة تقريبا، والصخور التي تعود لهاتين الحقبتين مكونة بالاساس من الكلس والدولوميت والمارل، وقد تشكلت كما هو معروف في بحار عميقة ويصل عمـــق طبقاتها الى ٣٠٠ متر [٥]. وتتشكل هذه الصخور الجزء الـــشمالي والـــشرقي مـــن اراضي القرية.

اما الاراضي السهلية، فتعود الى الزمن الجيولوجي الرابع الذي بدأ قبل ١,٨ مليون سنة. ويتكون السهل من لحقيات حديثة، حملتها الاودية النهرية والسيول من جبال نابلس والقدس والقت بها في السهل الساحلي لتختلط مع ما جاءت به التيارات البحرية القادمة من الجنوب من رمال وطين وطمي النيل، اضافة الى الرمال التي نحتتها الامواج الشاطئية للبحر والقتها بمحاذات الشاطئ في ترسبات حديثة.

وهذه الالية والعملية مستمرة، الأمر الذي يجعل نسبة الكميات التي يفقــدها السهل الساحلي من ترسبات اقل كثيرا من تلك التي يكسبها والمضافة اليــه، ممـــا يعني توسيع السهل الساحلي على حساب المرتفعات الجبلية شرقا وعلـــى حـــساب البحر غربا. اما انواع الترب التي تكونت فوق ارض السهل بفعل هـــذه العمليـــة الترسبية فهي ترب طينية رملية، واخرى طفالية خفيفة، وهي في مجموعها تنتمي الى تربة تطلق عليها تسمية الحمرة التي تتـــصف بـــصلاحيتها للزراعـــة بـــسبب خصوبتها وتهويتها وحفظها للرطوبة. [٦] اما بخصوص انجراف التربة في السهل الساحلي فهو قليل نظرا لتواضع انحداره اذ تبلغ نسبة هذا الانحدار من الشرق الى الغرب اقل من نصف درجة. [٧]

التضاريس :

تقع قرية بيت نبالا على تلة ترتفع ٨٥ مترا عن سطح البحر كما اســلفنا، وهي محصورة بين واديين هما الوادي الشامي من الشمال ووادي "كريكعة" مـــن الجنوب. اما اراضي القرية فالجزء الاعظم منها يتبع للسهل والاخر للجبل، وتعتبر جميع اراضيها من الجهة الغربية من ضمن السهل الساحلي، وهي تمتد بطول ٣ كم من حدود مقبرة القرية الواقعة غربي القرية حتى اراضي مدينة اللد. وبعرض ١,٥ كم بين اراضي قريتي دير طريف من الشمال والحديثة من الجنوب. اما الاراضي المحيطة بالقرية من الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية فهي اراضـــي مرتفعـــة، تمتد من الشمال الى الجنوب على طول ٢ كم ومن الغرب الى الشرق بمسافة ١,٥ كم. ومن اهم الجبال المحيطة بالقرية الباطن الشامي (النقارة) وروس المغاســـل

وراس الاقرع وراس ابو يعقوب، وقد تنبسط بعض الاراضي بين هذه الجبال وتشكل مروجا شبه سهلية مرتفعة مثل مرج السد ومرج الحيلة.

من ذلك الوصف العام السريع يمكننا تخيل ورسم صورة لاشكال وسطح الارض هنا، فالمناطق السهلية تتكون من اراض منبسطة، تتراوح ارتفاعاتها عن مستوى سطح البحر بين ٤٥ – ٧٥ م. وهذه المناطق مقطعة بالاودية، وتزيد مستويات الارتفاع فيها كلما اتجهنا شرقا.

ومن هنا فان التلة التي اقيمة عليها بيت نبالا تشرف من الغرب على السهل الساحلي حتى البحر، ومن الشرق على السفوح الغربية لجبال القدس. وقد كان عمود ارسال محطة الاذاعة في رام الله يرى من سهول القرية بوضوح وبالعين المجردة خلال النهار.

تسمح طبيعة التركيبة الصخرية الكلسية بنشوء ما يسمى التضاريس الكارستية، حيث تتسرب المياه عبر الصخور الكلسية، وتذيب الاقل صلابة منها، مكونة الوديان النهرية الداخلية والتجاويف داخل الطبقات الصخرية (الكهوف)، التي يدعوها سكان بلادنا بالمغر او المغاير. وفي بيت نبالا العديد من المغر المتفاوتة في الحجم، فمنها الكبير ومنها الصغير ومنها العام ومنها ذات المكانة الدينية واهمها:

١- مغارة السلطان عبد القادر : وهي مغارة داخل غرفة تابعة لمسجد القرية الرئيسي ملاصقة له، وفيها مقام السلطان عبد القادر الجيلاني. كان كثير من نساء القرية يقمن باضاءة السراج داخل المغارة كوفاء لاداء النذر.

٢- مغارة سلام : تقع في الجهة الشمالية الشرقية من القرية، ويطل بابها على الوادي الشمالي من الجهة الجنوبية، وقد سمية بهذا الاسم نسبة الى سلام بن حرفوش الخزاعي، الذي سكنها مع اسرته عام ١٤٥٠ م بعد ان قدم الى القرية من الحجاز، اثر خلاف واقتتال مع بعض القبائل هناك. وهذه المغارة قريبة من بيت يوسف ابو عاقلية الذي كان يخزن فيها التبن حتى اصبحت من ضمن املاكه.

٣- مغارة البراغثية : تقع في الجهة الشرقية من القرية، وتبعد عنها حوالي ١,٢ كم على طريق بدرس، وهي تجويف طبيعي كبير في جبل مقابل لرأس الاقرع، ويفصل بينهما وادي كريكعة الذي تجري مياهه غزيرة ايام الشتاء محاذية للقرية من الجهة الجنوبية، والتي كثيرا ما كانت تقطع الاتصال ما بين القرية ونوادرة السطح والبيوت القليلة القائمة عليها. والمغارة مرتفعة السقف وتتسع لحوالي ٣٠٠ رأس من الغنم. ويقول بعض اهل القرية بانها سمية بهذا الاسم لوجود البراغيث المتخلفة عن الاغنام. كما يعتقد بعض كبار السن، وهذا هو الادق على ما يبدو، بان رعاة تابعين لبراغثة قرى بني زيد كانوا يحلون فيها قديما باغنامهم مع بواكيرالربيع الذي ينبت في ارض القرية مبكرا بسبب دفئ المنطقة، التي يقل ارتفاعها عن سطح البحر عن مائة متر، اضافة الى ميزة تربة القرية الطفلية الخصبة التي تحتفظ بالرطوبة اكثر من غيرها خاصة عندما تهب الرياح الشرقية الجافة في بعض السنوات.

٤- مغارة الصفارية : تقع ايضا في الجهة الشرقية للقرية، وهي عبارة عن تجويف لاطيء في النصف الاسفل الشمالي لسفح راس الاقرع وتقابل مغارة البراغثية على الضفة الجنوبية لوادي كريكعة، وهي واطئة السقف لكنها عميقة ومظلمة في الداخل. وكثيرا ما اثارت هذه المغارة الرعب في قلوب اهل القرية وخاصة الرعاة الذين كانوا يتأخرون لتعشية ابقارهم بعد المغرب، لانها كانت مسكونة بالضباع الكاسرة التي كانت تخرج منها بعد مغيب الشمس. وقد كان بعض الرعاة يحتمون

بقطيع البقر اذا ما هاجمتهم هذه الضباع التي تخشى الاقتراب من البقر، حيث ساد اعتقاد طريف، انه اذا ما تعرض الضبع لنفخة من نفس البقرة فان شعهره لا بد ان يتساقط. وكثيرا ما كان بعض المغامرين من اهالي قرية نعلين يـأتون الـى هـذه المغارة في وضح النهار، ويدخلون فيها ويخرجون بعض الضباع بعد ان يخاطبوها بكلام خاص، ثم يذبحونها ويأكلون نصفها الايمن. وقد كان هذا يحدث بالرغم مـن ان الضبع حيوان مفترس، محرم لحمه، فقد ادى الجوع وسوء الاحوال الى انتشار اعتقاد في مناطق متعددة من فلسطين ان النصف الايمن من الضبع حلال اكله.

٥- مغارة ست النسب : وهي عبارة عن كهف يقع في الجانب الشمالي مـن التلـة المقام عليها القرية، ولهذه المغارة مكانة خاصة في نفوس اهل القرية تصل الى حد القدسية، وقد كانت بعض نساء القرية يحلفن بحياة ست النسب، كما كانت غالبيتهن العظمى يذهبن لاضاءتها في معظم الليالي تقربا منها او وفاء لنذر في استقبال مولود او شفاء احد المرضى، او عودة محارب من رديف اليمن.

٦- مغارة النقطة :تقع الى شمال شرق القرية على حدود اراضي قرية قبية، وهي عبارة عن تجويف صخري يرشح من سقفه الماء على شكل نقاط، ولهـذا الـسبب سمية بمغارة النقطة.

٧- مغارة الوطواط :تقع على طرف الوادي الشامي الى الشرق من القرية بحوالي ٢ كم، وهي عبارة عن كهف طبيعي عميق ويبلغ ارتفاع سقفها عن الارض حوالي خمسة امتار، وعرضها من الداخل حوالي ستة امتار، كانت تعيش فيها الوطـاويط وتعشش في جدرانها الحمائم البرية التي كانت تتعرض زغاليلها لعبث الرعيان.

٨- مغارة الضبعة :تقع الىالشمال الغربي من القرية، بالقرب من الطرنشة، لكنها في ارض قرية دير طريف، وهي مرتفعة وغير عميقة، تطل على الوادي الشامي من الجهة الشمالية، وتمر من امامها وصلة سكة الحديد التـي تـصل الطرنـشة،

وكانت ابقار القرية عندما تكوكب، (اي يلسعها ذباب الابقـــار)، تلجـــأ الــــى هـــذه المغارة.

هذا عدا المغر الطبيعية الاخرى، مثل مغارة النقارة، ومغارة بيت كوفا.



المناخ :

يعتبر مناخ بيت نبالا جزءا لا يتجزأ عن المناخ السائد للمنطقة الغربية لوسط فلسطين بشكل عام، حيث البحر والسهل الساحلي من الغرب. ولكن لوجود القرية على تلة مرتفعة نسبيا تحيط بها تلال متفاوتة الارتفاع، فان جوها يميل الى الرقة. واذا كانت المدن الشاطئية تجلس على الحد الفاصل بين البر والبحر، فان بيت نبالا تجلس على الحد الفاصل بين مناخ السهل المفعم بالرطوبة وهواء الجبل النقي. وبغض النظر عن هذه الخصوصية، فان مناخها بشكل عام يعتبر معتدلا ومنسجما مع مناخ حوض البحر الابيض المتوسط الذي يمتاز بالاعتدال العام، وتدني فروق درجات الحرارة بين الليل والنهار، وبين الصيف والشتاء، والتي نادرا ما تصل حد الصفر في اشد السنوات برودة، وتقول آمنة العيشاوي : "كنا نذهب الى السهول، وسفوح الهضاب لجلب الحشيش للدواب، وقطرات المطر تنهمر فوق رؤوسنا (كب من عند الرب)، وكنا نعمل كيس الخيش في الذهاب على شكل زعبوط، نضعه على رؤوسنا ونغرق في البلل دون ان نشعر بالبرد الشديد، او تصيبنا لفحة هواء. كما تقول : باننا لم نكن نستعمل كونانين النار في فصل الشتاء الا نادرا. وفي الحالات التي تلد فيها امرأة، او تصيب الحصبة احد الاطفال، ولكن الرجال كان يشعلون النار في الكوانين في بيت الرجال من اجل النراجيل والتدفئة. اما داخل البيوت، فلم نكن نشعر بالبرد ابدا لان الجميع كانوا يطبخون في القدور على نار المواقد المنصوبة من طين الحور على حواف المصاطب. اضافة الى نفس البقر والدواب التي تنام معنا في قاع البيت. مما يجعل (الدفا جوه يسافك مسافكة)، وننام ولا ندري ما يدور في الخارج".

واذا اردنا الدقة القائمة على الرصد العلمي الواقعي للمناخ في منطقة الرملة التي تقع ضمن بيت نبالا، فاننا سنعتمد في رصيد المناخ في هــذه النطقــة علــى محطة الرصد الجوية التي كانت قائمة في مطار اللد (الواقع على تقــاطع خطــي ١٥٦ شمال و ١٣٩ شرق) والتي تقع على نفس خط العرض تقريبا وتبعد عن بيت نبالا مسافة ٦ كم نحو الغرب، ويصل ارتفاعها عن سطح البحر الى ٣٥ مترا.

فقد قدر معدل سقوط الامطار السنوي في هذه المحطة للاعوام (١٩٣١ – ١٩٦٠) ب ٥١٣مم، كان نصيب اشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط منهــا، وهي اشهر الشتاء الحقيقية في بلادنا، ٦٧% من مجمل الامطار الساقطة. اما معدل عدد الايام الماطرة للسنوات ١٩٣٨ – ١٩٤٨ فقد وصل الى ٤٥ يوما في الــسنة. اما فيما يتعلق بدرجات الحرارة، فمن المعروف ان شهر اب هو الاكثر حرارة في فلسطين "اب اللهاب". حيث سجل في مرصد مطار اللد اعلى درجة حرارة في شهر اب للسنوات ١٩٤٠ – ١٩٤٩ بما يعادل ٣١,٩ ووسطي ادنى درجة حرارة فــي نفس الشهر وصل الى ٢٠,١. اما نفس المعدلات ولنفس السنوات فقد وصلت وعلى التوالي في شهر كانون الاول الى ١٨,٢ و ٧,٥ ولشهر نيسان ٢٣,٨ و ١٠,١.

اما معدلات نسبة الرطوبة فقد قدرت وللاعوام ١٩٤٠ – ١٩٤٩ في شهر كانون الثاني ٧٠% وفي نيسان ٥٦% وفي اب ٦٢%. [٨] ووفق موســعة المــدن الفلسطينية، فان قضاء الرملة، ومن ضمنه بيت نبالا، يتميز بتكرار حالات ســقوط حب البرد، اذ يتراوح معدل الايام التي يتساقط فيها البرد خــلال الــسنة (٥– ٨) ايام، وهو غالبا ما يحصل في منتصف فصل الشتاء، ولكنه لا يعلق علــى الارض بتاتا.

ويعمل نسيم البحر على تلطيف درجة الحرارة اثناء النهار، اذ يبدأ تـــأثيره صيفا على بيت نبالا بعد الساعة الحادية عشرة صباحا، كما تعمل رياح الخماسين والشراقي المحلية على رفع درجات الحرارة، وخفض نسبة الرطوبة فـــي الجـــو، والذي تسميه آمنة العيشاوي بأيام الشرد او رياح السموم.

يمكن في المحصلة الاشارة الى ان المناخ في بيت نبالا ملائـــم لزراعـــة المحاصيل الحقلية، ولنمو الاعشاب الطبيعية الصالحة للرعي، ويؤكد ذلك وصـــول مجموع الاراضي المزروعة في القرية عام ١٩٤٥ الى ١٢١٥٨ دونمـــا، او مـــا يعادل ٨١% من حجم اراضي القرية [٩]. ووجود ١٥ الف راس غنم لاهل القرية عام ١٩٣٠، عدا عن الابقار والجمال. كما يعني الكم الهائل من مخـــزون الميـــاه الجوفية التي بدأ اهل القرية باستغلالها عن طريق الابار الارتوازية في منتـــصف الثلاثينيات في مشاريع بيارات الحمضيات والخضراوات في سياق التغيير في النمط الزراعي، للتكيف مع السياسة البريطانية التي حاولت ضرب الفلاح مـــن خـــلال مزروعاته التقليدية.

وتستطرد امنة العيشاوي وتقول : "في سنوات الخير كانت اوراق السمـــسم في الصيف تكاد تعلق باصابع مـــن يمـــسكها مثـــل اوراق الملوخيـــة مـــن شـــدة يناعتها الناجمة عن ربة الارض الرطبة. كما كان الخيال يكاد يتوارى في موارس الذرة البيضاء، قبل موعد قطاف عرانيسها".

المياه (الابار والوديان) :

تتميز المياه الجوفية في منطقة الرملة بعذوبتها، والتي تعتبر اراضي بيت نبالا وخاصة السهلية منها، من ضمن هذه المنطقة التي تتصل مياهها الجوفية بعضها من بعض. ويعود السبب في عذوبة هذه المياه الى عدم زيادة كمية الكلوريد المذاب فيها عن ٢٠٠ ملغرام/لتر، وهذا يعد سببا رئيسيا في عدم تملح مياه الابار وقلتها في التربة، مما ساعد على ازدهار الزراعة في هذه المنطقة منذ زمن بعيد. وتشكل مياه الامطار المصدر الاساسي لتغذية الخزانات الجوفية. [١٠]

لقد كانت بيت نبالا واراضيها خالية من ينابيع الماء تماما، ولا يوجد منها في القرية سوى الاسم الذي يتردد احيانا في الاغاني على لسان اهل الجبل، الذين كانوا يحلون ضيوفا عليها، ويقضون اوقات سهراتهم بالغناء في دواوينها بحضور اهل القرية، هذه الاغاني التي رسخت في اذهان اهل البلد صورا عذبة عن العيون، وورود الصبايا عليها، حتى اصبحوا يرددونها في اغانيهم. ورب اغنيات تنبعث من الخيال، لاكثر عذوبة من وصف الواقع. هذا ولم يرد ذكر لينابيع المياه في القرية سوى نقط الماء القليلة التي كانت قطرتها تنداح من سقف مغارة النقطة التي اخذت اسمها، كما كام بعض الرعاة يحفرون باياديهم في حصى وادي الصرار الذي يفصل بين اراضي القرية واراضي الحديثة في الجهة الجنوبية، فيخرج الماء من بين الحصى، ويتجمع في الحفرة الصغيرة التي يشربون منها في حالة العطش. ولم يكن من مصادر للمياه لاهل القرية سوى الابار الارتوازية، وآبار الجمع فقط، والتي كانت مياهها تستعمل لشرب الناس، والمواشي، والاستعمال المنزلي، وسقاية الاراضي، ومن اهم الابار :

١- بير البلد : ويعتبر المصدر الرئيسي لمياه الشرب في القرية، ويقع على مسافة حوالي ٥٠٠م منها في الجهة الغربية عند المفصل بين السهل والجبل. وهو بئر قديم جدا لا يذكر احد متى تم حفره، ويزيد عمقه على اكثر من مائة متر، وقطره الدائري عن خمسة امتار، ولا يزيد ارتفاع حافته عن سطح الارض سوى نصف متر، وكانت جدرانه الداخلية المبنية من الحجر المدعومة بجسور حديدية متعارضة ومتوالية على مسافات متساوية لتحفظه من الانهيار والردم، كما كان مثبتا بداخله سلم حديدي يمتد من فوهته حتى القاع. وكان بابه المكشوف يشكل خطورة كبيرة على الاهالي ومواشيهم، وقد سقطت فيه بعض الصبايا مثل اخت بدر سلامة وسلمى شنيور، كما كانت تسقط فيه بعض الكلاب والحيوانات البرية مثل الثعالب والنياص، مما كان يسبب النتانة في مذاق مياهه، ويجعل اهل البلد " يعيفون" الشرب منه، حتى ينزل اليه احد السباحين لالتقاط هذه الجيف واخراجها منه، وكان الناس ينشلون الماء منه بواسطة دلو كبير مربوط بحبل طويل، يمر مع بكرة معلقة على بابه، حيث تمسك مجموعة من النساء طرف الحبل، وتسير به مسافة طويلة بقدر عمقه، حتى يرتفع الدلو عند الحافة، ويمسك به سليمان السعيد (الشبوب) الذي كان مسؤولا عن البئر، حيث يملأ جرار النساء الفارغة التي تنتظر الدور، مقابل قرش او تعريفة يتقاضاها من النساء، واحيانا الخبز والبيض، وعندما تشح مياهه، كانت النساء كثيرا ما يتنازعن على الدور، ويمسكن بعضهن بشعور بعض (يتخافشن)، او يكسرن جرار الفخار جميعها اذا ما اشتدت المعارك فيما بينهن، كما كان يوسف محمد زبن (طعيمة) يتناوب على البير مع الشبوب.

وفي عام ١٩٣٠ طرأ تطور على وضع البير، واصبح ضخ الماء منه يتم بطريقة الية، حيث قام احمد سليمان قطيفان والد الفخري، بالاتفاق مع اهل البلد بسقف باب البير، وعمل خزان للماء بجانبه تحيط به حنفيات "داير ما يدور"، كما

تم اقامة غرفة كبيرة تضم الموتور ومطحنة قمح وحبوب آلية، وكان يستخدم هــذا الموتور لضخ الماء من البير عندما يفرغ الخزان، كما يستخدم لادارة المطحنة التي كان يقصدها اهالي القرى المجاورة مثل دير طريف والحديثة والطيــرة وبــدرس وقبية.

وتذكر النساء المتقدمات في السن، ان مياه بير البلد كانت تشح في بعــض السنوات، خاصة التي كانت تتميز بانحباس الامطار، مما يضطرهن لجلب المــاء من بيارات قرية دير طريف القريبة، او الاعتماد على ابار الجمع في القرية والتي كانت تمتلئ من مياه الشوارع في ايام الشتاء، وكان لون ماؤها في الغالب يميل الى الاصفرار، يسمونها (مياه الزبالة).

٢- آبار البيارات : وهي ابار ارتوازية، تم حفرها في عهد حكومة الانتداب، عندما طرأ تحول عند اهل القرية بادخال زراعة الحمضيات الى اراضيهم، اسوة بــالقرى الاخرى في فلسطين التي غيرت من نمطها الزراعي، على اثر ضرب الفلاحين في محاصيل القمح من قبل حكومة الانتداب التي كانت تستورد الطحين من اســتراليا، وتطرح في السوق المحلي بسعر اقل لضرب اقتصاد الفلاح الفلسطيني، حتى يعاف ارضه لاجباره على بيعها لليهود بعد افرازها وتفنيتها، ومعظم هذه الابار تم حفرها مع بداية الاربعينيات، نذكر منها : بيارة دار الحاج كايد حسين صالح وشركاه، دار احمد كمنة قطيفان ودار خليل صبحة قطيفان في ارض الوسطة التي اقيم عليها فيما بعد الكمب، واقتلع الانجليز اشجارها في السنة الاولى لتباشير اثمارهــا. وبيــارة مصطفى حسن (جاسر فتولة) وشركاه ابو بكر قطيفان، ومحمد موسى صالح (والد موسى الرطانة) في سهل ابو شيبان وبيارة دار احمد مصلح في ســهول بــسامة. وبيارة دار زيد (دار العرايشي وخليل عيوش) في سهل ابو زهير الغربي، وقد قام

هؤلاء بحفر بئرهم على عمق اكثر من مئة متر، الى انهم لم يعثروا على ماء وفشل مشروعهم. كذلك بيارة دار شقديح (حكمت وظاهر) وشركاهم دار الحيت (طالب وحسن) في سهل جنداس غرب الكمب على طريق اللد بالقرب من اراضي المدينة، كما قام عبد الرحمن عربد واقرباؤه من دار صافي بحفر بئر، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم وصرفوا النظر عن المشروع.

٣- ابار الجمع : وهي كثيرة جدا داخل القرية وخارجها. يصعب على الناس حصرها، فمنها ما هي داخل الاحواش، ومنها ما هي في الطرقات العامة والساحات، كما يوجد الكثير الكثير منها بين الحقول والخرب الاثرية التي تحيط بالقرية، ولم يذكر احد من كبار السن ان بئرا واحدة قد حفرت في عهده مما يزيد في التأكيد بأن موقع القرية كان مأهولا منذ القدم. ولكن اهل القرية كانوا يقومون بترميم هذه الابار كلما اكتشفوا واحد منها، التي تعتبر ضرورية لسقاية ماشيتهم ومزروعاتهم وجبل الطين من اجل البناء. وقد كانت مياه ابار الجمع البعيدة عن القرية انظف واصفى من مياه الابار التي بداخلها، كونها بعيدة عن اوساخ الطرقات والمزابل، ولذلك كانت النساء ترد عليها لتغسل الثياب وتحمم الاطفال من مياهها. ونذكر من هذه الابار داخل القرية على سبيل المثال لا الحصر: بير الخيل، بير زاوية الحاج كايد حسين الذي لا يبعد كثيرا عن بير دار قطيفان، وبير في حوش دار سلامة، وبير بالقرب من مضافة البلد، وبير دار الحيت، واخرى بالقرب من دار السعيد عزيز وعبد الله حسان وابار اخرى قريبة من دور كل من العبد خليل وطه رضوان ونمر عربد وامين شاور وديوان دار محمد ياسين وداخل حوش دار محمد علي صالح وحوش دار ابراهيم، وبير حسين شرق البلد وبير البرشة في ارض دار دينة. اما ابار الجمع الاخرى خارج البلد فنذكر منها ما يقع في الجهة الجنوبية من اراضي القرية مثل: بير

راس الاقرع على طريق بدرس، وبيرين في وادي خليف، وبير الخدر في بيت قوفا، وبير الخلة، وبير البحر وعدة ابار في المنطقة المسماة باب القبلة. اما في الشمال فنذكر : بير التينة، وبير الخنزيرة، وبير شرين. ومن الملاحظ ان معظم هذه الابار كانت في المناطق المرتفعة، اما السهول فهي شبه خالية من ابار الجمع.

ولا ننسى ان نذكر اضافة الى هذه الابار بانه كانت هناك الوديان التي كانت تسير مثل الانهر في فصل الشتاء، وتجف في الصيف. مثل الوادي الشامي شمال البلد، ووادي كريكعة جنوبها، ووادي الصرار الذي يفصل اراضي بيت نبالا عن اراضي قرية الحديثة، الذي كان تياره مدمرا في سنوات المطر الكثيرة، حيث كان يجري معه اشجار الزيتون والماشية من القرى الجبلية التي ترفده جداولها، وتقول امنة احمد العيشاوي بانها رأت مياهه تجرف معها حمارا ميتا ما زال حمله على ظهره. ووادي الصرار يسمى عند نعلين باسم القرية، اما اهل شقبة فيطلقون عليه وادي رداسي. وعندما يلتقي هذا الوادي جنوب غرب بيت نبالا مع وادي نطوف، يشكلان معا الوادي الكبير. ويجدر بالذكر في هذا الصدد ان اقدم حضارة في هذه المنطقة تعود الى حوالي عشرة الاف سنة قبل الميلاد. وقد وجدت اثار لها في مغارة نطوف في اراضي شقبة [١١].

الفصل الثاني

القرية عبر التاريخ





الفصل الثاني

القرية عبر التاريخ

التسمية :

يعتقد ان الموقع الذي اقيم عليه القرية كان يسمى نبالات على زمن الكنعانيين، ولكن عندما اقام هؤلاء فيه مكانا للعبادة اصبح اسم الموقع "بيت نبالات" انسجاما مع غيرها من اسماء القرى والمدن الكنعانية التي كان يسبق اسمها كلمة "بيت"، وهي كثيرة جدا في فلسطين، حتى ان اطلق كلمة بيت على اماكن العبادة ظل دارجا في عصور مختلفة. مثل : بيت الله الحرام، وبيت المقدس. وكما نلاحظ بأن اسماء المواقع التي اقيمت فيها امكنة للعبادة في العصر الروماني قد اخذت شكلا اخر في التسمية، فاصبحت كلمة (دير) تسبق اسم الموقع، وعلى هذا الاساس فاننا نجد الكثير من القرى الفلسطينية يسبق اسمها كلمة "دير" مثل : دير غسانة، ودير عمار، ودير قديس وهكذا. ومن المعروف تاريخيا انه لم يكن للكنعانيين حكومة موحدة مستقلة في فلسطين، وقد اقتصر تواجدهم السياسي على ممالك مدينية صغيرة، لكل منها ملكها وكهنتها.

ولكن وعندما جاء العصر الروماني تم تحريف اسم القرية الى "نفلات"، وفي عهد الفتوحات الاسلامية اطلق عليها العرب "تلة نبالات". ولكن كلمة "تلة" هنا تعتبر صفة للموقع وليس اسما مقرونا كأن يقال : جبال القدس، وجبال نابلس. فكلمة جبال هنا ليس من ضمن التسمية، ولكنها صفة للبلد التي تقع على مرتفع من الارض، ويعتقد ان تكون التسمية العربية "نبالات" استمرارا للتسمية الرومانية

"نفالات" مع الاخذ بعين الاعتبار اختلاف اللكنة لدى بعض الشعوب عند لفظ بعض الحروف المستعملة لدى شعوب أخرى، مما يضفي تحريفا على بعـض الكلمـات والمسميات والذي يعتبر تحريفا مألوفا مع الزمن، ثم يفرض نفسه كواقع مقبـول. وهذا ما ينطبق على كلمة "نبلاط".

اما ما يشاع بان اسم القرية قد اخذ من كلمة النبال التي كانت القرية تـزود بها الجيوش الاسلامية فهو قول ضعيف، والسبب في ذلك بسيط جدا وهو ان اسـم نبالات كان معروفا قبل وصول الجيوش الاسلامية الى فلسطين، هذا مـن جهـة، ومن جهة اخرى فان النبال كانت تؤخذ عادة من اشجار ذات مواصـفات خاصـة تتميز بافرع تصلح لصنع النبال، ونحن لم يصلنا حتى الان ما يدل على ان الموقع كان مشهورا عبر التاريخ باشجار غير الزيتون والتين والخروب التـي لا تـصلح اغصانها لعمل النبال.

وبالرغم من ان لاسمها وقعا خاصا على قلوب اهلها، الى انه اسم والسلام مثل بقية اسماء الاشياء المادية والمعنوية التي وجدت على ظهر البسيطة بل والكون جميعه. هكذا كان اسمها عندما غادرها اهلها مرغمين، ولكن وكرد فعـل عفـوي على شتات اهلها فقد ظل جميعهم ينتسبون اليها، وذلك باضافة كلمة النبالي في نهاية اسمائهم. هذه الكلمة التي غالبا ما تنتزع الابتسامة من شفاه اهالي فلـسطين كلمـا ترددت على السنتهم، لانها اصبحت مقرونة "بضرب الحجارة" عند المشاجرات التي كانت تقع احيانا بين اهلها الذين يرجعون في نسبهم الى جد واحد، مما جعل قرابـة الدم تفرض عليهم ان يكونوا رحماء بينهم، وذلك باستعمال الحجارة في الطوشـات بدلا من السلاح الذي غالبا ما كان مجلبة للدمار على اهل غيرها من القرى.

القرية عبر تاريخ فلسطين السياسي :

يرجع تاريخ القرية الاول على ما يبدو الى العهد الكنعاني. ويشهد على ذلك اسم بيت الذي يسبق نبالا، وكذلك كثرة الخرب والاثار المحيطة بالقرية، مثل الخربة الشامية وخربة بيت قوفا، ودسرة وبعنة وراس الاقرع، وقطاطو، وراس ابو يعقوب، الذي لا تزال اعمدته المضلعة ومصاطب الفسيفساء حوله تنتظر الحفريات. ويسود الاعتقاد في اوساط اهل القرية بان هذه الاعمدة، هي بوابة سور، او مدخل قصر، وتعرف عند اهل البلد باسم "خوابي الغولة" جمع خابية. كذلك وجود مقالع الحجارة التي تصلح للبناء والنواميس المحفورة في الصخور على هيئة احواض ماء او توابيت حجرية، كذلك اثار برك الماء المنحوتة في الصخر، والمتناثرة هنا وهناك، والتي يعتقد انها صهاريج ماء ثابتة، او معاصر زيتون وخمور. هذا عدا عن الابار القديمة والعديدة في كل مكان. الا ان عدم اجراء حفريات ودراسات اثرية في موقع القرية يبقى تلك الفترة مجهولة علينا.

اما اولى الاشارات التاريخية الدقيقة للقرية فتعود الى عصر المماليك، حيث اشير الى ان القرية بموقعها الذي كان قائما عام ١٩٤٨ قد بنيت عام ١٢٩٢م، وذلك على انقاض خرب قديمة، تم تدميرها نتيجة حروب في عهود سابقة. تشهد على ذلك اثار الشعوب المتعاقبة التي سكنتها، كابواب الحجارة والاعمدة والنواميس الصخرية والقبور الارامية واثارالرومان التي يمكن توضيحها عن طريق الحفريات لمواقع الخرب المحيطة بالقرية، مثل الخربة الشامية وبيت قوفا ودسرة وبعنة وراس ابو يعقوب وراس الاقرع وقطاطو. واذا كان تاريخ اعادة بناء القرية الحالية قد تم ١٢٩٢، فمعنى هذا انها انشئت في زمن المماليك البحرية، وبالذات في عهد السلطان خليل الاشرف صلاح الدين المملوكي.

بعد هزيمة المماليك امام العثمانيين في معركة مرج دابـــق عـــام ١٥١٦م، دخلت فلسطين تحت الحكم العثماني، وقد ادركت الدولة العثمانية الموقع الذي تحتله بيت نبالا، فأقامت فيها نظارة تابعة للواء يافا الذي كان تابعا لسنجق القدس الملحق رأسا بالباب في استانبول، وكانت بيت نبالا مسؤولة عن عشر قرى. [١]

وفي النصف الاول من القرن التاســع عــشر، هــاجر بعــض الفلاحــين المصريين الى فلسطين تخلصا من نظام الضريبة القاسي الذي فرضه محمد علــي عليهم. وبعد حملة ابنه ابراهيم على فلسطين (١٨٣١– ١٨٤٠) بقي فيها جزء مــن العساكر للسبب نفسه، وانتشروا في مواقع مختلفة في فلسطين ومنها قريــة بيــت نبالا، وقد اندمج هؤلاء مع سكان القرية الاصليين.

امتاز الحكم العثماني في اخر عهده بفرض نظام التجنيد الاجباري، فجنــد الكثير من شباب القرية، وذلك على حساب الفلاحة و الزراعة، وقد صدر امر عام ١٨٦٦م، كلف بموجبه جميع المسلمين في الامبراطورية العثمانية، بــاداء الخدمــة العسكرية لمن بلغ سن العشرين، ولمدة ٢٠ سنة موزعة على فترات : الاولــى ٦ سنوات في السلك العسكري النظامي، و٨ سنوات في ســلك الرديــف، والــسنوات الباقية في سلك المستحفظ، ثم ارتفعة سنوات الخدمة الى ٢٥ سنة في اواخر العهــد العثماني، وكان البدل العسكري ٥٠ ليرة عثمانية عن الشخص الواحــد، الا انهــا كانت تفرض على المتمتع بالاعفاء ان يخدم خدمة رمزية تصل الى خمسة اشــهر فقط. وقد خدم العديد من اهل القرية في الخدمة العسكرية التركية ووصل عدد مــن اهل البلد الى رتبة ضابط، نذكر منهم موسى ســليمان والــد مختــار دار النخلــة المرحوم عطى موسى، وعامر محمد عامر من دار محمد ياسين، كما خدم برتبــة

شاويش : محمد الاحول، من دار مبارك، ورتبة عسكري : صالح مصلح واحمد محمد عابد (احمد قروعة)، وعلاء الدين عليان، وشحادة سلامة والد الحاج محمد شحادة، والعرابي محمد عرنة، وعبد القادر ايوب، والعبد القيسي، وغيرهم الكثيرين. وقد استشهد بعض من خدم في الجيش في حروب تركيا المختلفة، كحرب روسيا ورديف اليمن، نذكر منهم محمد حسين صالح، والد فارس دامه، واخوه، حسن حسين صالح، والد جاسر فتولة، وراغب احمد صافي، وشاكر احمد صافي، ومحمد سلامة نخلة وعلي سلامة نخلة وطايع نخلة، وغيرهم.

العهد البيريطاني :

ظلت بيت نبالا تابعة سياسيا للعثمانيين، حتى بعد ان سقطت اللد والرملة في ١٥ تشرين الثاني عام ١٩١٧م، اثر معركة حامية وقعت قرب عيون قارة، خسر فيها العثمانيون وتراجعوا شمالا نحو القرى العرقية المرتفعة قليلا مثل بيت نبالا، ومن هنا برزت اهمية موقع القرية الاستراتيجي للطرفين المتحاربين، نظرا لوقوعها على عتبة مدخل ممر طبيعي يربط السهول الساحلية بالجبال في وسط فلسطين، هذه البوابة المحمية من الشمال والجنوب بتلال مشرفة تتحكم في ذلك المعبر الذي لا يقل اهمية عن معبر باب الواد المؤدي الى القدس، انتقل خط الجبهة العثماني – البريطاني بعد الهجوم الاول الذي شن في ١٩١٧/١٠/٢٩ من اطراف غزة الى خط جديد يبدأ من شمال يافا مارا بالرملة وحتى اريحا فنهر الاردن، وهو الخط الذي شن منه الهجوم البريطاني الجديد في ٢٠/ ١٩١٨/٩ (انظر الخارطة المرفقة)، والذي اسفر في غضون خمسة ايام عن هزيمة كبرى للجيش التركي، وحتلال الجيش البريطاني لقيسارية ونابلس وجنين والناصرة وحيفا وطبريا وعكا. حيث قام الجيش البريطاني بخدعة اوهم بها الاتراك ان هجومه الرئيسي سيتم عبر نهر الاردن،

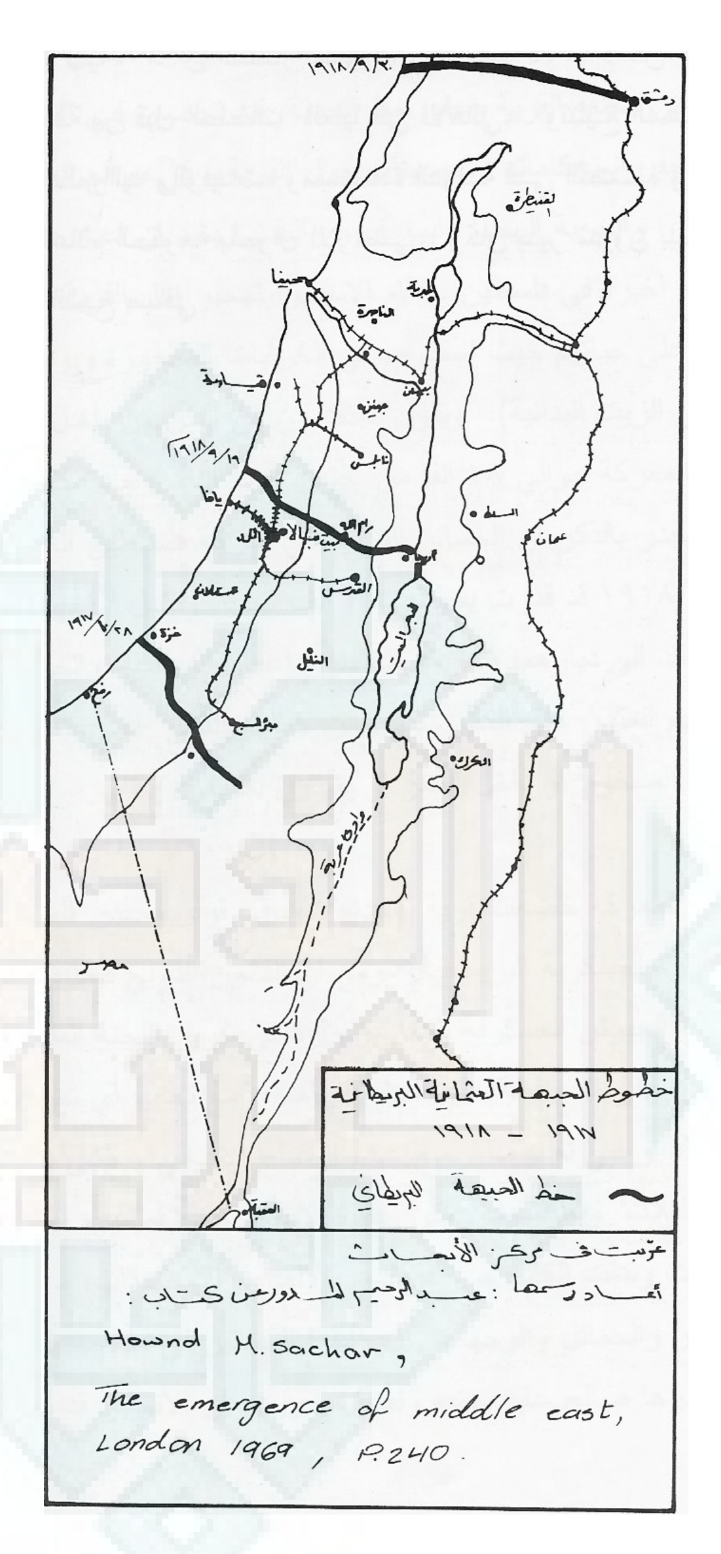
بينما ركزت قواته هجومها الرئيسية على خط الساحل والمنــاطق الجبليــة. كــان الجيش التركي في منطقة القرية وعلى خط الجبهة قد تحــصن بــالتلال المحيطــة بالقرية، وقام بحفر استحكاماته وتحصيناته حول القرية، في مواقع الطبقة وابو فحم والخربة الشامية، والخربة البيضا وابو فرو ونقارة بعد ان اعــاد تنظــيم صــفوفه استعدادا لمعركة اخيرة في فلسطين. قام الانجليز بتهجير اهل القرية الى مدينة اللد بدعوى الحفاظ على حياتهم حيث اسكنوهم في الخرابات المهجورية ويواخير الماشية والبدود(معاصر الزيت البدائية). ويقول المتقدمون في السن من اهل القريــة: انــه قد قتل في تلك المعركة حوالي ١٨ الفا من جنود الاتراك، وجد الكثير مــنهم فــي قبور جماعية. يجدر بالذكر ان الخسائر التركية في معركة فلسطين الحاسمة والتي بدأت في ١٩١٨/٩/٢٠ قد قدرة بحوالي ٧٠ألف اسير وقتيــل[٢] . وعنــدما عــاد اهل القرية من اللد الى ديارهم، صاروا يمارسون اعمال الزراعة والحراثة، اصبح من المألوف لديهم العثور على الكثير الكثير من جماجم القتلى التي كانوا يوارونها من جديد بجنانب الصخور او داخل المغر او يعيدون دفنها.

بعد تلك المعركة خضعت قرية بيت نبالا كباقي قرى ومدن فلسطين للنفوذ النجليزي والادارة العسكرية البيريطانية، ومع ان القانون الدولي فيما يتعلق بــادارة البلاد التي تحتلها الجيوش العسكرية وكما هو وارد في تقرير اللجنة الملكية لفلسطين لعام ١٩٣٧ ينص على المحافظة على الحالة الراهنة، مع تجنب اي تغير جوهري في قوانين البلاد أوفي تطبيقها، مع عدم ازعــاج الاهــالي، حتــى يتــسنا اقامــة حكومة في تلك البلاد، ويطالب في ان تكون فترة الانتقال هذه قصيرة الامد[٣]، الا ان بيريطانيا غيرت وبدلة الكثير من القوانين بالالغاء والاستحداث، مع محافظتهــا على نظام العشائر والحمائل والوجهاء. بل وابقوا المخاتير في مناصبهم واعطوهم رواتب شهرية قدرها صالح عابد بجنيه ونصف. ويبدوا ان الانجليز قد ارتاحوا لهذا

الوضع، فابقوا عليه اذ ان المختار مسؤول ومنذ عام ١٨٦٤م عن ابلاغ الانظمة والقوانين المرسلة من قبل السلطات العليا الى الاهالي وتبليغ الدعاوي، وابلاغ مدير الناحية بالمواليد والوفايات ومساعدت الدولة في القضاء والقبض على المطلوبين، واعلام الحكومة باحوال الاراضي. وكان يدير شؤون بيت نبالا زمن العهد العثماني الشيخ صافي



خط الجبهة العثمانية – الانجليزية



مصطفى محمد مبارك، ثم ابنه احمد صافي، وبعد وفاته، تبعه ابنه خالد الذي انتقل الى رحمة اللـــه عام ١٩١٦م.

وفي زمن الانتداب، زادت بريطانيا عدد المخاتير للاشراف على شــؤون القرية، وبما انها قد ارتاحت لنظام العشائر والحمائل، فقــد عينــت لكــل حمولــة مختارا او اكثر، مثل مصطفى طه صافي لحمولة دار صـــافي، والحـــاج محمـــود حسين صالح لحمولة دار زيد، وحسين خليل يوسف (حسين خليل عيـــدة)، وعطـــا موسى سليمان لحمولة دار النخلة، واحمد عابد (احمد البرقة) لحمولة الشراقة. وقد تم في هذا الصدد الانتقال في نهاية العهد البريطاني خطوة الى الامام حيث تم فـــي عام ١٩٤٤ تأسيس مجلس قروي يرعى شؤون القرية، ويشرف على بعض الامور الحيوية فيها برئاسة مصطفى طه خالد صافي، ونائبه الحاج محمود حسين صالح، وعضوية كل من عبد العزيز مبارك، وعطا موسى سليمان نخلة، واحمد محمـــود عابد وحسين خليل يوسف، وحسن خليل زيد (حسن خليل عيوش) (٤) .

من اهم التغيرات التي حدثت في المرحلة الاولـــى مـــن حكـــم الانتـــداب البريطاني والتي مست جوهر الحياة في القرية، مثلها بذلك مثل، معظـــم المنـــاطق الريفية في فلسطين، هو ذلك التغيير الذي جرى على الزراعة والانتاج الزراعـــي الفلسطيني. وقد انطلق هذا التغيير من البرنامج الانجليزي التـــآمري علـــى ارض فلسطين واهله، والمتفق مع برنامج الحركة الصهيونية حيث شنوا حـــرب تجويـــع ضروسا على الفلاحين بالذات بما في ذلك فلاحو بيت نبالا، فمع مجيء الانتـــداب قامت الحكومة باغلاق المصرف الزراعي العثماني وهو البنك الوحيد من نوعـــه الذي كان موجودا في فلسطين، وفرضت رسوما باهظة على المنتجات التي تصدر

واهملوا شق الطرق التي تصل القرى بالمدن ما عدا التي تخدم مصالح الانتـــداب، وانشأوا دائرة التسوية لفرض فرز اراضي المشاع الذي يعيق ويعطل استيلاء اليهود عليها وسنت السلطات البريطانية قانون نزع الملكية اذا رأى المندوب السامي بـــان الارض لازمة لمشاريع انشائية واحتياجات عامة مثل الاراضي التي اقيم عليها كمب (معسكر) بيت نبالا [٥]. فسياسة الافتقار التي مارستها السلطات البريطانيـــة ضـــد الفلاح، وضرب محصوله عن طريق منع استيراد البذار، وتصدير القمـــح حـــين يكون المحصول وفيرا حتى يزهد ثمنه ويضرب الفلاح لكي يبيع ارضه.

الا ان مجيء الانتداب حمل معه مظهرا اخر مناقضا لاهل القرية، الا وهو تأمين فرص العمل في معسكر بيت نبالا بالاساس، حيث لم يدخل فـــي البـــوليس الاضافي من اهل القرية سوى شخص واحد فقط صار عرضة لسخرية الاهالي، ثم لم يلبث ان ترك الوظيفة.

اقيم كمب بيت نبالا على جزء من اراضي القرية القريبة وذلك عام ١٩٤٠، على اراضي الوسطة وقطعة البير والقني والزغنية وجزء من قطعة البوسة، وكان من ضمن هذا المعسكر بيارة دار الحاج حسين صالح في ارض الوسطة التي بدأت تباشير ثمرها بالعطاء حين وضع الانجليز يدهم عليهـــا، وقـــد ســـمح الانجليـــز لاصحابها بعد جهد جهيد بقطع اشجارها لاستعمالها حطبا للوقود كتعويض عنهـــا، وقد كان هذا السماح مزاجيا يختلف من شخص الا اخر. وقد قال المرحوم خليـــل كايد حسين ان احد الضباط الانجليز سمح لنا بقطع اشـــجار البرتقـــال والليمـــون وحملناها على الجمل، وعندما وصلنا الى باب الكمب ونحن خـــارجون اعترضـــنا "السمران" الافارقة الذين كانوا يخدمون في الجيش البريطـــاني وضـــربونا ولكـــن لاحظهم احد الضباط الانجليز فخلصنا منهم.

بيت نبالا وثورت ١٩٣٦ :

حكم العلاقة بين بيت نبـالا والانجليـز عـاملان : الاول ان الانجليـز شـكلوا مصدر رزق لاهالي بيت نبالا، بالرغم من الاستغلال الكبير الذي تعرض له هؤلاء عند انخراطهم في حركة العمالة، سواء من الكمب، او كمستخدمين في النافي فـي معسكرات الانجليز المختلفة. اما العامل الثاني فهو السلوك العسكري للانتداب الذي تميز بالصرامة الشديدة في ايقاع اقسى العقوبة على من يمتلك سلاحا، وما ترتـب على ذلك من مداهمات ليلية واعتقالات وازعاج وترويع للسكان الامنـين. ولكـن مصدر الرزق الذي اوجده الانجليز لم يله الناس عن القيام بواجبهم الوطني الكبير. فعندما اشتعلت ثورة ١٩٣٦ في جميع انحاء فلسطين، شارك اهـالي بيـت نبـالا كغيرهم في حمل السلاح، وانخرطوا مع الثوار من ابناء المدن والقرى المجـاورة، وقد ساعدت في ذلك طبيعة ارض البلد الجغرافية واهمية مكانها وكثافة اشـجارها، ووجود الكهوف من حولها، مما جعلها معقلا للثـوار، وخاصـة ابنـاء الـسهول الساحلية. وكان من ضمن الثوار من اهالي القرية عبد الهادي محمد عابد، واخـوه صالح عابد (ابو الاديب)، واحمد رباح وعفانة ياسين وغيرهم، امـا مـن الـبلاد المجاورة فقد اشتهر الثوار سعيد حمودة من دير طريف، واحمد العودة مـن كفـر الديك، والشيخ حسن سلامة من قولية، ومحمد ياسين من رنتيس، وعلـي شـاهين وحافظ صقر من اللد، يقول صالح عابد ابو الاديب : "لقد شاركت مرة مـع عـدد كبير من الثوار لتطويق قرية صفا لقتل مختارها المتعاون مع الانجليز، ولكن اخته التي علمت بالخطة مسبقا اخبرت مخفر رام اللـه بذلك، وحاول الانجليز الالتفاف علينا بطوق آخر، فهربت مجموعتنا الى قرية دير عمار، وكان معنا احمد العـودة وتركي ذيب وجمعة كاملة، فكشفتنا طائرة واطلقت علينا النار من الجو بينما كنـا

ندخل شقيف (مغارة) غرب البلد، والتي على اثرها اصيب جمعة كاملــة بخــوف شديد لعله كان سببا في قطع الخلف وعدم الانجاب عنده، ثم انسحبنا الى قرية شبتين واختلطنا مع عمال معمل شيد من اجل التمويه. كما قمنا بنسف سكة الحديد تحــت القطار الذي كان محملا بالجنود الانجليز والتموين، وذلك على بعد كيلومتر واحــد شمال مدينة اللد، وقد استشهد في هذه المعركة كل من محمد ياسين وحافظ صــقر، وجرح الشيخ حسن سلامة الذي سافر الى سوريا من اجل العلاج، واثر ذلك اصبح الثوار عبارة عن مجموعة تقوم بعمليات فردية، الى ان عاد حــسن ســلامة مــن سوريا قبل شفائه تماما حيث اشرف على علاجه الاطباء الفلسطينيون في القــرى ومعاقل الثورة، وبعدها تم تشكيل قيادات داخل فلسطين فاصبح الشيخ حسن سلامة مسؤولا عن المنطقة الوسطى وعبد القادر الحسيني عن منطقــة القــدس". تــشير بلاغات عدة للمجاهدين الفلسطينين يوردها صافي صافي في دراسة حول بيت نبالا ان سكة الحديد تعرضت ما بين ٢٦- ٣٨/١٢/٢٩ الى نسف وتخريب ٤ مرات من قبل الثوار (فصيل خالد بن الوليد). وفي هذه الاثناء قتل الانجليــز الــشهيد علــي السكسك في وسط القرية داخل دار علي العيشاوي في قطع التبن. وقــد اختلفــت الروايات حول مقتل هذا الشاب الثائر، حيث يقول البعض انه كان مختبئا في التبن حين دخل عليه الانجليز وصاروا يغزون التبن بالحربة المثبتة في رأس البــارودة، ويقول اخرون بانه فضل اطلاق الرصاص على نفسه عن الاستسلام الذي يعقبــه الاعدام، وبعضهم يقول انه خرج من التبن وقتل على مصطبة البيت، وبعد مقتلــه حمله الانجليز الى دار المختار الحاج محمود حسين صالح الذي انكر طوال الوقت وجود السكسك، والقوا بجثته داخل الحوش (في قاع الدار) امام المختــار وعائلتــه وبناته واجبروه ان ينبطح فوق جثته وان يضع رأسه عند رأس القتيل حتى يقتلــوه فوقه لانكاره وجود السكسك في القرية. وقام احد الجنود باطلاق الرصاص علــى رأس القتيل علي السكسك فقط فتناثر الدم على وجه المختار الذي سبب لــه هــذا

الترويع عقدة في اللسان لمدة شهرين، بالاضافة الى مضاعفات مرضـــية اخـــرى، وهذا بشهادة ابنته الكبرى فاطمة الحاج محمود حسين التي كانت واقفة على الحدث تنظر بام عينها. لقد كان الانجليز يداهمون القرية في النهار وينزلون على بيــوت المخاتير ليستفسروا عن تواجد الثوار والمطلوبين ويأكلون الــدجاج واللحــوم ثــم ينصرفون بعد ان يكونوا قد زرعوا الشك بين الثوار والمخاتير. ويقول ابو الاديب بانه كان بين الثوار شخص اسمه العزوني ونسبه الى قرية عزون، والــذي كــان يروع المخاتير الذين يفتحون بيوتهم لدوريات الانجليز، حيث كان بعــض هــؤلاء المخاتير ينامون على اسطح البيوت المتصلة بعضها مع بعض ليتمكنوا من الهرب عندما تصلهم الاخبار عن وجود العزوني في القرية، والذي كان يشاع عنه بانه يقتل على الشبهات، فكان وضع المخاتير في تلك الفترة حرجا جدا، وقد عبرت فاطمــة الحاج عن وضع المخاتير هؤلاء عندما اشارت ان والدها قد اكل روح الخل في تلك الفترة.

لقد ساهمت بيت نبالا في اضراب ١٩٣٦، اذ امتنع اهلها كبقية الفلسطينين عن التوجه الى اشغالهم في الكسارات التي كانت تزود المنطقة الوسطى في فلسطين بالحصمة خصوصا التي يتم تحميلها بالقطار المعرض للنسف اثناء الثــورة. كمــا ساهم اهل القرية في دعم الثوار بايوائهم واطعامهم اثناء الليل وتزويدهم بالطعام عن طريق الرعيان او النساء وذلك خلال وجودهم في الكهوف اثناء النهار. كما كانوا يمدونهم بالمعلومات والمال ليتمكنوا من شراء السلاح والعتاد خــصوصا الــسلاح الطلياني الذي كان يتم تهريبه من ليبيا عبر مصر وصحراء سيناء. وعادت الامور بعد توقف احداث ١٩٣٦ الى ما كانت عليه في السابق وبدأ الهدوء يسود، وعــاد العمال والسكان الى اشغالهم بشكل اوسع من قبل، كما خلقت الحرب العالميــة الثانيــة فرص عمل جديدة، الامر الذي تطلب استيعاب العمال حتى من خارج فلسطين مثل

العمال الحوارنة (من حوران) والمصريين والسعوديين والاردنيين وذلـك بـسبب ازدياد الطلب على الحصمة اللازمة لمنشآت الانتداب البريطاني والـسكان الـذين انتعشت احوالهم الاقتصادية.

علاقة بيت نبالا مع اليهود :

لم يذكر المتقدمون في السن احداثا بارزة او احتكاكا ساخنا بين اهل القرية واليهود قبل عام ١٩٣٦، وكان يرد ذكرهم احيانا على السنة الناس خلال حـديثهم العابر في مجالات الطب او التجارة او العمل، كأن تقول احد الامهات بانها اخذت ابنها المريض الى يافا وعالجه الطبيب اليهودي بنيامين، او يرد على لسان صاحب كسارة انه نزل الى تل ابيب وشترى قطع غيار لماتور كسارته من عند شمعون بن عزرا، وكان يتخلل حديث اهل القرية بعض النوادر عن حياة اليهود الخاصة التي تتعلق بنظام حياتهم العائلية او لباسهم وقبعاتهم (كفارية)، او بعض الكلمات التـي تنبعث احيانا من افواه المتعصبين اليهود عن شريعة حقهم في فلسطين، اذ ما احتد النقاش بينهم وبين العرب. هذا النقاش الذي لم يثر حفيظة الناس البسطاء، ولم يعلقوا عليه اهمية تذكر، لجهل غالبيتهم بما كان يخطط له من مـستقبل لفلـسطين فـي المؤتمرات اليهودية التي عقدت في اوروبا والعودة التي منحت من بريطانيا اليهود، ولثقة السكان بعمق جذورهم في ارضهم وقراهم، خاصة وانه لم يكـن اي تمـاس حدودي بين اراضي بيت نبالا واي مستعمرة يهودية في المنطقة. وكـان الحـديث عن وجود اليهود في فلسطين لا يميزه اهل القرية الى من الناحية الدينية التـي لا تشوبها العداوة المطلقة، لدرجة ان بعض المستثمرين اليهود قد شارك سـكانا مـن القرية في مشاريع الكسارات او معامل الشيد (الجير). ونذكر في هذا الصدد اسماء لهؤلاء اليهود مثل بوكاج وديمانوس وهارون. وقد شارك بعض من هؤلاء الحـاج

حسن علي صالح ومصطفى طه صافي، كما ان حكومة الانتداب قد عينت طبيبا يهوديا للمركز الصحي في القرية، وحددت له اياما معروفة لزيارة القرية. ولكن بدأت، بعد ثورة ١٩٣٦ وما تبعها من وعي سياسي في اذهان الناس، الهوة تتعمق بين العرب واليهود، وقد ترتب على ذلك بروز حالات عدم الثقة وبالتالي عمليات الفرز واللملمة والحذر، ولم يحل ذلك دون استمرار علاقة العمل التي حكمت الطرفين بسلاسل تعتبر ضرورية من اجل التطوير في البناء والتجارة كأي علاقة بين قوميتين تعيشان في بقعة واحدة. وقد زاد الارتباط والاحتكاك بين سكان القرية واليهود بعد ان انشأ الانجليز الكمب عام ١٩٤٠، والذي استقطب الكثير من العمال اليهود والعرب الذين كانت غالبيتهم من بيت نبالا وبعض القرى المجاورة. وقد اجمعت الروايات ان اليهود شغلوا في الكمب وظائف ارفع من التي شغلها العرب. حيث كانوا يحتلون وظائف امناء مستودعات ومراقبي عمال (تشيكر)، اما الغالبية العظمى من العرب فكانوا يشغلون الاعمال الشاقة. ومن خلال الاحتكاك اليومي بدأت تفوح روح العنصرية خاصة من اليهود الوافدين من اوروبا او من البلاد العربية والذين قدموا الى فلسطين ليشغلوا مكانا على حساب الشعب الفلسطيني.

وفي عام ١٩٤٥ وقع حادث مؤلم في الكامب لشاب من دير طريف وهو المرحوم جميل سعيد حسن نصرة الطريفي من عائلة دار درس. وكان هذا حسب رواية صالح محمد عابد يعمل في الكمب بوظيفة امين مستودع في مخزن للبراغي والصماويل، وكان متعلما ويتكلم الانجليزية بطلاقة. "وفي يوم من الايام دخل عليه حارس يهودي يعمل في البوليس الانجليزي وبيده موس، وبكلام عادي سأله جميل الطريفي : لماذا تحمل هذا الموس؟ فاجابه الحارس اليهودي : لكي اقتل به المفتي تبعكم (الحاج امين الحسيني)، واشتد النقاش بين الطرفين وتطور الى صراخ – انسحب اليهودي بعدها وكنت اراقب النقاش بين الاثنين عن قرب دون ان اعرف

معناه بجهلي باللغة الانجليزية، وخمنت انه خلاف حاد عن طريق اشارات الايــدي وتعابير الوجوه. وبعد ان انصرف الحارس اليهودي سألت جميل عما دار بيــنهم، فشرح لي القصة، وقلت لجميل اني سأذهب الى الميجر الانجليزي لاتقدم بــشكوى ضد هذا اليهودي الذي يسبب لنا المضايقات فوافقني جميل على ذلك، وبالفعل ذهبــت الى مكتب الميجر ولكن مساعده قال لي انه مشغول وعليك الانتظار قليلا، ولكنني لم انتظر ورجعت الى عملي، وبعد قليل جائني مساعد الميجر الى مكــان عملــي وقال لي : لماذا لم تنتظر الميجر كما قلت لك؟ لقد فرغ من عمله وهــو ينتظــرك الان، فذهبت انا وجميل معا وقابلنا الميجر وشرحنا له عما نتعرض له من استفزاز من هذا الحارس بالذات، فتفهم الميجر الموضوع ووعدنا بنقل الحارس اليهودي الى مكان بعيد عن عملنا. وبالفعل تم نقله الى قسم اخر يسمى (الورك شوب) ولكنه ليس ببعيد كما تصورنا، وبعد اربع ايام من هذا الحادث وعندما ضرب الزامور في تمام الساعة الرابعة بعد الظهر معلنا انتهاء دوام العمال كنت انا عند جميل عندما بــدأ يغلق المستودع الذي كان يعمل فيه، وقال لي سوف اذهب لتسليم مفتاح المــستودع الى الضابط الانجليزي المسؤول عن جميع امنــاء المــستودعات وكــان اســمه (بورمان). وغادرت المكان للخروج من باب الكمب عائدا الى القرية، وبعد ان قام جميل بتسليم مفتاحه الى الضابط الانجليزي كان الحارس اليهودي بانتظــاره فــي مستودع اخر مسؤول عنه يهودي اخر اسمه (موسى فلاشر)، فقام الاثنان بمفاجــأة جميل عند باب المستودع وامسكا به ووضعا على رأسه كيسا من الخيش وخنقاه ثم حملا جثته والقيا بها في حفرة مراحيض امصاصية بعد ان خلعوا بلاتطهــا مــن مكانها ثم اعاداها كما كانت. وقد شاهدهما عامل عربي من قرية شقبة، وقد كتم هذا السر في البداية خوفا على حياته، واستمر اختفاء جميل ثلاثــة عــشر يومــا دون ان يعثروا له على اثر. وكان المرحوم يردد دائما قبل مقتله بانه يريد ان يسافر الى بيروت لاكمال تعليمه، وسافر جماعة من اقاربه الى بيروت للاستفسار مــن ابــن

القرية مصطفى سليمان امنة الذي كان يدرس في الجامة الامريكيـة انـذاك عـن جميل، ولكن مصطفى سليمان افادهم بانه لا علم له عن جميل. وقفـل الجماعـة عائدين الى دير طريف دون فائدة. وبعدها لجأ اهل جميل الى احد العرافات التـي قالت لهم بان جميل لا يزال موجودا في الكمب. وعندها طلب الشيخ عطـا وهـو مختار دير طريف، من ادارة الكمب المساعدة في البحث عن جميـل تحـت رزم الاخشاب وركام الحديد وفي المستودعات وفي كل مكان داخل الكمب، ولكنهم لـم يعثروا على شيء. وفي النهاية خطرت في ذهني فكرة البحث عنـه فـي الحفـر الامتصاصية، فلاحظت ان احد البلاطات كانت قد اعيدت الى مكانها بعد خلعهـا، فنظرت من فتحتها الى اسفل فوقع بصري على طرف المشمع الذي كـان يلبـسه جميل ايام الشتاء ليحمي ملابسه من البلل وقد كانت ايامها ايام الربيع، وأخذت قضيبا من الحديد ورحت احرك بين الاوساخ في اسفل الحفرة، فتأكدت من وجود الجثـة وقلت لهم هذا هو جميل. وبعد ان تم انتشال الجثة وشاع الخبر في الكمب انطلقـت بين العمال شرارة الغضب فهجموا على اليهود بمواسير وقضبان الحديد والخـشب وتم قتل سبعة منهم، فتوجه بقية اليهود في الكمب الى مستودعات السلاح في محاولة للاستيلاء عليه ولكن الميجر امر بتشديد الحراسة لمنعهم من الوصول اليه، ويقـال بانه قتل منهم ثلاث عندما حاولوا اخذ السلاح عنوة. وقد تعطل العمل يومها فـي الكمب وغادر جميع العمال الى قراهم لمنع وقوع المزيد من العنف، ثـم حـضر دكتور من الرملة ومعه انجليز مسلحون واخذوا معهم الجثة الـى مدينـة الرملـة لفحصها. وفي اليوم الثاني سلموها الى اهلها في دير طريف، وقد حـضر معظـم العمال جنازته التي كانت مهيبة وكان من المفروض ان يحضر الجنـازة الميجـر ولكنه تراجع في اللحظات الاخيرة خوفا من ثورة الخواطر التي مـن الممكـن ان تسبب له الاذى. وفي اليوم الثالث رجع العمال الى الكمب، ولكـن ادارة الكمـب قامت بترتيب جديد على الباب الغربي عند حاجز التفتيش بحيث يتم تفتيش العرب

على جانب من الباب وتفتيش اليهود على الجانب الاخر خوفا من الاحتكاك، وفـــي نفس اليوم حضر الى الكمب مفتش جرائم واسمه وديع مسعد ليقوم بالتحقيق في مقتل اليهود ولكن الميجر الانجليزي نصحه بعدم نبش بؤرة التوتر من جديد. مـــن هنـــا ترسخ التوتر والحقد بين العرب واليهود، وصار كل عامل من الطرفين لا يبتعد عن جماعته، وساد التعامل بينهم الحذر المطلق، وقد تم تعيين امين مستودع عربي بدلا من جميل واسمه محمد حسب الله من يافا".

وبعد هذا التاريخ بدأت المناوشات بين العمال العرب واليهــود خــصوصا خارج الكمب بعد انتهاء الدوام او قبل الدخول اليه.

بعد ذلك بدأت الاخبار تتوارد عن وقوع احداث في معظم انحاء فلــسطين، وبدأ اليهود يشددون من الحراسة على مستعمراتهم واصبحت الطرقات غير امنـــة لهم، وصارت المنظمات اليهودية تزيد من اســـتعدادها للمواجهـــة مـــع العـــرب، واصبحت بعض المستعمرات المحاطة في وسط عربي محاصرة نفسيا ولا يجـــرؤ سكانها على المجازفة في الخروج منها. ومع استعداد الانجليز للرحيل عن فلسطين اشتدت المواجهات الفعلية واصبح الكثير من اهل القرى يحملون السلاح لمواجهـــة عصابات اليهود التي هي مسلحة اصلا تحسبا لهذه المواجهات التي كانوا يتوقعونها مسبقا. وصار الناس يسمعون عن اعتداء اليهود على القرى العربية وعن تعـــاون اهالي هذه القرى للرد على هذه الاعتداءات. وكان يوجد الى الجنوب من اراضـــي القرية بالقرب من قرية الحديثة مستعمرة اسمها (بن شيمن) معروفة باسم (قبانية بن شمن) وقد انعزلت هذه المستعمرة عن بقية المجتمع اليهودي فنفدت منها الاغذيـــة، وقد طلبت بعض المنظمات اليهودية من الانجليز مرافقة وحراســـة قـــافلتهم التـــي ستنطلق من تل ابيب مرورا بسلمة والخيرية وساكية وكفرعانة والعباسية ومطار اللد

التي تحمل المؤن والذخائر الى مستعمرة بن شيمن المذكورة، وقد وصل اهالي بيت نبالا الخبر فاستعد الكثر منهم لاعتراض القافلة التي ستمر حتمـا مـن الطريـق الرئيسية المحاذية للقرية والتي تمر من باب الكمب. وقد نقصت الخبـرة الكافيـة هؤلاء الشباب حيث تمترس الكثير منهم خلف الحجر على جانب الطريق او في مكان مكشوف للنيران، وعندما بدأوا باطلاق النـار علـى قافلـة اليهـود المحروسـة بالمصفحات والعساكر الانجليز رد عليهم حراس القافلة بعنف، ويقال بأن المصفحة كانت تداهم الحجر الذي يختبيء خلفه الشاب، وقد سقط في تلك الموقعة عدد مـن الشهداء نذكر منهم :

١ – خليل محمود صافي ٥٠ سنة، كان مسلحا ويؤمن بالقتال ويتمنـى ان يمـوت شهيدا.

٢ – ايوب عبد القادر ايوب ١٨ سنة وكان مسلحا. وقد رفض والده ان يغسل دم ابنه من على يده حوالي مدة شهر من شدة حبه له.

٣ – موسى رشيد خليل البوله ٤٠ سنة كان مسلحا.

٤ – علي عبد المجيد طه ١٨ سنة كان راجعا من فلاحة الارض.

٥ – شحادة ٣٥ سنة وهو من قرية بيت نتيف وكان مرابعا عند ظاهر شقديح

كما القي القبض على سرحان عبيد الله وعلى محمد قاسميه واحمد سليمان امنة الذي جرح في هذه المعركة، وتم نقلهم الى مخفر اللد الذي كان قائـده اديـب الفارس من قرية طلوزة، وكان نائبه الشاويش عمران عمرو. وقد اطلـق سـراح الثلاثة في اليوم التالي.

ومع رحيل اخر جندي بريطاني عن فلسطين، اصبحت جميع البلاد علـى كف عفريت، وتصاعدت حدة المعارك، بين الفلسطينيين وعصابات اليهود، التـي

كانت مشكلة من تنظيمات الهاجاناه وشيترن، وعاى مستوى متقدم مـــن الجاهزيـــة القتالية، من حيث التدريب والسلاح الذي منحهم اياه الجيش البيريطاني قبل رحيله عن ارض فلسطين. وصار من المألوف للناس سماع الاخبار مع اشراقة كل صباح عن هجوم اليهود على العباسية او كفر عانة او الهمله (ولهلما). وقد قام الكثير من اهالي بيت نبالا بشراء البواريد والذخائر، بعد ان ضحى بعضهم بمصاغ زوجاتهم لتوفير المال. وكانت مجموعات منهم، تذهب في معظم الليالي، لمـــساعدة القـــرى التي يتم الهجوم عليها من قبل اليهود. وكان من المألوف لاهل القرية، ان يشاهدوا المسلحين من شبابهم، وهم عائدون الى بيوتهم عند كل صباح، او مـــع الـــضحى، بعد ان يكونوا قد ساهموا في المعارك بطريقة عشوائية مع اخوانهم فـــي القـــرى المجاورة ضد اليهود المهاجمين. وكان على رأس هؤلاء المناضلين، الشيخ حـــسن سلامة، الذي اتخذ من قرية دير طريف في البداية مقرا له، بعد رحيـــل الانجليـــز مباشرة، ثم نزل الى الكمب، واتخذ من مكاتب الضباط الانجليز مقرا له ولاتباعـــه القياديين، امثال السعيد حسن عثمان وحسين خليل يوسف وصالح محمـــد عابـــد، واحمد عليان وعفانة ياسين وحميدان مخلوف من بيت نبالا، ومحمد عبد الحميد (ابو زكي) من العباسية، ومحمد العبد من المزرعة. وقد اصبحت جميع مخلفات الجيش البريطاني في الكمب، ملكا للثورة، وقد سمح الشيخ حسن سلامة لاهل القرى مـــن الشمال الى الجنوب بشراء هذه المخلفات، مثل المواسير والزينكو والاخشاب والحديد والصاج، وكان البيع يتم بحمولة سيارة كاملة، وكانت نصف العائدات تذهب لـــدعم الثورة، ونصفها الاخر لاهل القرية، تعويضا لهم عـــن الاضـــرار التـــي لحقـــت باراضيهم التي اقيم عليها الكمب. وعلى هذا الاساس، قامت كل حمولة من حمائل البلد الاربعة، باخراج سيارة محملة بالمواد، بالتناوب والتـــساوي، وفـــي احـــدى المرات، قام ناصيف من حمولة دار النخلة، باخراج سيارة زيـــادة عـــن الحمائـــل الثلاثة، فغضب لذلك علي طالب الحيت، وقام باطلاق الرصاص علـــى اطـــارات

السيارة على باب الكمب، فارتطمت الرصاصات بالاسفلت، ورتدت علـــى ســاق مصطفى حسن حسين صالح (جاسر فتولة) فاصيب بجراح، وتـــم ارســـاله الـــى المستشفى في مدينة الرملة، ولم يخرج منه الى عشية ايام الرحيل وكانت ســـاقه لا تزال ملفوفة بالجبس.



الاثار والمقامات :

تعتبر فلسطين حسب التقسيمات الجغرافية، من ضمن العالم القـديم، التـي توالت عليها الموجات البشرية المختلفة منذ درج الانسان علـى سـطح الارض، فكانت محط انظار جميع الامم والاقوام التي انتظمت حول ملوكها على شكل دول وامبراطوريات، يطمع حكامها بالسيطرة على شعوب الارض القديمة، التي كانـت معروفة منذ فجر التاريخ، خاصة وانها كانت تمثل الجسر البري الوحيـد، الـذي يربط بين قارات العالم القديم الثلاث اسيا، اوروبا، وافريقيا. فكانـت بـذلك تلـك الارض، مثل مواطن النمل، التي تسير في مساربها، فتدوسـها اقـدام الجيـوش، وعربات الغزاة، التي كانت تعبر مفترق الطرق هذا على مر الـدهور. ولاتـزال بلادنا تعاني من هذه الظاهرة المتمثلة اليوم في الهجمة الصهيونية على فلسطين، وما ترتب عليها من مسح، وازالة تامة لكثير من القرى الفلسطينية. ويبدو انه ولكثـرة الويلات التي عانت منها الشعوب التي سكنت هذه الديار، ان نزلت فيها الـديانات السماوية الثلاث، للتخفيف من تلك الويلات، وتهذيب قساوة البشر. هـذه الاديـان، التي انتشرت على ارجاء واسعة من العالم، نتيجة لموقع مهدها المتوسـط الـذي اختاره الله، بعكس الديانات الكثيرة الاخرى التي ظهرة في القارات وبقيت معزولة متقوقعة على نفسها. ويمكن تشبيه ارض فلسطين بصورة اخرى، كرمال الـشاطئ الناعمة المستوية، التي ترسم عليها الانامل خطوطا فنية، فتـأتي عليهـا موجـات البحر العاتية لتمحوها من جديد.

وبيت نبالا، هي جزء من الارض الفلسطينية، وكان لموقعها المميـز فـي الوسط، وتوفر شروط الحياة في محيطها، دافع قوي لتناوب الاستيطان في سهولها وتلالها، هذا التواجد، الذي ترك اثارا باقية، تعكس حضارة الاقوام التـي توالـت

على سكن القرية. فقبل ان تصل مخالب الغيلان الى معالم القرية قبل عام ١٩٤٨، كانت تقف اثارها شامخة، خالدة، ناطقة باصالة البقعة. فلا يمرن التاريخ على هذه القرية مرور الكرام، فقد دفعت الثمن غاليا ضريبة لموقعها.

ومن ابرز المقامات والمعالم الاثرية في القرية ما يلي :

١- مقام السلطان عبد القادر : وهو مسجد القرية الرئيسي، يقع الى الغرب منها، في الزاوية الجنوبية الشرقية من ارض المقبرة، له باحة واسعة، يقوم على طرفها الجنوبي بناء المسجد بأروقته القوسية. اما المقام فيقع في الجهة الغربية منها، وهو عبارة عن غرفة كبيرة تفتح نحو الشرق، وينزل اليها بثلاث درجات، يتوسط مستبطها قبر السلطان عبد القادر. ويحيط بالساحة من الجهة الشمالة سور طويل، على ارتفاع قامة الرجل، مشيد بالحجارة والشيد، كما تحيط بالساحة من الخارج شمالا وغربا، القبور العالية، المدلوسة ظهورها بالشيد على شكل بيضاوي. وتقوم المئذنة في الزاوية الشمالية الشرقية، وهي منفصلة عن بناء المسجد، اذ يبلغ ارتفاعها حوالي ٢٠ مترا، وهي حديثة العهد، وتم تشيدها في مطلع الاربعينيات، مبنية من الحجر القاسي المسمسم وقاعدتها مضلعة الشكل، يصعد بداخلها درج لولبي يفضي عند قمتها الى منصة دائرية، محاطة بدربزين حديد، يدور فيها المؤذن بحرية. وتفتح بوابة ساحة المسجد الرئيسية نحو الشرق، ولا بد للداخل اليها، ان ينزل على درجات عريضة وواسعة على شكل مصاطب، تقع على يمينها بعض قبور الصالحين من اصحاب الكرامات من احفاد الشيخ امين، التي اقتصرت خدمة المقام والمسجد على عائلتهم، وتعود هذه الاسرة التقية في اصلها الى قرية البرير، الواقعة في وسط المنطقة الشرقية بين عسقلان وغزة. ومن هذه القبور، قبر الشيخ محمد حسن الشيخ امين، الذي توفي

وهو في ريعان الشباب دون ان ينجب اولادا، وقد عادة ارملته الى قريتها الاصلية، دير طريف، وكان اهل البلد، يعتبرونه من العلماء الصالحين. كذلك قبر شقيقه خالد، الذي كان ضريرا، ولم يتزوج، والمتوفيان هما اخوان الشيخ يوسف حسن، احفاد الشيخ امين، وكان تحيط بقبريهما شجيرات الخروع والسموة، وتستعملان في العلاج. لقد كان للسلطان عبد القادر مكانة خاصة في نفوس اهل القرية، وقد كانوا يقرنون الحلف به مع الذات الالهية، فيقولون (وحياة سيدي عبد القادر، والرب القادر).

٢- المسجد العمري : وهو مسجد قديم جدا، وقد سماه اهل القرية بهذا الاسم تخليدا لاسم الخليفة الراشدي، عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. يقع بالقرب من دار مغاوش، في حارة دار النخلة، في الجزء الشرقي من البلد، وكانت الحمولة، تستغله كمضافة في كثير من الاحيان، خاصة بعد ان تم تحويل مضافة البلد الرئيسية الى مدرسة، اضافة الى فترات عقوق كانت تهب على القرية من حين لاخر مخلفة وراءها زفرات من الجفاء الموسمي. وكان ضيوف دار النخلة ينامون فيه احيانا، وتخرج لهم عائلاتهم الطعام. وظل هكذا، حتى وجدت الدواوين حيث اقتصر استخدامه للغرض الرئيسي الذي أنشأ من اجله، وهو الصلاة.

٣- مقام الشيخ ابراهيم : يقع شرق القرية، بين دار اسماعيل الغزاوي ودار عبد الجليل عودة.

٤- مقام سعد وسعيد : يقع في خربة بيت قوفا البائدة، القريبة من القرية، وهو عبارة عن بقعة صغيرة، محاطة باشجار السدر الكبيرة، يوجد في وسطها رواق صغير معقود يشبه المغارة، يضاء بسراج الزيت وفاء لنذر منذورة. وقد تشتت اهل هذه الخربة في اواخر العهد العثماني لظروف امنية، وقد لجأ بعضهم الى بيت نبالا، مثل دار علي نحله، ودار سرحان احمد حسين، وبعضهم لجأ الى

قرية عجول قضاء رام الله، مثل دار العتريس، وذهب البعض الاخر الى قرية عارورة.

٥- مقام الصحابي الجليل، علي بن مالك، (سيدنا علي مالكينا) : يقع هذا المقام في الخربة الشامية، الى الشمال من القرية، في ارض دار عيسى صبحا. وهو من بقايا قرية مندثرة، وعبارة عن بيت قديم، مقام على قبر الصحابي الجليل، علي بن مالك، محاط بالابار الكفرية القديمة، واشجار الزيتون الكثيفة، ونباتات الحنظل، التي تنتج ثمارا يشبه البطيخ الصغير، طعمه مر كالعلقم. ونادرا ما كانت تضيئه النساء ليلا، نظرا لبعده عن القرية، ولوقوعه في مكان موحش تكثر فيه الحيوانات المفترسة، كالذئاب والضباع، وبنات اوى. وكانت غالبية النذر له تتم في العادة، عن طريق ذبح الذبائح بجانبه، حيث كانت بعض الاسر، تأخذ معها رأسا من الغنم، وتذبحه وتتطبخه مع سميد القمح بالقرب من المقام، وتقدم الطعام لافراد العائلة والاصدقاء من المدعويين، وكانت بعض النساء، تقوم سنويا بابقاء النذر بالذبيحة عند هذا المقام، مثل الحاجة مياسة، زوجة محمود دعوس، حتي يطيل الله من عمر ابنها الصبري، بعد ان فقدت قبله الكثير من الاطفال. كما ساد اعتقاد راسخ بين اهل القرية، بضرورة عدم قطع الاشجار القريبة من المقام على شكل حطب من اجل الوقود، لان ذلك سيكون مجلبة للمصائب وموت اطفال من يمس الاشجار بسوء.

٦- مقام ست النسب : يقع في الجزء الشمالي من القرية، وهو عبارة عن مغارة طبيعية في الصخر على شكل غرفة. ينزل اليها عدة درجات، ويقال ان اسم ست النسب الحقيقي هو، زينب وست النسب بدل اسم، للدلالة على عفة وطهارة نسبها. وكان مقامها يحظا باضائته في معظم الليالي بسرج الزيت لقربه من بيوت القرية، كما كان على كل من يدخل مقامها ان يقف على باب المغارة، ويقول (دستور يا ست النسب، يلي بتحاسبي كل الحسب). كما

يوجد بالقرب منها مقام الداهودية، وهو عبارة عن مدخل معقود عقد عربي ومدفون تحت الارض، ولم يبقى منه الى جزء صغير يقود الى دهليز تحت الارض.

٧- راس ابو يعقوب : وقد اشرنا اليه سابقا، وهو عبارة عن عمودين مستطيلين وتقابلين في موقع شرق القرية، في ارض دار ابراهيم صافي قطيفان، ويعتقد بانهما بقايا مدخل قصر او بوابة قلعة قديمة. والموقع معروف لاهل القرية، باسم خوابي الغولة او راس حبوبة، وكان يتردد عليه السياح من حين لاخر.

٨- بعنة : اثارخربة مندثرة، تقع في الجزء الشرقي من اراضي القرية، وعلى حدود اراضي قرية قبية، يظهر منها بقايا جدران مبنية بحجارة هندسية كبيرة، كما تتناثر حجارتها هنا وهناك، ويعجب معظم اهل القرية، كيف كان اصحاب هذه الخربة يحملون تلك الحجارة الضخمة الى مكانها في البناء، ويبدو من هندسة حجارتها انها اقيمة في السابق على ايدي مهندسين ذوي خبرة عالية.

٩- دسرة : تقع شمال شرق القرية، على حدود اراضي قرية قبية ايضا وهي عبارة عن مساكن جماعية عديدة متقاربة منحوتة في الصخور، وبداخلها طاقات لوضع سراج الاضاءة عليها، وتفتح ابواب هذه المساكن على ارض فسيحة، تتوصتها بركة كبيرة منحوتة في الصخر. يطلق عليها اهل القرية اسم (بركة الوقع)، تمتليء بالماء كل شتاء، وتبقى فيها على مدار العام. وتقول امنة العيشاوي ان اهل القرية كانوا يسقون حلالهم منها في مواسم الرعي.

يعتقد بعض اهل القرية، ان القبائل اليهودية، ربما استوطنوا دسره وبعنة وراس ابو يعقوب قبل اندثار دولتهم، وتقول امنة احمد العيشاوي، باننا سمعنا من ابائنا وامهاتنا، بأن المرأة اليهودية، كانت تغني لطفلها وهي تلاعبه في السرير،

حيث تقول : متى تكبر يا فرخي، وتقيم العدة والشرخي (البلطة)، وترجـــع دســـرة وبعنه، وتملك راس حبوبة.







الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية



الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

كانت الحياة الاقتصادية السائدة في بيت نبالا تشبه الى حد بعيد الحياة الاقتصادية في معظم القرى الفلسطينية وخاصة ابناء الحكم العثماني الذي استمر حوالي (٤٠٠) سنة. وتمثلت اهمية الارض بالنسة للفلاح وللدولة، وبأن شكلت مصدر للدخل الاساسي للدولة، المحور الذي تصاغ حوله الحياة الريفية. ولا تقف الارض مصنفا، اقتصاديا فقط وانما تعتبر العظم الذي ينبت فوقه لحم ونسيج العلاقات الاجتماعية، وبكلمة : الارض هي الحياة بصورها المختلفة.

وبناءعلى ما تقدم فلا بد من الحديث عن هذه الارض، وشكل ملكيتها وادارتها. فقد كانت السياسة المتبعة في الدولة العثمانية تقوم على ان ملكية الارض تعود للدولة. ولكن في القرن التاسع عشر، قامت الحكومة بادخال نظام الالتزام الذي اصبحت بموجبه ملكية الارض تقوم على ركائز اساسية هي : الدولة نفسها الممثلة في الاقطاعيين من مدنيين وعسكريين (المتعهدين)، ثم الفلاحين. فكانت الدولة هي المالك الحقيقي للارض، ولها الحق في جمع الضرائب والرسوم والاعشار من الفلاحون بواسطة الملتزمين (المتعهدين)، اما الفلاحون فكان عليهم زراعة الارض ورعي الماشية مقابل التزامات معينة يؤدونها لصاحب الارض (الدولة) عن طريق الملتزمين بالتعهد كدفع الضرائب والاتاوات، ولقد اطلق على استغلال الفلاحين للارض اسم (التصرف) بمعنى الحيازة وليس الملكية [١] . فالفلاحون يعملون في الارض ويدفعون الضرائب ويقدمون الجنود. وعلى هذا فان حق التصرف يبقى شبه وراثي ينتقل من الاب الى الابن، وبطبيعة الحال فان الفلاحين الذين ظلوا يشكلون اغلبية السكان ويعملون في الارض كمستأجرين

وتنحصر علاقتهم في الانتفاع بهذه الارض والتصرف بها تحت رحمت الملتزمين والاقطاعيين المتعهدين، فمن الطبيعي ان تظل احوالهم سيئة، وكـــانوا كثيـــرا مـــا يتعرضون لعمليات التعسف والاضطهاد.

ولكن وفي فترة حكم ابراهيم باشا للبلاد (١٨٣٠-١٨٤٠) حصل تغير في هذا النمط، وذلك بالغاء نظام الالتزام في جباية الضرائب، حيث امر بجبايتها بشكل مباشر [٢]. وفي ٧ رمضان ١٢٧٤ هـ/١٨٥٨م اصدرت الدولة العثمانية قـــانون الاراضي الذي تضمن ١٣٢ مادة وخاتمة، والذي كان اول قانون يـــصدر بـــشأن الاراضي ويعتبر نقلة نوعية في تعامل السلطة العثمانية مع موضـــوع الاراضـــي وملكيتها. فقد سمح القانون المذكور بالملكية الخاصة للاراضـــي، وجـــواز حـــق التصرف فيها بيعا وشراء ولكن بعد ان يكون قد اشتراها من الدولة بثمن كبير. وقد ساعد هذا القانون على تطوير الملكية الخاصة للاراضي وجعلها بضاعة متداولـــة، وربما كان القصد منه تحفيز الفلاحين على العناية بالارض وزيادة انتاجها.

شكل ملكية الارض في بيت نبالا :

كان نظام ملكية الارض مطبقا في قريـــة بيـــت نبـــالا كـــسائر القـــرى الفلسطينية، ولكن بعد ان اصدرت الدولة العثمانية قانون الاراضي الجديـــد ســـنة ١٨٥٨ الذي اجاز للفلاحين شراء الاراضي، لم يقم اي من اهل القرية بالـــشراء، بل بقيت الارض مستغلة من قبل السكان عن طريق المشاع بالتناوب بين الحمائـــل الاربعة، فكان اهل القرية يقومون بتقسيم اراضيها سنويا من سهل وجبل الى ثلاثة اقسام رئيسية وذلك على الحمائل الثلاث زيد وصافي ونخلة، اما الحمولة الرابعـــة وهم الشراقة فكانوا يعطون حصصا على رؤوس الموارس المقسمة بين الحمائـــل

الثلاث. وقد ظلت هذه الطريقة هي المتبعة في تقسيم وفلاحة الارض حتى وقت متأخر. بل واكثر من هذا ملكية بعض اشجار الزيتون المعمرة كانت تعود احيانا لعائلات غير المالك الجديد للارض (قبل الفرز)، ومن ثم فقد ظل هؤلاء يجنون ثمار اشجارهم المزروعة في ارض الغير بعد الفرز، واستمرت هذه الظاهرة حتى الرحيل.

وفي عهد الانتداب البرطاني عمل هربرت صموئيل المندوب السامي البيرطاني الاول على تغير القوانين العثمانية واصدار قوانين جديدة لتسهيل انتقال الاراضي لليهود في فلسطين بشكل عام، وقد حذا المندوب السامون التالون حذوه. فقد صدر في هذا الحقل : قانون تسوية حقوق ملكية الاراضي الذي حد نسبيا من نظام المشاع. فاذا كان ٧٠% من الاراضي الفلسطينية عام ١٩١٨ مشاعا، فان هذه النسبة اخذت بالتقلص تدريجيا لتصل الى ٥٦% عام ١٩٢٣، و ٤٦% عام ١٩٢٩، و ٤٠% عام ١٩٤٠ (٣) .

ولما كان نظام المشاع في احد جوانبه يشكل عائقا امام بيع وشراء الاراضي بما في ذلك لليهود نظرا لعدم افرازها وتسجيلها باسماء اصحابها، فقد اصدرت الحكومة الفلسطينية في ٣٠ ايار ١٩٢٨ قانون التسوية، وعلى اثر ذلك قامت حكومة الانتداب بعد هذا التاريخ بوضع حدود عامة لاراضي كل قرية في فلسطين عن طريق لجان تم تشكيلها لهذا الغرض، وقد اعتمدت هذه اللجان في تخطيط الحدود بين القرية والاخرى خطوط تقسيم المياه او قيعان الاودية في المنخفضات او الطرق الرومانية. بالرغم من ان الحدود بين القرى كانت معروفة



خارطة تقسيم الاراضي
في قضاء الرملة واللد
لعام ١٩٤٥
طولكرم
نابلس
رام الله
القدس
الخليل
غزة
يافا
اللد
الرملة
مجدل صادق
رنتيس
شقبة
قبية
بدرس
نعلين
المديا
عنابة
جمزو
القباب
بيت نوبا
بيت جيز
بشيت
يبنة
مغار
عاقر
نعانة
أبو شوشة
القبيبة
المنصورة
خلدة
صيدون
قزازة
جيليا
عجنجول
تقسيم الأراضي في قضاء الرملة واللد في عهد الانتداب البريطاني
حدود أراضي القرية.
حدود الألوية.
موقع قرية بيت نبالا.
أعاد رسمها : عبد الرحيم المدور
مركز الأبحاث / جامعة بيرزيت
مقياس رسم : ١ / ٢٧٠,٠٠٠

خارطة

اسماء ومواقع اراضي القرية



لاهلها الا انه لم يكن لتلك الحدود الصفة الرسمية القانونية. وانطلاقـا مـن روح القانون الجديد فقد وضعت حكومت الانتداب في الثلاثينيات خرائط بين عليها مخطط كل قرية (انظر خارطة تقسيم اراضي فلسطين). وكانت القطعة هي الوحدة الثابتة للمساحة والتسجيل.

وقد حضر اول فريق مساحة الى القرية في اواخر عـام ١٩٣٥ برئاسـة المرحوم عبد القادر الحسيني (القائد الفلسطيني المعروف)، حيث نصبوا خيامهم في ارض الوسطة غرب المدرسة وباشروا باعمال المسح والافراز، ولكن عبد القـادر الحسيني لم يلبث ان التحق بالثورة التي اشتعلت عام ١٩٣٦، وقد خلفه في رئاسـة الفريق شكري صالح المعلم (ابو سهيل) من قرية عابود، ثم السيد بشير الرفـاعي اخو سمير الرفاعي رئيس وزراء الاردن لاحقا، حيث اكمل الفريق عملية الافراز على جمبع الاراضي القرية.

ونتيجة لعدم قدرة بعض الاسر على ادارة وفلاحة حصصها التي حـصلت عليها بعد الفرز. فقد قامت هذه الاسر ببيعها لاسر اخرى ميسورة من نفس القرية، ولم تتجاوز هذه النسبة ١٠% من اراضي القريـة. ونتيجـة لـذلك، فقـد ظهـر كبار الملاكين، وخاصة ان بعضهم قد اشترى اراضي من اهل القرية المجـاورة، مثل الحاج محمود دعوس، ودار احمد كمنة قطيفان، ودار الحاج حسين صالح الذين اشتروا اراضي العدسية من اهالي قرية رنتيس، كما اشترى بعضهم الكثيـر مـن اراضي قرية قبية، مثل راس الاقرع الذي اشتراه دار الحاج حسين ودار ابو يقين، ومرج الحيلة الذي اشتراه موسى سليمان ومحمـود احمـد مـصلح، وام العمـدة، واشتراها احمد العرايشي، واراضي السحبان، واشتراها رشيد حسن صافي، كمـا اشتروا دار زبن جبل من اهالي قرية بدرس الذي يطلق عليه اهل البلدة اسم باطن

زبن. واشترى علي فرحة كرم عيد من اهالي قرية الحديثة (انظر خارطة اسماء مواقع اراضي البلد الورفقة).

يقول احمد سليمان داود ان اراضي قرية بيت نبالا تتميز عن غيرها من القرى، بانه لا توجد فيها ايه املاك تعود لاهل القرى المجاورة، باستثناء قطع صغيرة جدا على الاطراف البعيدة من اراضي جنداس الملاصقة لمدينة اللد التي تم بيعها لعائلات دار حسونة، ودار ابو رجب على اعتبار انها قطع مجاورة وضرورية لاهل اللد. كما تشير سجلات اراضي فلسطين ان ملكية ارض القرية كانت عام ١٩٤٥، تعود بالكامل للعرب، بحيث لم تسجل هنا عمليات بيع اراضي لليهود.

الزراعة وتربية المواشي :

الزراعة وتربية الماشية اصيلة وتقليدية في قرية بيت نبالا، وتشير الدفاتر العثمانية لعام ١٥٩٦ الى ان ما تم تحصيله من ضرائب في قرية بيت نبالا قد بلغ في ذلك العام ٨٦٦٦ اقجة (عملة عثمانية بقية في التداول ما بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر). وتشير تلك الدفاتر الى ان حجم تلك الضرائب تعادل ٣٣,٣% من قيمة حاصل الناتج الزراعي في القرية، ولو قمنا بمقارنة هذا الرقم مع القرى اخرى كانت تابعة في ذلك الوقت لناحية الرملة، لوجدنا ان قرية بيت نبالا كانت من اهم عشر قرى من مجموع ٧٠ قرية تابعة للناحية. وان القرى التي تفوقت عليها كانت كفر عانة ويازور والعباسية وصرفند وعابود وبيت دجن.

وقد وزعت هذه الضرائب المجنية بالاقجة كما يلي (٤) :

٢٧٠٠ عن القمح

٢٥٠٠ عن الشعير

٢٥٠٠ عن الكروم والمحاصيل الصيفية

٣٨٨ عن الماشية

١٢ عن معصرة الزيت

٨٦٦٦ المجموع

واستمرت الزراعة حتى عام ١٩٤٨ تشكل الانتاج الرئيسي في بيت نبالا، وذلك بسبب خصوبة تربتها المنتمية الى تربة البحر المتوسط، وهي الطفلية الحمراء التي توجد فيها المزروعات المختلفة، عدا عن تضاريس ارض القرية السهلية والجبلية. وكانت جميع اراضي القرية البالغة مساحتها (١٥,٠٥١) دونما، تكاد لا تخلوا من المزروعات، حيث تشير سجلات استغلال الاراضي في فلسطين ان مساحة الارض المزروعة في بيت نبالا قد وصلة عام ١٩٤٥ الى ١٢١٥٨ دونما [٥] ، وهو ما يعادل ٨٠,٧% من مجموع اراضي القرية. وقد بلغ مجموع ما هو مزروع من اراضي القرية بالاشجار المثمرة ١٩٥٩ دونما [٦]، اي قرابة ١٦% من مجموع المساحة المستغلة زراعيا. ومن اهم الشجيرات في القرية الزيتون والحمضيات والتين والعنب، وقد قدرت مساحة الاراضي المزروعة بالزيتون بما فيها التي اشتراها بعض الميسورون من اهل بيت نبالا من اراضي بدرس ورنتيس وغيرها بحوالي ٢٦٨٠ دونما، معظمها في المناطق المرتفعة، كما بلغت مساحة بيارات الحمضيات المروية بمياه الابار الارتوازية ٢٢٦ دونما. اما باقي الاراضي، فكانت تزرع بالحبوب، مثل القمح والشعير والذرة البيضاء والسمسم والعدس والكرسنة والفول والحمص والبازيلاء، او بالخضراوات، مثل

البصل والثوم والمقاثي المعروفة بالخيار والفقوس والباميـــة والبنـــدورة والبطـــيخ والكوسا والخروش. وقد اتخذت المحاصيل الزراعية التي كان ينتجها الفلاح النبالي شكلين متمايزين، الشكل الاول اقتصادي، ويتمثل في بيع الفائض منه الـــذي زرع في الاساس لاجله مثل زيت الزيتون والقمح والسمسم والذرة والحمضيات والخيار والفقوس، التي كان يتم بيعها في سوق (البرين) فـــي مدينـــة اللـــد. امـــا الـــشكل الثاني فهو للاستهلاك الذاتي مثل البندورة والبامية والبصل والثوم، وكانـــت هـــذه الاصناف تزرع عادة في قطع الاراضي الصغيرة القريبة من البيوت على اطراف القرية.

لقد اشتهرت بيت نبالا بزراعة الزيتون، ويقال بان القرية هـــي المـــوطن الاصلي للزيتون النبالي الذي لا يزال يحمل اسمها، ثم انتقل الى منطقة نابلس، ومن ثم الى معظم بلاد الشام، وهو اكثر انواع الزيتون الفلسطيني انتشارا، ويعتبر مـــن اجود الانواع من صغر حجم النواة واكتناز الحبة بالزيت.

وتحتل قرية بيت نبالا المرتبة الثانية بعد اللد في لواء يافا وقـــضائي اللـــد والرملة في زراعة الزيتون، ويتفق كبار السن من اهل القرية على القول بان عدد جرار الزيت كان يصل في السنة الماسية الى اربعة عـــشر الـــف جـــرة، ومـــن المعروف عند الفلاحين ان سعة الجرة عشرة ارطال او ثلاثين كيلو زيـــت. وقـــد كانت المرحومة جدتي الحاجة مشايخ ايوب (١٨٨٠ – ١٩٧٨) زوجة الحاج كايد حسين صالح تقول : انه في بعض السنوات لم يبقى متسع من مصطبة بيتها (١٠* ٥) م سوى مكان نومها وسرير ابنها فقط وذلك لكثرة الجرار المليئة بالزيت بعـــد الموسم.

لقد اتبعت حكومت الانتداب البيرطاني شتى الاساليب لضرب اشكال الانتاج الزراعي عند الفلاح الفلسطيني، لعله يتخلى عن ارضه ويبعها لليهود، بـــدءا مـــن تحديد اراضي المدن والقرى وافرازها بين الاهالي من اجل تسهيل عملية البيـــع، مرورا بضرب سعر قمح الفلاح في الاسواق المحلية عن طريق اغراقها بالطحين الاسترالي رخيص الثمن، وتوفير فرص عمل لاهل البلد بـــانخراطهم فـــي ســـلك البوليس، او العمل في الكمبات او النافي والوظائف الاخرى، ولكن اهل بيت نبـــالا تخطوا مؤامرة ضرب سعر القمح وذلك بالتنويع في الزراعة، ومن هنـــا دخلـــت زراعة الحمضيات والاشجار الاخرى والخضار الى القرية، التي اعتبر العديد منها من الزراعة الاقتصادية البديلة لتجارة القمح الذي اخذ الفلاح يزرعـــه لاســـتهلاكه الذاتي بالاساس. وبهذه الطريقة ابدع الفلاح النبالي في توفير المال اللازم لتغطيـــة نفقات كسوة عياله وقضاء حاجاته الضرورية.

وبقدر اهتمام بيت نبالا بالزراعة، فقد اهتموا بالثروة الحيوانية حيث بلـــغ عدد رؤوس الاغنام عام ١٩٣٠ حوالي ١٥ الف راس من الغنم، ونخفض هذا العدد عام ١٩٤٦ ليصل الى ٤٤٥٠ رأسا، ويرجع السبب في ذلك الى انشغال اهل القرية في مجالات اخرى مثل عمل الكسارات والعمالة في الكمب والنافي، بينما بلغ عدد رؤس الابقار عام ١٩٤٦ حوالي ٨٦٠ راسا كـــان لا يخلـــو بيـــت واحـــد مـــن الابقار التي كانت بمعدل رأسين لكل بيت لاهميتها في اعمال الحراثة وادرار الحليب [٧] ، وقد كانت هذه الابقار تنتظم مع بزوغ كل فجر مع احد قطعان العجال الـــذي يتولى رعايتها احد الرعاة مقابل عدد من مسحات القمح او الذرة. واذا مـــا فقـــدت احد رؤوس الماشية، كان اصحابها يذهبون الى احد الشيوخ ليقسم عليها بواســـطة سكين ويقرأ عليه لكي يبعد خطر الحيوانات المفترسة عنها. كما اهتم اهل القريـــة بجميع انواع الطيور مثل الدجاج والحمام والبط والاوز، فكانت بيـــضة الدجاجـــة

بمثابة قوة شرائية لدى جميع ربات البيوت، ولا تقل اهمية عن العملة في شراء الحاجات الضرورية للبيت مثل الكبريت والملح وابرة البابور والسكر والشاي وعلب الزعوط التي كانت تنشقها معظم النساء وخاصة العجائز وبعض الرجال. فكانت معظم النساء والاطفال يقضون حاجاتهم من الدكاكين عن طريق المبادلة بالبيض الذي كان يورده صاحب الدكان في اليوم التالي الى مدينة اللد او يسلقها ويبيعها بواسطة اخرين الى العمال على باب الكمب.

ان التشعب والتوسع في عمل الرجل النبالي بسبب وجود الكسارات والكمب لم يؤثر كثيرا على مستوى انتاجه الزراعي لانه لجأ الى استخدام الخدامين (المرابعية) الذين كانوا يأتون الى القرية من جبال الخليل والقدس ونابلس والسعودية والعراق احيانا. وكانت معظم البيوت لا تخلوا من واحد منهم حيث يعيش مع الاسرة ويأكل ويشرب معها ويتولى الاعمال الزراعية في الارض ورعاية البقر، وتعشيتها في فصل الربيع في مواسم الولادة وادرار اللبن، مقابل طعامه وكسوته واجر متفق عليه عن العام كامل. وكان الكثير يستمرون مع الاسر سنوات عديدة، وقد اعتادت بعض الاسر على وجودهم بدرجة كبيرة، وقد استشهد منهم اثنان اثناء مرور قافلة اليهود من باب الكمب تحت حماية الانجليز، وهم شحادة وعلي عندما كانا عائدين من حقول مخدوميهما. كما ونذكر من هؤلاء المرابعية القدومي وابو البصل وهو سعودي وكان اسمه محمد ظاهر ولكنه سمي بابو البصل لان مخدومه قد طلب منه في بداية عمله معه ان يذهب الى الحقل لتعشيب البصل. ولما لم يكن يعرف معنى التعشيب قام بخلع البصل المزروع جميعه وحمله معه الى بيت مخدومه، فانتاب الاسرة الغضب الممزوج بالطرافة واطلقوا عليه اسم ابو البصل وقد عمل محمد ظاهر قبل الرحيل مع دا الحاج محمود حسين صالح وهاجر معهم الى قرية جلجلية قرب سنجل، وأحصي معهم في وكالة الغوث الدولية للاجئين

وتزوج من نفس القرية التي لجأ اليها مع الاسرة، ثم سافر الى الكويت مع ابنائها وانجب اولادا وبناتا وظلت علاقته مع اسرة مخدومه قوية، وخاصة من سافر منهم الى الكويت للعمل، الى ان تعرف عليه اهله السعوديون وحصل على جنسية سعودية ثم توفاه الله بعد ان رجع الى بلاده بوقت قصير. كذلك نذكر فوزي العراقي الذي اخرج نمسا من خم دجاجات الحاجة حسن غانم زوجة الحاج كايد حسين، ولحق به حتى قتله في زقة ضيقة مركونة بالحجارة وبقايا التنك والخشب ومحصورة بين جدار ماكنة زيت دار الحاج حسين صالح من الجهة الغربية وبين جدار بيت زهرة عزارة ام المرحوم محمد شنيور.

كان اهل القرية يستخدمون عود الحراث، الذي تجره الدواب في حراثة الارض السطحية الممثلة في حرثتين خلال السنة، وهما الكراب أول الشتاء، والثانية في فصل الربيع للقضاء على الاعشاب. وكان يجر عود الحراث الخشبي زوج من البقر او الثيران القوية العنيدة التي ذاع صيتها في القرية مثل ثور دار ابو خضرة الذي كان يضرب به المثل، حتى ان البعض كان يصف فلانا من الناس بأنه مثل ثور دار ابو خضرة لضخامته وعدم لباقته في التصرف. كما كانوا يستخدمون الجمال والحمير والبغال في الحراثة. اما الحراثة العميقة او ما يسميه اهل البلد القلابة، فكانوا يستعملون لذلك محراثا حديدا تجره زوج من البغال وخاصة في الاراضي السهلية الواقعة في الجهة الغربية من الكمب لتطهيرها من نبات السوس الذي كان يقتلعه الفتية والبنات الصغار ويدقون عرقه بحجر وينقعونه في الماء المحلى بالسكر ويضعونه في زجاجة فارغة ويشربونه عوضا عن المشروبات الغازية هذه الايام. لقد كان هذا النوع من الحراثة ضروريا في بعض الاحيان في اراضي السهل التي كانت تتشقق في فصل الصيف خصوصا في السنوات التي يكون فيها معدل هطول الامطار كبيرا، لكي يشكل التراب المتفكك المنثور على وجه

الارض طبقة عازلة تحول دون تبخر رطوبة الارض خاصة اذا كان الفلاح يعدها لزراعة الماصيل الصيفية مثل الذرة البيضاء والسمسم والمقــاثي، واذكــر قــول والدي المرحوم خليل كايد حسين بان العرابيد والافاعي الكبيرة كانت تخرج مــن الشقوق مع سكت المحراث فيقبض عليها بواسطة الشاعوب الذي ينظف به ســكة المحراث من كتل التراب، ثو يقوم بربطها من وسطها بطرف خيط من المصيص ويربط طرفه الاخر بوتد في الارض ثم يتركها حية في العراء لتأكلهــا الطيــور الجارحة التي تكشفها من اعالي الجو.

وفي بعض الاحيان استخدم الفلاح النبالي المحراث الحديدي الكبير الــذي تجره اربعة بغال، وهذه الحراثة كانت تستخدم في السهل وهي الاقرب الى الجرار الزراعي.

لقد استخدم اهل القرية التراكتور الزراعي في حراثة الارض لاول مرة عام ١٩٣٨ وذلك عن طريق استئجاره من اهالي قرية العباســية، وكــذلك الحــصادة والدراسة التي تفصل الحب عن التبن، ولم يقتن اي منهم هذه الاليات بتاتــا حتــى رحيلهم عن قريتهم. وقد بلغت اجرة حراثة الدونم الواحد ربع جنيه فلسطيني، وقد اقتصر عمل الجرارات على الاراضي السهلية في الغالب.

كان الفلاح النبالي يحسب حساب البذار اللازمة من القمح والشعير والذرة والسمسم وغيرها من الحبوب لموسم الزراعة الجديد، فكان يأخذ هذه البــذار مــن رأس كوم غلة كل سنة ويخزنه ويحافظ عليه ثم يتصرف بالباقي لاستهلاك اسرته في السنة، او خزنه في المطامير والخوابي لــسنوات المحــل المتوقعــة، او بيــع الفائض منه بطريقة المقايضة مع اهل الجبل بالقطين والزبيب.

كان الفلاح النبالي يقدر اهمية السماد العضوي لـــلارض كثيـــرا، فكانـــت الغالبية العظمى من نساء القرية يقمن في الصباح الباكر بعد خروج العجال بكناسة روث البقر وبقية المواشي من داخل البيت او قاع الدار ويجمعنه في سلال كبيـــرة منسوجة من زبط الزيتون ويحملنه على رؤوسهن ليلقين بما فيه فوق المزابل التي تخص الاسرة، حيث كان لكل اسرة مزبلة بعيدة عن البيوت، ويتم تـــسميد الارض بها بعد تخمرها مع بداية كل موسم زراعي. وكانت هذه المزابل تعتبر من معـــالم القرية حيث يقولون : مزبلة دار فلان ومزبلة دار علان.

اما السماد الكيماوي فقد دخل قرية بيت نابالا عام ١٩٣٥، وكان الاهـــالي يشترونه معبأ في شوالات مختومة سعة الواحد منها مائة كيلو، مدموغ عليعا مـــن الخارج بالعربي والانجليزي والعبري(حن، وايزمن، لد، فلسطين). امـــا بالنـــسبة للامراض والحشرات التي كانت تهاجم المزروعات وتفتك بها احيانا، فقـــد عـــانى الفلاح النبالي منها كثيرا في بعض السنوات دون ان تساعده جهـــة رســـمية فـــي مكافحتها، وانما كان اهل القرية يكافحون بطريقة بدائية مثل التقاط الجراد وســـلقه واكله او قتله من اجل ان يتقي شره. وكثيرا ما كان الفلاح يستسلم للحمرة التي تفلـــح موارس القمح نتيجة شتوة نيسان دون ان يجد وسيلة لمكافحتها فيبلعها ساكتا صابرا لاعتقاده بانها من ثوابت القضاء والقدر.

لقد كانت الاعمال الزراعية المختلفة تشغل الفلاح طيلة ايام السنة تقريبا، فلـــم يكد ينتهي من زراعة وتعشيب وحصاد المحاصيل الشتوية حتى يدخل من جديد في شقاء المحاصيل الصيفية، عدا عن العناية بالمواشي والدواجن التي تـــشغله علـــى مدار العام، فكان عفير القمح والشعير والكرسنة يبدأ في اواخر شهر تشرين الاول

واوائل شهر تشرين الثاني يتزامن ايضا مع جداد الزيتــون، امــا قطاعــة الــذرة البيضاء، ففي شهر اب، ثم تليه قلاعة السمسم في اوائل شهر ايلول.



الحرف الصناعية في القرية :

طحن الحبوب :

شكلت الاراضي المزروعة بالحبوب في القرية ٨٣,٩% مـن مجموعـة الاراضي المزروعة فيها عام ١٩٤٥ [٨] ، ومن الطبيعي ان يكون طحن الحبـوب هواحد شواغلها الرئيسية. وقد استخدمت في الماضي (قبـل دخـول الالـة الـى فلسطين) مطاحن الحجر البيتية، الموجودة في كل بيت، ثم توجه الناس الى مدينـة اللد عند ظهور المطاحن الالية فيها حتى اقيمة اول مطحنة آلية عام ١٩٣٠ علـى بير البلد كما اشرنا سابقا، وكان يشرف عليه في هذه الفترة محمد سالم قطيفان الذي يعمل فني صيانة (مكنست). ولكن بعد خمس سنوات تقريبا اختلف اهـل القريـة على وجود المطحنة بجانب البير، وقامو بتقديم شكوى الى سـلطة الـصحة فـي حكومة الانتداب، وادعوا فيها بان بعض الفئران والجرادين البتي تعيش على بقايـا الحبوب والطحين داخل المطحنة تسقط في البير، فامرت الحكومة بوقـف عمـل المطحنة والابقاء على الموتور لضخ المياه من البير. وعلى اثر ذلك قام الشيخ عطا الطريفي بانشاء مطحنة حبوب في دير طريف، وتحول اهل القرية بطحن حبـوبهم فيها، بالرغم من هذا، فان مطحنة بير البلد لم تغلق تماما، بل كانت تدور في الليل من وراء السلطة وتطحن للاصدقاء الذي كان ابو الفخري يأمن جانبهم بعدم تبليـغ السلطات التي امرت بوقفها. وفي عام ١٩٤٠، انشـأ الحـاج محمـود سـليمان اقطيفان واخوانه مطحنة جديدة وحديثة في طرف القرية من الجهة الغربية امـام دار حسين خليل عيوش ودار فارس دامه مباشرة، وكان يشرف عليها (المكنست) مـصطفى دولة من يافا، الذي لم يستمر طويلا، اذ حل محله محمد سـالم بـكر بعد ان تـرك

العمل على بير البلد الذي تسلم ادارته من بعده السعيد الشبوب ابن سليمان الـــسعيد الذي عمل عليه سابقا، والذي ظل عليه حتى وقت الرحيل. وقد عمل مع محمد سالم في بابور الطحين الجديد، كل من احمد خالد صافي (الكـــلاب). ومحمـــود شـــتات (التكروري) وسيف الدين. وقد استمرت مدخنة المطحنة تصفر فيما يشبه العويـــل اثناء هجرة الناس نحو الشرق باتجاه قرية بدرس، اما بابور الطحين فقد ظل فـــي مكانه بين ركب نبات الصبر الذي يمد اكفه بثبات مثل ايوب ويبتسم بحزن مـــن خـــلال زهره الاصفر كلما قدم احد من اهل القرية لزيارة اطلالها، ليعلن له من جديد بان النزوح عن الوطن لا يورث للانسان سوى الحياة المجبولة بالذل.



عصر الزيتون :

كان وجود الزيت والزيتون في البيوت مقرونا بوجود الماء والهــواء للاســرة، وبمعنا اخر فانه من المستحيل خلو بيت واحد في القرية من هذه المادة الاساســية في الطعام على مدار العام، والذي يأتي في الدرجة الثانية بعد الخبز بــل ويعتبــر توأمه الابدي في حياة الفلاح، والطعام الاول للرضيع بعد الفطام. فكانــت نــساء القرية يقمن بكبس الزيتون في جرار من الفخار، ثم يضعن في فوهة الجرة خرقــة مكعبرة على شكل كرة ويختمنها بدقموس من الطين لمنع تسرب الهواء الى الكبيس المخلوط بقرون الفلفل الغليظة وقطع الليمون الحادقة. اما الزيت فكان يتم خزنه في جرار فخارية ايضا او في براميل كبيرة تحتفظ بها الاسرة لهذه الغاية. وكانت كل اسره تحتفظ بابريق فخاري تضع فيه الزيت الذي تستعمله في حياتها اليومية يسمى كعكوز الزيت، يجلس على مقعده مصنوعة من طين الحور المعجون بالتبن علــى حافة المصطبة حتى يكون في متناول الجميع.

اما عصر الزيت فكان في السابق يدرس ويعصر بطرية بدائيــة بواســطة رحى حجرية كبيرة يديرها البغل او الجمل، وكان في القرية مــا يقــارب عــشرة معاصر التي يمكن تصنيفها الى ثلاث انواع وهي :

١ – البدود القديمة المهجورة (مفردها بد) التي بناها الاباء والاجداد قديما بطريقــة تشبه بناء الملاجيء العسكرية تحت الارض وهي ذات مــداخل مرتفعــة وتميــل ارضيتها بانحدار خفيف نحو الداخل. وكان اهل القرية يلجأون اليها ايام الحــروب خصوصا خلال المعركة الفاصلة التي وقعت بين الاتراك والانجليز في نهاية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨، وقبيل ترحيل الاهالي الى مدينةاللد حيث سكنوا هناك في بدودها ويواخيرها التي كانت تنغل بقراد البقر والاغنام. ومــن بــدود القريــة

المهجورة بد دار شقديح، وبد آخر قديم يقع تحت الشارع العام شـرق دار خليـل عيسى صالح، خلف مضافة البلد منة الجهة الجنوبية الذي هفت تحت حوافر بغلـة حكمة محمد خليل شقديح وهو راكب على ظهرها ليجد نفسه فجأة مع البغلة في قاع البد ولكن الله بعنايته قدر ولطف، وكن ذلك قبل سنوات قليلة من الهجرة. ويـسمى هذا البد بد الدهليز.

٢ – معاصر الزيتون نصف الالية (ماكنات الزيت): كان بعضها متوقف عن العمل قبل الرحيل، مثل ماكنة دار الحاج حسين صالح، وبعضها الاخر يعمل مثل ماكنـة احمد علي فرحة وماكنة عبد الرحمن عساف. وماكنـة عطـا موسـى وشـركاه، وماكنت حسين خليل عيدة.

٣ – عصارة آلية (بابور الزيت): وهو الوحيد من نوعه في البلد وكان يدار بواسطة موتور ومكبس حديث حيث تم تأسيسه عام ١٩٣٦، يعرفه اهل القرية ببابور زيت دارعلي صالح، الى انه في الواقع شركة مساهمة، ومن اكبر المساهمين فيه الحاج محمود سليمان قطيفان، ويقع شرق دار خليل كايد الجديدة مباشرة.

صناعة الادوات الزراعية :

من المعروف منذ الازل ان مسرح العمليات الزراعية دائما هـــي الارض التي تتأثر بمناخ الفصل السائد خلال السنة، من حيث جفاف التربة وما يعقبها مـــن تماسك في قشرة الارض او رخاوتها عند هطول الامطار، وما يترتب عليها مـــن انبات لاجنة بذور الاعشاب التي تفرض حياتها متزاحمة على القشرة الارضية بقوة مستجدة، من احدى اساسيات الوجود، الا وهي صراع البقاء ومن هنا فقد اســـتخدم الفلاح النبالي الادوات الزراعية التي تعينه على زراعة وحصاد محاصيله ومحاربة الاعشاب البرية التي تعيق زراعة هذه المحاصيل بنفس النمط الذي كان سائدا فـــي فلسطين، بل ومعظم بلاد الشام بغض النظر عن اختلاف طفيف فـــي شـــكل هـــذه الادوات ومسمياتها. فقد استخدم المحاريـــث لتحريـــك التربـــة وادوات القطـــاف والحصاد، ثم ادوات التحويل من درس وهرس وعصر وعجن وشواء في ســـبيل الحصول على اللقمة التي تمد شرايينه بالحياة.

فاستعمل المحراث الخشبي الذي يسميه الفلاح "عود الحراث" الـــذي كـــان يصنعه من جذوع اشجار الزيتون والبلوط ذات الانحنائات الخاصة التـــي تناســـب شكل المحراث المكون من عدة اجزاء وهي : الكابوسة التي يقبض عليه الفلاح بيده اثناء الحرث، والمركبة على رأس عمود خشبي طوله حوالي متر يـــسمى الـــذكر، والمثبت في طرف قطعة خشبية بنفس الطول وتكون ملاصقة للارض بشكل افقي اثناء الحراثة وتسمى الفجلة، والملبس رأسها الامامي بسكة المحراث الحديدية. كما تتداخل مع الفجلة عند مؤخرة السكة قطعة خشبية منحنية تشبه ماســـورة المـــدفع المنصوب وتسمى البرك، والذي يربط طرفه الامامي مع وسط نير صـــغير مـــن الخشب ليوازن بين السحابات الواصلة بطرفيه والمربوطتين الى الحواة التي تطوق

صدر الدابة والمصنوعة من الجلد على شكل مخدة. كما كانت تغمم عينـا الدابـة بغمامات من الجلد لتظل تنظر امامها في خط مستقيم وتحجب عنها حركت السوط التي كانت تجفلها وتربكها اثناء الحراثة. هذا في حالة الحراثة على دابـة واحـدة، اما اذا كانت الحراثة على زوج من البقر او الحمير اوالبغال، فيوضع على رقبـة الدابتين نير كبير طوله متران، ويثبت في منتصفه رأس البرك بمسمار كبير مـن الحديد يسمى الجارور، ويحبك حوله حبل قوي مصنوع من امعاء الحيوانات يسمى الشرعة، وذلك من اجل تسهيل عملية التحرك والدوران للدواب والة الحراثة التـي تشبه عمل الاذرع التي تصل المقود بعجلات السيارة الامامية. كما يمسك الفـلاح بيده الاخرى اثناء الحراثة عصى ينتهي طرفها الاخر بشعبة حديدية تسمى الشاعوب, والذي يستعمله لتنظيف سكة المحراث الحديدية من كتل التراب الرطبة التي تتكدر عليها اثناء شق التربة. كما كان يستعمل المساس الطويل لنهر الدواب.

لقد كان الفلاح يقوم بحراثة ارضه مرتين في السنة، الكراب والثناية، امـا تعشيب حقول الحبوب والخضراوات فكان يتم باستخدام الفؤوس او طريقة القلـع. وقد برع من اهل القرية في صناعة المحاريث الخشبية كل من عبد الرحمن ايوب وابراهيم محمود احمد مصلح.

لقد استعمل الفلاح النبالي طريقتين في بذار ارضه. كان في الاولى، يعفر البذار على الارض، ثم يحرثها او يعفر البذار في الارض المحروثة ثم يعيد عليها. اما في الثانية، فكان يثبت على عود الحراث خلف السكة مباشرة بوصة عموديـة مفرغة ينتهي طرفها العلوي بقمع معدني(محقان)، يلقمه بقبضته حفنات البذار التي يأخذها من كيس معلق على صدره.

اما حصاد القمح والشعير والذرة البيضاء، فكان يـتم بواسـطة اسـتعمال المنجل المعكوف والسحلية، اما السمسم فكان حصاده يتم بطريقة نزعه مع جذوره من الارض، وتسمى هذه العملية 'قلاعة السمسم' . وقـد اسـتأجر اهـل القريـة حصادات اهل العباسية على نطاق ضيق في بداية الاربعينيات.

اما فصل حب القمح والشعير عن القش فكان يتم بطريقة الدراس على البيـدر (النوادرة)، حيث يفرش القش على شكل دائرة قطرها حوالي عشرة امتار ثم تدور فوقها دابتان او اكثر مربوطة الى بعضها بحبل في اعناقها يتبعها صاحبها، وهـذه اكثر الطرق بدائية، او ان تقوم دابة واحدة او اثنتان بجر لوح الدراس المثبت فـي اسفله قطع مسننة من الحديد لهرس القش، او بجر النورج خلفها بدلا من اللـوح. والنورج يشبه في شكله مقعد طلبة المدارس بدون طاولة امامه ومثبت فوقه مظلـة لتقي الفلاح من حرارة الشمس، ويسير على عدة عجـلات مـسننة مـن الـصاج السميك، حيث يجلس على مقعده الفلاح ويدور به على طرحه القش تبعـا لـدورة الدابة التي تجره. اما هرس اعواد الذرة فكان يتم بفرشها في الشارع العام بعد نزع العرانيس منها، لتقوم اقدام المارة على هرسها واحالتها الى قصول يستعمل في زبل الطابون.

كان الفلاح يستعمل الدقران في ترداد القش المتناثر على اطراف الطرحـة بين الحين والحين لاعادته الى دوامة الهرس من جديد، كما كان يحمل بيده المنخاز وهو عبارة عن عصا طويلة مثبت في نهايتها مسمار ينخز بها الدواب التي تتباطأ في السير، واذا ما انتهى الفلاح النبالي من هرس طرحته فانه يجمعها على شـكل هرم ويبدأ في تذريتها بواسطة المذارة التي ينثر بها القش المهروس الى اعلى في مهب الريح ليطير التبن على بعد قليل ويرجع الحب الـى مكانـه عنـد الـسقوط

ويختلف الدقران عن المذراه بان فمه مصنوع من الحديد، اما كفة المذراة واصابعها فمن الخشب. وبعد هذا كله يقوم الفلاح بفصل ما تبقى من عقد القش الثقيلة عن الحب بواسطة الكربالة والسرادة واللتين تشبهان الغربال مع اتساع اكثر في فتحات شباكهما. ولا ننسى الغربال الذي يفصل بواسطته الحب عن ذرات التراب والحصى. واخيرا المكيال المسمى (المسحة) التي كانت سعتها(١٥ كليو غرام) ويستعملها الناس كمعيار عند البيع والشراء او المقايضة باجر او مهور النساء عند الزواج. حيث يقال بان مهر النسية زوجة السعيد حسن عثمان من قرية قبية كان مسحة واحدة من الذرة في احدى سنوات المحل التي اجتاحة البلاد. كما كان الحلاق يحلق للولد على الصفر على مدار العام مقابل مسحة من القمح اوالشعير او الذرة.

كانت عمليت نقل محاصيل الحبوب المحصودة الى البيدر (النوادرة) تتم بواسطة عربات تسير على عجلات خشبية مطوقة بالحديد تجرها الخيول، وكانت هذه العربات تتراءى للناظر عن بعد وهي محملة بالقش كأنها كوخ كبير يسير في الطريق، وقد يبلغ ارتفاعها عن الارض احيانا حوالي اربعة امتار كما كانت الجمال تستعمل كثيرا في نقل القش وذلك عن طريق لفه داخل شبكة كبيرة محبوكة من الحبال القوية وتشبك خطاطيفها الخشبية بفتحات الشبكة نفسها التي تبدو للناظر عن بعد وهي محملة على ظهر الجمل كأنها شجرة ضخمة جافة الاغصان تسير في الطريق.

كان اهل القرية يستعملون سلالم الخشب العالية في قطاف الزيتون والجدادات الطويلة بعد ان يفرشوا تحت الشجرة قطعا من الخيش او الملاحف

القديمة لتسهيل عملية التلقيط المضنية التي كانت في العادة من عمل النساء والفتية والفتيات.

ولا يفوتنا هنا الحديث عن قطاعة الصبر التي تشبه في شكلها علبة الفـــول المعدنية ولكن اطول مرتين، وهي عبارة عن اسطوانة مفتوحة الجانبين ومثبتة على رأس عصا طويلة وتستعمل لقطف اكواز الصبر خصوصا العلية منها، ولتجنـــب الفلاح اذى شوكه الصغير الذي كان ينشه ابن القرية بحزمة من نبات الغار او نبات الخلة المنثور حول اشجار الصبر.



الادوات المنزلية :

كانت الادوات المستعملة في دور القرية بسيطة جدا، وهيه اقرب الى الحضارات القديمة منها الى الصرعات العصرية الحديثة. وكانت معظم نساء القرية تصنع ادواتها المنزلية بنفسها من المواد المتوفره حولها من الطبيعة، وتدخلها في استعمالاتها اليومية باستثناء الادوات الصعبة التي لا يصتطيع الفلاح صنعها، كونها منتوجات حرفية ذات اختصاصي فني وصناعي التي كان الفلاح يشتريها من اسواق اللد والرملة، ويمكن تقسيم هذه المواد التي صنعت منها هذه الادوات الى تسعة اقسام وهي :

١ – الفخاريات : وكان يتم شراؤها من الاسواق في المدن او من الباعه المتجولين في القرى، ومن هذه الادوات ما كان يستعمل لحفظ الماء او الزيت، مثل الجرة الكبيرة والعسلية والزير والهشة والشربة والكراز والابريق والكعكوز. وكانت اذا ما كسرت بعض هذه الادوات فان المرأة تحافظ على نصفها الاسفل الذي يسمى القحفة وتستعمله لحاجات اخرى وخاصة لسحق الزعوط بواسطة دحموس الحجر او مشرب للدجاج. ومن الفخاريات ما كان يستعمل للطبخ مثل القدرة والطباخية وقصرية المفتول، ومنها ما يستعمل لحفظ اللبن والحليب كالطوس والبكولة والبوشة وصحون الطعام المختلفة.

٢ – طين الحور : كانت نساء القرية تحصل عليه من مناجم خاصة تسمى المحاور وقد وجدت في الغالب على اطراف البلد. وقد تحولت هذه المحاور مع المدة الى كهوف بسبب نحت الناس المتوالي لجدرانها للحصول على تربة بيضاء لها عرق مثل عرق العجين، والذي كان يمزج مع التبن لتصنع منه النساء ساسات الطوابين، وكوانين النار، والخوابي، ومقاعد الاباريق على حواف المصاطب، وحوامل

الفراش، ومذاود الدواب في قاع البيت، والرفوف المزخرفة، ومقعد السراج، والطاقات التي تخبئ فيها المرأة حاجات المنزل كالكبريت والملح والصابون وعلب الزعوط والمكاحل واحيانا القروش. كما كانت النساء تعمل من هذا الحور طاقات لأسراب الحمام في مكان مرتفع يصعب على القطط وصوله وذلك خوفا على الزغاليل.

٣ – القش : والمقصود بالقش هنا القصبة العليا الخالية من العقد من نبات القمح الجاف المطروح على النوادرة بعد الحصاد، حيث كانت الصبايا والنساء ينشطن في هذه الفترة بالتقشيش قبل عملية الدراس، ويذهبن في مجموعات الى النوادرة، واذا ما سألهن احد في الطريق : (وين رايحات ؟ يقلن : رايحين نقشش). ثم يرجعن بضمام القش الى البوت ويحتفظن بها حتى تحين الفرصة للقيام باعمال (النسيج) وخاصة في الايام الماطرة التي تقل فيها الاعمال الزراعية، حيث يقمن بنقع القش في الماء ثم صبغه بالالوان المختلفة استعدادا لصنع الاطباق التي توضع عليها الصحون عند وجبات الطعام، كما يصنعن المطاحن والمقاطف والاقداح والقبعات المختلفة الاحجام التي يحفظ في بعضها البيض او الحلويات او الطحين مثل قبعة التقريص، والملواط وهو عبارة عن قبعة لها علاقة، ثم القوطة وهي بحجم البطيخة الكبيرة وتشبه في شكلها حبة الكمثري ولها فتحة بحجم قبضة اليد عند العنق، تحفظ المرأة النبالية فيها لوازم الخياطة من خيطان ملاحف وخيطان مجفرة وابر وكرارات وطبب الحرير وعشراويات القايا والازرار وقطع القماش اللازمة لترقيع الملابس، واحيانا الشفرات الحادة اللازمة للتقطيع.

٤ – الخشب : معظم الادوات المنزلية المصنوعة من الخشب كانت تشترى في الغالب من اسواق المدن باستثناء اسرة الاطفال الصغار التي كان يصنعها عبد الرحمن ايوب، ومن هذه الادوات : باطية العجين، وكرمية الفتات والهنابة والمغرفة ومهابيش القهوة.

٥ – اغصان الشجر : لقد تفننت نساء بيت نبالا في عمل السلال الكبيرة من اغصان الاشجار وبالذات من الافرع المائية التي تنبت على عروق اشجار الزيتون المسماه (مطارق الزبط). وكانت هذه السلال تستعمل في الغالب لنقل الزبل على رؤوس النساء الى المزابل المترامية على اطراف البلد، او لتزبيل الطابون بالقصول. كما اتقنت النساء صنع القرطلات الكبيرة والملاقط الصغيرة التي كانت تستعمل لجمع التين والبندورة وحب الزيتون وبعض الفواكه. كما كان يصنع من هذه الاغصان اقفاص الدجاج التي تباع في المدن، او لمبيت الدجاج داخل البيوت خشية ان يأكلها النمس، او تجنبا لبرودة الخم في ايام الشتاء الذي كان يسبب لها الورم في ارجلها احيانا.

٦ – المعادن : مثل طاحونة القهوة اليدوية، وطاسة الرجفة، والمكاحل، والسكاكين (الخوصة) وبوابير الكاز، والحلل النحاسية والاناجر (الناسف). والملاعق المعدنية التي كانت لا تظهر في البيوت الا عند وجود ضيوف وخاصة الرسميين من كبار الموظفين وفرسان حكومة الانتداب المعروفين لاهل القرية باسم (الدولة) . وقد كان وجودهم في ضيافة احد المخاتير يعزز من مكانته على حساب مختار اخر مما يثير حفيظته ويؤدي بالتالي الى الفتنة والفساد التي كانت تنتهي بالطوشات. كان مبيض النحاس يزور البلد سنويا ويتخذ من ساحة مضافة القرية مقرا له، وتأتيه النساء بهذه الادوات ليعمل على تبيضها، وكان يشاهده الجميع بلباسه القذر ووجه المتسخ الموشح بالبقع والخطوط السوداء التي تحيط بعينه الناصعتي البياض، وكان الاولاد الصغار يرقبونه بدهشة وخوف وهو يضع قدميه السوداوين العاريتين في قاع الحلة مسندا راحتيه على جدار المضافة وهو يحرك جذعه وارادفه يمنة ويسرة على شكل نصف دائرة.

٧ – الجلد : مثل سعن اللبن (الشكوة)، التي لا يزال اهل الريف والبدو يستعملونها حتى الان لخض اللبن للحصول على السمن والزبدة ولبن المخيض، حيث تعلق هذه

الشكوة بعد اغلاقها في منصب خشبي دي ثلاثة ارجل للقيام باعمال الخض التـــي تمارسها النساء الكبار امام البيوت مع كل صباح يحيط بهن الاحفاد الصغار المبللة صدورهم باللبن. كما كان يصنع من جلد الجراب وهو يشبه الشكوة، ولكنه اصغر قليلا، ويستعمل لحفظ الخبز ليظل طريا عندما يأخذه الفلاح معه في مواسم الحراثة والزراعة الى حقله البعيد خاصة في ايام الشرد المعروفة برياح الخماسين.

٨ – الزجاج : يتمثل ذلك في المرايا الصغيرة، وكاسات الشاي، وفناجين القهــوة، ودوارق النراجيل التي لم يتغير جوهرها حتى الان سوى قليل من حيث الــشكل. كذلك عصارة الليمون اليدوية التي لا تزال تستعمل حتى الان في معظــم البيــوت ولكنها تصنع اليوم من مادة البلاستيك والميلامين.

٩ – العظم : كالامشاط العريضة المربعة الشكل، وبعض الاغوشة التــي تــضعها النساء في معاصم اليدين للزينة، او تعلق بخيط في رقاب الاطفال لاعتقاد ذويهــم بأنها تشفيهم من الذبحة الصدرية. وقد كان الفتيات والفتيان يجمعون العظــام مــن الطرقات ومن اطراف القرية عن المزابل ويبيعونها لتجار متجولين يجوبون القرى لجمعها، مقابل قطع صغيرة من اللبان العربي، ثم يقوم هؤلاء بتصنيعها في المــدن وبيعها الى الفلاحين على شكل امشاط وغيرها.

الطرق والمواصلات :

ترتبط قرية بيت نبالا بالمدن والقرى المجاورة كبقية البلدان عبر مجموعــة مــن الطرق الخارجية، علاوة على مجموعة من الطرق الداخليــة التــي تتفــرع مــن الشوارع الرئيسية وتصل البيوت بعضها ببعض، كما تصل بــالمرافق الحيويــة، كالمضافات وجامع القرية والمقبرة والساحات العامة والمطــامير والمقيــل، والى

المرافق الاخرى في اطراف البلد، كالمدرسة والنوادرتين، الشامية والسطح، وبير البلد والكسارات، وتمتد الى ابعد من ذلك، لتصل الحقول المحيطة بالقرية، فهي اما مستقيمة في الارض السهلية، او ملتوية وحادة النزول او الارتفاع في الجبل، مثل الطريق المؤدية الى الخربة الشامية عبر كتف جبل النقارة الشرقي. وتحتل هذه الطرق بما فيها الاودية ٤٦٨ دونما من مجمل اراضي القرية البالغة ١٥٠٥١ دونما.

لم تكن الطرق الداخلية معبدة، ولا مرصوفة، لكنها متماسكة وخالية من الحجارة والحصى، بعكس الطرق التي تنحدر من اطرافها التي تتخللها الاخاديد المنحوتة من جريان مياه المطر، حيث تناثرت فيها الحجارة الصغيرة، ومخلفات اهل البلد من علب الصفيح الصدئة، وبقايا الاحذية البالية، وعيدان الحطب المتكسرة تحت اقدام المارة من ناس ودواب، مثل طريق السحيلة، والطرق النافذة الى احد النوادرتين، كانت هذه الطرق في مجملها عريضة، خاصة الشوارع الرئيسية، ويتروح عرضها من (٥-٦) امتار، وتسمح لسيارات الشحن وعربات الخشب ان تمر منها بالراحة.

كانت المنطقة المحيطة بالباب الشرقي للكمب والمدرسة وبير البلد من اكثر المناطق حيوية للقرية، تشبه في اهميتها بالنسبة للبلد محطات السكك الحديدية في المدن، حيث ضمت بعض المقاهي والمطاعم وبائعي الفلافل والسحلب والبليلة والسجائر الانجليزية المهربة من النافي داخل الكمب، اضافة الى الصحف المحلية. وقد تجمع عادة هنا العمال الفلسطينيون والعرب قبل دخولهم باب الكمب، كما اعتبرت هذه المنطقة محطة ركوب السيارات الى المدن والقرى المختلفة. ويمر

منها الشارع العام المسفلت قادما من قرية دير طريف في الشمال، ويستمر محاذيا لسياج الكمب من الجهه الشرقية باتجاه مدينتي اللد والرملة قبل ان يصل قرية الحديثة. كما يتفرع من باب الكمب شارع معبد يتجه شرقا نحو قرية بدرس، يحاذي عند بدايته سياج المدرسة من طرفها الجنوني، حيث يفصل بينها وبين كمب السمران. كما تنطلق من هذه المنطقة طريق ترابي عريضة محاذية لسياج الكمب من الجهة الشمالية تؤدي الى مدينة اللد، وتعتبر من اسهل الطرق الزراعية التي تقود الى سهول القرية الغربية، مثل اراضي جنداس وبسامة والهدفة وشعاب الخطيب، كما تمرهذه الطريق ببير البلد بعد تفرعها بخمسين مترا فقط، ويفصل بينه وبين الكمب، وتمر أيضا بالقرب منها في الجهة الشمالية وصلة سكة الحديد المنتهية عند الطرنشة، التي اقامها الانجليز لنقل الدبش والحصمة في عربات القطار الى جميع انحاء فلسطين في عاع ١٩٢٥م وفق ما جاء في دراسة سمارة الرنتيسي غير المنشورة عن القرية. ومن قلب هذه المنطقة تتفرع طرق البلد الرئيسية باتجاه الشرق التي تقود الى مدخل القرية الغربية، وهي ترابية وغير معبدة (انظر مخطط البلدة المرفق). وأولها الطريق الذي يمر بين باب المدرسة الشمالي وبين ارض مصطفى الحيت، ويستمر حتى يقطع وادي كريكعة، ثم يسير مع حدود تعميرة دار نمر زهرة المحفوفة بركب الصبر ونبات القريص، حتى يدخل القرية صعودا من باب دار موسى كاكا فدار صافي طه. وبعدها يتشعب نحو الشرق مرورا من باب دار تامر والى الشمال من باب دار احمد الخيري. كما ينطلق من نفس المنطقة الحيوية المذكورة بل ونفس النقطة طريق ترابي اخر اكثر اهمية موازي للاول من الناحية الشمالية يقطع وادي كريكعة ويخترق ما بين ارض الحمرية جنوبا وقطاع الجندي شمالا حتى يصل بداية المقبرة، وعنها يتشعب منه طريق نحو الشمال باتجاه بير الخليل والنوادرة الشامية، اما هو، فيستمر بالصعود نحو مدخل البلد حتى يصل زاوية الحاج كايد حسين، ومن هناك يتفرع منه طريق

باتجاه جامع السلطان عبد القادر جنوبا، وبابور الطحين والنوادرة الشامية شـــمالا، واما استمراه فيقود الى ساحة المطامير امام قهوة عيسى الحاج ودار العتلة ودكان رشيد الخطيب مرورا بدكان البهلول وبيوت دار قطيفان نحـــو الـــشرق. وجـــدير بالذكر ان الشارع الرئيسي الذي يبدأ من باب جامع السلطان عبد القادر ويتجه شرقا حتى اخر القرية يعتبر اهم شارع فيها ويبلغ عرضه في المناطق الـــضيقة خمـــسة امتار ثم ينتفخ في اماكن اخرى كثيرة كالمنطفة المحيطة بدار الزغلول، ويـــستمر هذا الشارع ليخرج من منتصف شرق البلد حتى يقود الى قرية شقيبة، كما يخـــرج منها شارع في الجه الشمالية الشرقية يؤدي الى قرية رنتيس.

لقد تكررت ظاهرة عزل بيت نبالا عن المناطق المحيطة بها ما عدا الجهة الجبلية الشرقية في السنوات الماطرة، وذلك بسبب ارتفـــاع منـــسوب الميـــاه فـــي الواديين المحيطين بالقرية، التي كانت تجرف معها احيانا ركب الـــصبر واشـــجار الزيتون المحاذية لها، اضافة الى رؤس الماشية وبعض اهل القرية مثل بنت ابـــو السيد.

لقد كانت مياه الواديين تمر تحت الاسفلت عبر جسرين على مسافة قصيرة من بعضهما من بعض، ثم يتحدان في مجرى عريض منبسط مليء بشجيرات الغار دائمة الخضرة التي كانت تعمل منها الشعوب القديمة اكاليل النصر. وقد تغنت نساء بيت نبالا بهذه الشجيرة ابان الثورات الفلسطينية المتعاقبة، نذكر منها اغنية : حسن سلامة رابط في غزة، من اول طلق وقع طيارة.

وقد كان يتعذر على السيارات او عربات الخشب التي تجرها الخيول دخول القرية ما دامت المياه الحمراء بلون الطين تتدفق سريعة في مجرى الـــواديين، الا

انه كان هناك معبر للمشات من فوق الاسفلت بين الجسرين يقود الى ارض موحلة في قطاع الجندي على ضفة وادي كريكعة الشمالية توصل الى البلد. وغالبا ما كانت تحف هذه الطرق على الجانبين اشجار الزيتون وركب الصبر، يتخلل ذلك سدرة هنا وهناك، اضافة الى بعض الاسيجة الشائكة المتراخية التي تحيط بالتعامير، والتعميرة ارض جبلية مزروعة بالزيتون والتين والصبر. واما في السهل فتسمى مارسا.

كانت وسيلة النقل الوحيدة في السابق هي الدواب، متمثلة في الجمال والحمير والبغال، الى انه في الثلاثينيات من هذا القرن تم استخدام عربات الخيول ذات العجلات الخشبية المحاطة باطواق الحديد، التي استبدل بعضها بعد الاربعينيات بعجلات الكاوتشوك من مخلفات السيارات. وقد استخدمت هذه العربات في نقل الناس واغمار الحصيدة وحجارة البناء والخضراوات المصدرة الى مدينتي اللد والرملة. وكانت هذه العربات متوفرة عند معظم اهالي القرية، وكان اكثرها حركة في الصيف والشتاء عربة حكمت محمد خليل شقديح التي كانت تنقل نشارة الخشب من داخل الكمب الى اهل البلد ومعظم القرى المجاورة لاستعمالها زبلا للطوابينن وقد كان المذكور المتعهد الوحيد لشراء هذه المادة من مناجر الانجليز في الكمب.

وقد تم امتلاك اول سيارة في القرية من قبل احمد علي فرحة عام ١٩٤٢ من نوع دوج كندي، وكان يسوقها ابن عمه جمعة محمد الحاج (جمعة كاملة), ثم تبعه في ذلك الشيخ احمد الخطيب، والحاج كايد حسين، لكن الاخيرين لم يوفقا في ادارتها مما اضطرهما للتخلي عنها. كما امتلك سيارة محمود ابو حسينة التي خرجة معه بعد الرحيل.

التجارة :

قامت حياة النلس اساسا في قرية بيت نبالا على الزراعة، كباقي القرى الفلسطينية. اما التجارة بمعناها الحقيقي، فكان موطنها المدن، وكان الفلاح النبالي كغيره من الفلاحين، لا يتقن فن التجارة بل يخضع في تسويق الفائض من انتاجه الزراعي لألاعيب التجار المتمرسين في مراكز المدن. وكان يحكم قيمة ما يريد بيعه من هذا الانتاج عاملان، الاول : سذاجته التي فطر عليها، والثاني: خوفه على بضاعته من الكساد والتلف خاصة الخضراوات، اذا ما عاد بها الى ادراجه من السوق دون بيع. فكان غالبا ما يرضى بأي ثمن يعرض عليه. وكثيرا ما يردد ابناء القرية في مجالسهم اليوم بعض النوادر التي حدثت بين ابائهم وتجار المدن وخاصة تجار اللد، كالذي باع خروفه لاحد اللحامين، ووضع ثمنه في جيبه، وطاف في اسواق اللد حتى تعب، وقبل رجوعه الى القرية، مر باللحام اياه، وشترى رطلا من لحم خروفه بثمن يفوق ثمن الخاروف جميعه. وكما يقول المثل العامي : مجنون يحكي، وعاقل يسمع. فان هذه النادرة مبالغ فيها، الى انها لاتخلو من دلالة على سذاجة الفلاح النبالي كغيره من الفلاحين في مجال التجارة.

كان ابن بيت نبالا يسوق الفائض من محاصيله الزراعية في سوق "البرين" في مدينة اللد، بعد ان يأخذ من رأس الكوم بذار العام القادم، اضافة الى تأمين حاجته للعام كله، وكانه يشتري بثمن ما يبيعه كسوة عياله، وما يحتاجه من معدات زراعية صغيرة، او ما يلزم بيته من ادوات منزلية. اما شراء وبيع الحلال والدواب، فكان يتم في سوق حلال مدينة اللد، الذي يعقد عادة كل يوم اثنين. كما كان هناك سوق حلال اخر في مدينة الرملة، وغالبا ما كان يقوم ابناء المدن في

هذه الاسواق بدور الوسطاء خاصة في الامور الصعبة. وكثيرا ما كان يشاع بين ابناء القرى، ان بعض تجار اللد، كانوا يسكرون البغال الشرسة (الشموص) بالخمر لتبدو هادئة عند بيعها، والتي لا تلبث ان تتحرر من ثملها وتعود الى طبيعتها وترفس صاحبها او احد عياله بعد ان يكون قد عاد بها مسرورا الى قريته. ومن الطريف ان بعض اهل اللد كانوا يمنعون بل ويحرمون على الفلاحين ركوب الجمال اثناء تجوالهم في المدينة تجنبا لكشف حسب الحريم الغافلات في ساحات الدور المحاطة بالواح الزينكو وقطع الصفيح والخشب اضافة الى خرابيش اكياس الخيش.

وفي اواخر الثلاثينيات التي شهدت تحولا نحو زراعة البيارات، فقد اخذ اهل القرية يصدرون الخضراوات الى مدينتي اللد والرملة، كالزهره والجزر والبندورة والباذنجان، اضافة الى الحبوب، كالقمح والشعير والذرة والسمسم والكرسنة والعدس. اما الزيت، فكان التجار يأتون الى القرية لشرائه من الناس من بيوتهم. وكانت الاسعار في حينها قليلة. وقد قال المرحوم ابراهيم كايد حسين، انه نزل مرة الى مدينة اللد بعربة يجرها زوج من الخيل ومحملة بالباذنجان من بياراتهم في ارض الوسطة، قبل ان يصادرها الانجليز لضمها داخل الكمب، بانه باع حمولة العربة جميعها بقرشين ونصف فقط، وقد اشترى بقرش ونصف بكيت سجائر، وبالقرش الباقي نصف كيلو هريسة اكلها على الطريق اثناء عودته الى البلد. كان البيع والشراء في المدن يتم بتبادل العملة، ووحدته الجنيه الفلسطيني. اذ ان الجنيه الذهب كان يساوي ٨٠ جنيها ورقيا، وكان الجنيه يسمى بين الناس بالليرة، اسوة بالليرة العسملي (العثملي) نسبة الى السلطان العثماني.

كما كان البيع والشراء عن طريق المقايضة (تبادل السلع) يسير جنبا الى جنب مع التبادل بالعملة، خصوصا بين اهل القرى انفسهم، وكان يتم استيراد العنب والقطين على ظهور الجمال والدواب من القرى الجبلية المحيطة بمدينة رام الله، وتبديله بالقمح والذرة البيضاء والسمسم، وذلك عن طريق بعض التجار الصغار، امثال اولاد الاشقر من براغثة قرية كوبر، وعبد الرحيم حسن من فلاحي نفس القرية، كما تبادلوا السلع مع اهالي مزرعة شريتح (المزرعة القبلية)، ومع اهالي قرية دير عمار المشهورين بالتين. اما داخل القرية، فكانت وحدة الشراء هي البيضة اذ لم تتوفر العملة مع ربات البيوت، اذ يتم تبادلها مع اصحاب الدكاكين بالكبريت والزعوط والتمر والخيطان واغراض المنزل اللازمة. ومن اشهر دكاكين القرية، دكان رشدي الخطيب ودكان البهلول في ساحة المطامير، ودكان مصطفى يعقوب، ودكان علي يوسف رباح في حارة الشراقة، ودكان طالب الحيت التي كانت ملحمة ايضا قرب المضافة، ودكان وملحمة حسين الحيت ومحمود شنيور. لقد عرف اهالي بيت نبالى نظام القروض من البنوك، فقد استدان بعضهم من البنك العربي في اللد بتحرير الكمبيالات، وذلك من اجل تطوير مشاريعهم الزراعية وشراء الكسارات، ولا يزال بعض الابناء يحتفظون بالكثير من هذه الكمبيالات في خزائنهم حتى هذه الايام، كذلك قامت حكومة الانتداب بمنح بعض الفلاحين قروضا تتناسب مع حجم ما يملكوه من ارض، وهي معروفة بين الناس باسم (كوثة). اما التعامل بالربا بين الناس فلم يكن واضحا، وانما كان يشار اليه احيانا من طرف خفي لذم بعض الناس واظهار نقائصهم عند الغضب.

لم يرتبط اهل القرية باية علاقات تجارية مع بدو جنوب فلسطين، وانما يتحدث كبار السن عن غزو لحقول الذرة من قبل بدو السبع، الذين كانوا يأتون الى قرى الوسط على ظهور الجمال بشكل مجموعات صغيرة، ويقطفون عرانيس

الذرة، ويملأون بها خروجهم ويهربون. اما عن علاقة اهل بيت نبالا باليهود، فقد قام بعض اهل القرية بمشاركة اليهود في بعض مشاريع الكسارات ومعامل الشيد، كما ان معظم السيارات التي كانت تنقل الحصمة والدبش من الكسارات تعود ملكيتها الى اليهود. وفي ثورت عام ١٩٣٦ و ١٩٣٩ التزم اصحاب المشاريع مع اهل البلد بالاضراب العام الذي اجتاح فلسطين، وان لم يكن الالتزام بالاضراب عند البعض بدافع الروح الوطنية، فلا بد ان يكون بدافع الخوف على مشاريعهم من النسف من قبل الثوار، الى ان علاقة اهل القرية باليهود ظلت موجودة، ثم انقطعت مع بداية المناوشات بين الطرفين اثر رحيل الانجليز عن فلسطين، وكانت هذه العلاقة محصورة في مشاريع الكسارات ومعامل الشيد فقط.

وفي النهاية، لا بد من الاشارة الى تجارة دخان الحلل (الدخان العربي) المحظور تجارته لحماية السجائر الانجليزي، الذي كان يتم تهريبه من ام الفحم وقرى المثلث في الشمال الى بيت نبالا عبر طرقات ومسالك جبلية وعرة تحاشيا لضبطهم من قبل سلطات الانتداب البريطاني. وكثيرا ما كانت تصادفهم الضباع وهم يسيرون ليلا خلف حميرهم المحملة بالدخان.

العمالة في القرية وفي كمب بيت نبالا :

لقد شهدت بيت نبالا مع بداية الاربعينيات حركت عمالة ممتازة لتوفر فرص العمل الكثيرة المتنوعة فيها، ليس لاهل القرية فحسب، بل للقرى والمدن المحيطة بها. ولبعض ابناء الدول العربية ايضا، وذلك بسبب الاعمال الزراعية النشطة في القرية، ووجود الكمب، وحوالي ٣٠ كسارة عاملة، اضافة الى اعمال البناء التي لا تخلوا منها اية قرية على مدار العام. فكان جهد اهل القرية موزعا في عدة

اتجاهات. فالنساء يعملن في الحقول جنبا الى جنب مع الخدامين الذين لا يخلوا بيت تقريبا من وجودهم فيه، وهم مرابعون، كانوا يأتون الى البلد من جبل الخليل ونابلس وقرى رام الله. اما الرجال، فكانوا يديرون الكسارات ويشرفون على مشاريعهم الاخرى وهم يشربون الاراجيل المتوهج تنباكها بحجر قراقيد الحطب. واما الشباب، فكانوا يعملون في الكمب ونافي الجيش البريطاني. وقد كان العمل متوفرا لدرجة ان الدور لحق الفتيان والفتيات الصغار الذين سيروا الجمال المحملة بالزلط والحجارة من وادي الصرار لتزويد الكسارات بها. وكانت هذه الحجارة تعبأ في صندوقين كبيرين من الخشب على جانبي ظهر الجمل، ويتم تفريغها في الموقع بفتح قاع الصندوق المشبوك بمزلاج. فتهر منه الحجارة دفعة واحدة. وعند كل صباح، لم يبقى في البلد سوى العجائز والاطفال الصغار الذين هم دون سن المدرسة فقط.

كانت العمالة في الكمب تحتل الترتيب الثالث من حيث الدخل الاقتصادي لاهل القرية بعد الزراعة والكسارات، وقد اقامة حكومة الانتداب هذا المعسكر الذي يعرف بكمب بيت نبالا عام ١٩٤٠، على حافة الاسفلت الرئيسي من الجهة الغربية الذي يمر بمحاذات القرية على بعد خمسمائة متر من بيوتها، وعشرين مترا فقط من حديقة المدرسة، وقد اقيم على ارض منبسطة على الحد الذي يفصل الجبل عن السهل على مساحة تقدر بحوالي الف دونم، وقد اعتبرت اراضيه من اجود واخصب اراضي القرية الزراعية، وقد ضم هذا المعسكر اراضي الوسطة والخماس وقطعة البوسة، وقام الانجليز باحاطته بالاسلاك الشائكة.

وقد بلغ عرض السياج حوالي خمسة امتار، أي سياج داخل سياج يتوسطهما لفات لولبية من السلك الشائك متراص الثغرات، يتناسب والاهمية الامنية

التي تجدر بمستودع يعد من اعظم واكبر المستودعات لا في فلسطين، وانما في الشرق الاوسط، ويليه في الترتيب كمب صرفند من حيث الضخامة. لم تراعي حكومة الانتداب باقامتها هذا الكمب مصالح اهل القرية ومشاريعها الزراعية التي تعتبر المصدر الاول والرئيسي للغذاء الذي يحافظ على حياتهم، فضم حقول قمح وبيارات كانت في بواكير نموها، مثل بيارت دار الحاج كايد حسين صالح في ارض الوسطة، كما كانت الاراضي غير المشجرة مزروعة جميعها بالقمح والشعير. وبدون رحمة بدأ الانجليز باقتلاع الاشجار ودهس السنابل الخضراء بسبب شق الطرق واقامة المشاغل والعنابر الكبيرة المعدة لتخزين اللوازم التي تحتاجها الجيوش البريطانية المنهمكة في الحرب العلمية الثانية.

وبالرغم من الكارثة الزراعية التي لحقت بأهل القرية من اقامة هذا المعسكر الذي ابتلع اجود الاراضي، الا ان وجوده قد وفر لاهلها فرص عمل معقولة، ويقدر صالح عابد عدد الذين عملوا في الكمب من ابناء القرية وحدها حوالي ٣٠٠ عامل ومستخدم من اصل خمسة الاف عامل من القرى والمدن الفلسطينية والبلاد العربية واليهود والاسرى الطليان.

ويقول صالح محمد عابد : كنت مسؤولا عن عشرين عاملا، يقومون باعمال تحميل وتنزيل الاخشاب والحديد والواح الصاج، وجميع المواد التي تستعمل في تصنيع المعدات اللازمة للجيش البريطاني في حربه ضد دولة المحور في الشرق الاوسط، وقد عمل معنا الكثير من ابناء القرى المجاورة، مثل دير طريف والحديثة وبدرس وقبية وشقبة ودير ابو مشعل ودير قديس وقويلة والمزيرعة وطيرة دندن وعمواس والقباب ويالو وبيت نوبا واللطرون، عدا عن المصريين والسوريين. واضاف : عندما كان يقل عدد العمال في الكمب في مواسم الحصاد،

او بسبب انشغال العمال في اعمال الزراعة في قراهم، كنت اركب سيارة واذهب الى قرى نابلس لابحث عن عمال هناك. وكان رئيس العمال يتقاضى في اليوم ٧٦,٥ قرشا، اما اجرة العامل، فكانت ٥٢ قرشا. وقد وصل اعلى رتبة عبد الهادي عابد، وهي رتبة باش رئيس، وكان هذا مسؤولا عن رؤساء العمال. كما كان بعض العمال يتقاضون اجور اضافية اذا زادة ساعات عملهم عن الساعات الرسمية المقررة.

اما اليهود، فكانت معظم وظائفهم ارقى من وظائف العمال العرب بشكل عام. فهم اما في وظائف ستورز كبير (امناء مستودعات)، او تشكرز (مفتشين).

كان العمل في الكمب يقسم الى اربعة اقسام وهي : المحادد والنجار والسبلاي (التموين) والDCRE. وكان الجو السائد فيه هو العمل باستثناء الحراس المسلحين عند مدخل الابواب وعلى منصات الابراج في الداخل وخلف السياج الذين كانوا يطلقون النار على كل من يقترب منه في الخارج، وقد قتل من جراء ذلك بعض اهل القرية كالمرحوم احمد شريف الذي كانت يده مقطوعة، كما جرح العديد. اما الحماية العسكرية وقيادتها المكلفة بالحراسة، فكانت تقيم في معسكر مستقل على حافة الاسفلت من الجهة الشرقية في ارض القني، ولا يبعدان عن بعض سوى مسافة عرض الشارع فقط، حيث كان يرابط فيه جنود من جنسيات مختلفة من المستعمرات التابعة لبريطانيا، كالهنود المسلمين والسيخ، او من الافارقة كالسنجال وغيرهم، اضافة الى الاسكتلنديين المعروفين لاهل القرية باسم السكوتش.

وقد انخرط بعض شبان بيت نبالا خارج الكمب كمستخدمين في النافي التابع للوحدات العسكرية البريطانية المتنقلة في انحاء فلسطين وشرق الاردن، مثل العرابي الذي عمل فورمن (رئيس عمال)، وابنه عثمان الذي وصل رتبة ميجر، وخليل حسين عيدة، واحمد سليمان امنة في كمب صرفند، ومصطفى ابو دية، ومحمد ابو دية عمالا، ومحمد شحادة سلامة رئيس حلونجية، واخوه حمودة شحادة سلامة على الكاونتر، ويقول الاخير : لقد كنت انتقل معهم اينما يحلون، وقد تزوجت عام ١٩٣٦ ونحن في ماركا شرق عمان، ولا يزال البيت الذي سكنت فيه قائما حتى الان.

ولكثرة الاشغال في الاعمال الزراعية والكسارات والكمب، فقد عزف اهل القرية عن الانخراط في الوظائف الحكومية او سلك البوليس الاضافي، ونادرا ما كان البعض يلتحق بهذه الوظائف، مثل مصلح محمود الذي كان عامل مقص في سكة الحديد لتحويل وجهة القطار، وشخص اخر لبس في البوليس، ولكنه لم يستمر طويلا لان اهل القرية كانوا يحتقرون هذه الوظائف ويتندرون بها، وقد شاعت بينهم اغنية لا يزالوا يرددونها حتى هذه اللحظة ومطلعها يقول :

يا لابس متطوع، جخة على طول والقمل على جنابه مثل قرون الفول

والتي على اثرها عاف هذا المتطوع تلك الوظيفة، وخلع البدلة العسكرية منهيا خدمته. وفي مجال العمل الحر، فمن المعروف ان اهل القرية هم اصحاب مشاريع زراعية وكسارات، ولم يعمل أي من ابنائها اجيرين في المدن او نواطير عند اليهود او حمالين في مناطق مختلفة، ولم يصل تأثير العمل والوعي النقابي الفلسطيني في القرية بالرغم من ان مشاريع الكسارات والاعمال الزراعية المختلفة في القرية كانت تستقطب الكثير من العمال الوافدين الى بيت نبالا، والذين كانوا يخضعون للعرف في تقاضيهم اجورهم، الا ان هؤلاء العمال كانوا يتقاضون مع

الاحداث التي تدور من حولهم بصورة عفوية، وقد ظهر ذلك جليا فـــي اضـــرابهم عن العمل في الكمب لمدة يومين عندما شاع بينهم خبر مقتل جميل الطريفي، كمـــا كانوا يتأثرون بما يقع في فلسطين من احداث بشكل عام، خصوصا اضراب عمال السكك الحديدية عام ١٩٤٥، الذي كان تأثيره كبيرا على حكومة الانتداب، وانتهى بتلبية مطالب المضربين لاهمية اعمالهم الفنية التي لا غنى عنها، بعكـــس عمـــل الكمب الذي يحتاج الى مهارة، ويمكن الاستعاضة عنه بأية قوى عاملـــة اخـــرى. ومما يلفت النظر ان احدا من اهل القرية لم يعمل في مهنة اصلاح هذه الكـــسارات بل كانوا يلجأون الى ورش المدن لاصلاحها عند تعطيلها، خاصـــة فـــي الامـــور الدقيقة.

الحرف والاعمال اليدوية :

لقد برع بعض ابناء القرية في اتقان عدد من الحرف والاعمال اليدوية بدافع من الحاجة الملحة التي املتها عليهم طبيعة حيلتهم الزراعية، او كانت استمرارا لمهنة متبعة يتوارثها الابن عن الاب، او ان الظروف الاقتصادية الجديدة التي نشأت في ظل حكومة الانتداب البريطاني قد اوجدتها مثل الكسارات. وكان معظم اصحاب هذه المهن يمارسونها في احواش بيوتهم مثل مهنة النجارة التي تعتبر من اقدم المهن في القرية، والتي نشأت في الاصل لصناعة وصيانة الاشياء الضرورية التي يحتاجها ابن القرية مثل عود الحراث والنير ولوح الدراس والمساس والقعاديات والسلالم وابواب البيوت والاحواش ورحاحيل الجمال والاوتاد، كذلك السناكيل الخشبية التي توضع على جانبي ظهر الحمار او البغل او الجمل لنقل جالونات الماء وحجارة البناء. ثم تطورت هذه المهنة الى عمل صناديق العرايس، وسرر الاطفال، وحوامل الفراش، وصيانة عربات الخشب التي تجرها الخيول، وصناعة عكازات المتقدمين في السن التي يسميها اهل القرية الدوتشان او المحجانه، كما عملوا العاب الاطفال مثل الفرافير التي تدور بسرعة بواسطة شد الخيط او ارخاؤه، وقد برع في مهنة النجارة قبل الرحيل كل من ابراهيم محمود احمد مصلح وعبد الرحمن ايوب.

اما مهنة الحدادة، فقد مارسها في القرية شخص واحد فقط وهو عثمان محمد رباح (المغربي)، الذي كان يقوم بصرف الفؤوس والعتلات وسكك الحراثة والبنسات التي تستخدم لنقر الثقوب في محاجر الكسارات التي كانت تعبأ بملح البارود لتفتيت الصخور اللازمة لطحن الحصمة والناعمة.

اما مهنة البناء فقد عمل فيها بعض ابناء القرية المهرة في بناء الحجر المقصب مثل الشيخ محمد مخش والحاج صالح رباح وعفانة ياسين الذي اعتزل هذه المهنة والتحق بصفوف الثورة التي عصفت في فلسطين عام ١٩٣٦. كما عمل في القرية بناءون اخرون من غير اهلها زمنا طويلا مثل يوسف حمد من قرية دير طريف، وعودة المحمد من حمولة دار ابو عواد من بلدة بير زيت، والذي قضى حياته في بيت نبالا يعمل دقيقا للحجر حتى ان انتماءه قد اصبح مزدوجا لبير زيت وبيت نبالا.

اما اعمال الخياطة والتطريز باليد، فقد اتقنتها معظم نساء القرية، حيث كن يعلم بعضهن بعضا هذه المهنة خاصة الفتيات الصغيرات اللواتي يعشن في فراغ كبير بسبب عدم دخولهن المدارس، وينتظرن الزواج المبكر جريا على العادة المتأصلة بين اهل القرية. وقد كانت لا تبور منهن واحدة، حتى الضريرات لحقهن الزواج لان رجال بيت نبالا كانوا مزاوجين بطبعهم.

وقد ابدعت النساء في تطريز الوقايا والشطوات والموشاة بقطع العملة المعدنية العثمانية والفرنسية والفلسطينية، التي يترتب عليها بالضرورة تنقيب هذه القطع لقطبها على الوقايا والشطوات. وقد تخصصت في مهنة التنقيب الحاجة فاطمة عبد اللطيف والدة حكمت محمد خليل شقديح التي كانت تقوم ايضا بحبك هذه القطع على ظهر الوقاة المسماة (الشكة) مقابل اجر متفق عليه. وكانت بحوزتها لهذه الغاية عدة حديثة مكونة من سندان يشبه سندان الاسكافي ولكن قائمه اقصر بقليل، اضافة الى المطارق والسنابك الفولاذية اللازمة للتنقيب والتبشيم، حيث كانت تقصدها نساء القرية من شرقها الى غربها لهذا الغرض، بل ومن القرى المجاورة مثل دير طريف والحديثة وغيرها.

وقد عملت الكثيرات من نساء القرية بالاجرة في مهنة تطريز الثياب النسائية بالحرير وارجل سراويل التوبيت والمناديل مثل : سعدة مسعود صافي زوجة زيدان الخالدي، وشيخة امين زوجة العبد سعدة (ام الصابر) وهنية مسعود صافي زوجة يوسف علي نحلة. كما اشتهرت بالخياطة على الماكنة كل من مريم محمود خليل (ام وجيه)، وفاطمة الدبسة زوجة عمارة، وبنت ابو حجر الحلاق من ساكية وهي زوجة محمود ابو حسينة من بيت نبالا.

اما خياطة ملابس الرجال فقد اشتهر بها الشيخ احمد رشيد واولاده، كذلك الشيخ موسى من قرية ساكية، وكانت مخيطته في دار خليل كايد حسين، ويفتح بابها على الشارع العام. وكان هؤلاء يقومون بخياطة القنابيز (الدمايات) والسراويل والاثواب القصيرة لمعظم رجال القرية باستثناء الوجهاء والمخاتير الذين كانوا يفصلون اطقمهم في مدينة اللد خاصة عند اولاد عبده الذين ظلوا يمارسون هذه المهنة حتى الان في مدينة رام الله وذلك بعد ان رحلوا عن مدينتهم الاصلية اللد عام ١٩٤٨.

اما مهنة الحلاقة فقد اشتهر بها من اهل القرية جمعة رضوان حيث كان يمارسها في دكان صغير في الحارة الشرقية من البلدة، وكان يحلق شعر اولاد المدرسة على الصفر بناء على تعليمات من مدير مدرستهم تجنبا لتفشي حشرات القمل في رؤوسهم. وكان جمعه رضوان يحلق للطالب او الرجل الكبير طوال العام مقابل مسحة من القمح او الذرة. وقد اشتهر من الحلاقين من غير ابناء القرية كل من ابو حجر من ساكية، والعطاري من قرية عطارة قضاء رام الله الذي قد ناسب

اهل القرية بتزويجه بناته الثلاث لكل من احمد علي صالح ومصطفىعلي شـــقديح والشبلي الحيت.

لقد كانت ادوات هؤلاء الحلاقين بسيطة لا تتعدى كرسيا خـــشبيا عريـــضا ومرآة صغيرة وماكنة الحلاقة التي تضغط اذرعها باصابع اليد، ومقـــص الـــشعر، وموس الحلاقة الذي كان يتم شحذه على سير من الجلد مربوط على ظهر الكرسي. كما لا ننسى هنا مهنة الخبيز حيث كان في القرية مخبزان، واحـــد لـــدار عيـــسى صبحا، والثاني لدار ابو محمود الطرفان (الباي) قرب المطامير الذي كان يعمل فيه عزات وهو من مصاروة القرية.

كما لا بد من الاشارة الى ان معظم نساء القرية وفتياتها كن يجدن عمـــل الاطباق والاقداح المختلفة الحجم من القش، والسلال من عيدان اشجار الزيتـــون، والاشكال المختلفة من طين الحور.

اما الحرف التي نشأت في القرية في ظل حكومة الانتـــداب التـــي كـــان ظهورها نتيجة طبيعية لدخول الكسارات الى القرية، فهي حرفـــة عمـــل قواعـــد الكسارات التي برع فيها ســـيف الـــدين، وكـــذلك مهنـــة ميكـــانيكي الموتـــورات (الميكانست) واجزاء الكسارة الاخرى مثل : السعيد الشبوب، ومحمد سالم قطيفان.

الكسارات ومعامل الشيد :

شهدت فلسطين في السنوات الاولى من حكم الانتداب البيريطاني نوعا من الاستقرار والهدوء، وعززت بريطانيا هذا الاستقرار بتوفير فرص عمل للناس بتشغيلهم كمستخدمين في معسكرات الجيش والنافي، او في الانخراط في سلك البوليس الاضافي والوظائف العامة، او في المشاريع الانشائية التي تخدم وجودهم وامنهم مثل توسيع بعض الطرق الرئيسية والسكك الحديدية الضيقة التي اقامتها الدولة العثمانية. وقد أوجدت الحكومة البريطانية بذلك مناخا مناسبا لتحسين وضع الناس الاقتصادي، بالرغم من السلوك العسكري القاسي الذي تميز بالصرامة الشديدة في ايقاع اقصى العقوبة على كل من يتملك سلاحا. ومما ساعد على وجود الاستفرار في فلسطين ان الناس كانوا يعيشون في هذه الفترة في حالة تأمل وترقب ومقارنة بين حكم الاتراك المتخلف الذي كان يأخذ ولا يعطي، وبين وجود الانتداب الذي بدأ يبهر الناس بادخال كل جديد الى فلسطين خصوصا الات الانتاج التي تخدم وجودهم في البلاد مثل الكسارات والحصادات والجرارات الزراعية ومضخات المياه للابار الارتوازية. ومن المعرف تاريخيا ان وجود الاستقرار في اي مكان يعقبه في العادة اعمار وبناء، ومن هنا نشأت فكرة ادخال الكسارات الى البلاد وخاصة الى قرية بيت نبالا التي سمحت طبيعة الصخر في الجزء الجبلي من اراضيها في انتاج الحصمة والدبش، اضافة الى قربها من المدن والقرى الساحلية التي شهدت نهضة عمرانية في اوساط العرب واليهود في ظل هذا الهدوء. وقد اقيمت اول كسارة عام ١٩٣٢ في الجزء الجنوبي من اراضي القرية في مجرى وادي الصرار المليء بالزلط القاسي ذي الجودة العالية لانتاج الحصمة. وقد عادت ملكية الكسارة الى الحاج حسن علي صالح وشريكه مصطفى طه صافي، وكانت هذه الكسارة مركبة على شاصي حديد متنقل، وقد تجمع الناس حولها يشاهدونها

وهم في حالة من الذهول والاستغراب وهي تبتلع الحجارة في جوفهـا وتخرجهـا حصمة، مثيرة حولها زوبعة من الغبار الابيض. ولم يمضي عام على اقامة هـذه الكسارة في وادي الصرار حتى اقيمت بجانبها كسارة ثانية للحاج محمد طه والـد المرحوم محمود زكية وشريكه الشيخ احمد رشيد. واصبح وجود هذه الكسـارات حول البلد واقعا مألوفا للرائح والغادي من الناس، بل واكثر من ذلك فقد اصـبحت المرأة تعمل جنبا الى جنب مع الرجل بنقل القفف المليئة بالزلط على رأسها والقاء ما فيها الى حلق الكسارة. وعندما شعر اهل القرية بأن وضع اصحاب هذه الكسارات الاقتصادي قد تحسن، دبت الغيرة في قلوب بعضهم مما حدا بهم الى بيـع ذهـب زوجاتهم للمشاركة مع اخرين في امتلاك قيراط او اكثر من كسارة. ومن هنا فقـد بدأت تظهر هذه الكسارات في جنبات القرية وخاصة في الجهة الغربية الشمالية على الطريق العام بين البلدة وقرية دير طريف، عند السفح الغربي لظهر الجبل المعروف بقرنة الارانب. وقد فتحت فيه المحاجر وركبت على مداخلها كـسارات البلكـات الثابتة التي كانت اكثر تطورا من حيث فرز احجام الحصمة بواسطة الغربال واضافة سكك حديدية صغيرة تسير عليها الطرازينات التي تنقل الحجارة من عمق المحجر الى حلق الكسارة. وكان سيف الدين وهو من اهل القريـة يقـوم بعمـل قواعـد للكسارات الثابتة. لقد بلغ عدد الكسارات التي كانت تعمل حول القرية عام ١٩٤٨ وفق تقديرات صالح عابد حوالي ٤٥كسارة تعود ملكية ٨٥% منها لاهل بيت نبالا، اما البقية فقد ملكها اهل دير طريف اضافة الى كسارة تعود الى شخص من قرية ادنبة قضاء الرملة. وقد شارك عدد من اليهود مثل بوكاج وديمانوس وهارون، بعض اهـل القرية في الملكية، كما كان بعض الاشخاص من اهل القرية يشتركون في ملكيـة كسارة واحدة او اكثر مثل كسارة مصطفى سالم قطيفان، وحـسن علـي صـالح. وكسارة هارون الذي يملك نصفها والنصف الباقي يملكه احمد سـليمان قطيفـان ومحمود سليمان قطيفان ومحمود دعوس وحسن حمدالله. وكسارة صـالح قاسـمية

واخوه العبد قاسمية، وكسارة حسين خليل في وادي الصرار وكسارة عيد محمد سلامة والسعيد حسن عثمان، وكسارة عبد الرحمن طه واخوه صافي طه، وكسارة السعيد سليم واخوه محمد سليم، وكسارة السعيد الشبوب وغيرها الكثير التي لا مجال لحصرها. وقد اطلق على اسم المنطقة التي اقيم فيها مجال الكسارات على طريق بيت نبالا دير طريف اسم (الطرنشة)، وقد سماها اهل القرية بهذا الاسم لان اصحاب الكسارات وضعوا من باب التباهي، مرتبانات زجاجية صغيرة او علب معدنية فارغة على فوهات مخارج عوادم الموتورات بعد تثبيت فتحتها على فوهة الداخون بشكل مائل، فيصدر عنها صوت صغير منتظم حسب تتابع الطرطرات ويأتي بصوت قريب من لفظ كلمة (طرنشة)، كما كان بعضهم يترنم بسماع دوجان موتور كسارته عند دخوله غرفة التشغيل ويتصور بانه يستمع الى صوت يشبه لفظ كلمة الله الله الله الله الله متتابعة تصدر عن دورات الماتور، وتشبه الى حد بعيد لفظ كلمة الله الله الله الله المتوالية التي يرددها الدراويش اثناء غيبوبتهم في حلقات الذكر. وقامت حكومة الانتداب البريطاني بربط الطرنشة بشبكة السكك الحديدية العامة في فلسطين بوصلة صغيرة لكي يسهل نقل حصمة بيت نبالا الى غزة في الجنوب وحيفا في الشمال، فكان القطار يأتي بالقاطرات الفارغة التي كان يسميها اهل القرية (الفراكين)، ويتركها على سكة الحديد المنصوبة على مداخل هذه الكسارات ثم يعود اليها في وقت لاحق ليسحبها معبأة الى جميع انحاء البلاد. لقد عمل أهل القرية في البداية في كساراتهم وخاصة النساء، ولكن عندما تضاعف عددها، صار العمال يردون اليها من كل حدب وصوب، فعمل فيها الكثيرون من جبل الخليل وقرى نابلس، والا ان غالبية العمال تشكلت في الفترة الاخيرة من قبل الهجرة، من الحوارنة القادمين من محافظة درعا في سورية، حتى اصبح العمل على الكسارات مقرونا باسم الحوارنة، وقد كان العامل العادي يتقاضى في اليوم اجرة مقدارها خمسة قروش فلسطينية والعامل المميز سبعة قروش. وكان وادي

الصرار يعتبر اكبر مصدر للزلط مع بداية انشاء الكسارات لسهولة جمعه عن الارض، ولكن عندما نفدت الحجارة المبعثرة في مجراه والقريبة من موقع العمل لجأ الناس الى فتح المباحش على جانبي الوادي لاخذ الحجارة المدفونة منذ الاف السنين مما كان يتسبب في بعض الاحيان بانهيارات ادت الى مقتل البعض من اهل القرية مثل : محمد العفيفي، ومحمود الطرفان، وحنونة موسى كاكا، ووفيقة علي رباح.

اما مهنة تصنيع الشيد الابيض (اللتون) في القرية، فهي مهنة قديمة بسبب حاجة الناس لها لبناء بيوتهم وطراشتها ثم بيع الفائض عن الحاجة منها الى اهل المدن. وقد تخصصت بعض العائلات في انتاج هذه المادة بطريقة بدائية في اول الامر مثل : دار بدوان غانم، وذلك بحرق نتش البلان في مواقدها. ثم تطور الحرق في اخر عهد الانتداب البريطاني باستعمال البترول بدلا من البلان الذي كان يستغرق جمعه من الوعر شهرا وذلك للحصول على وجبة شيد واحدة من هذا اللوتون. ونذكر من اصحاب معامل الشيد المتطورة مصطفى طه صافي الذي انشأ معمله شرق جنوب القرية في روس الدالية الواقعة في الجهه الخلفية لمغارة البراغثة. لقد تمسك اهل بيت نبالا بعد هجرة ١٩٤٨ بمهنة الكسارات وخصوصا الذين اسقروا في عمان ورام الله منهم، وامتلكت نسبة كبيرة من اهل البلد كسارات وشاركوا فيها، حتى وصل الحال مع بعضهم ان اصبح من كبار المتعهدين في الضفة الشرقية وخاصة في مجال الخلطات الاسفلتية مثل الحاج عبد الحفيظ طالب الحيت واولاد اخيه المرحوم الحاج علي طالب الحيت، الذي لا يخلو شبر من شوارع عمان والزرقاء من فرشاتهم الاسفلتية، كما ان المحاجر الشاهقة التي تفتح افواهها من الجانبين على شارع رأس العين ووادي الرمم تشهد على جبروت اعمالهم، واهل بيت نبالا معروفون لدى جميع الناس في الضفتين بتطويعهم للحجارة والمحاجر، ويغلب على حديثهم في البيوت والمجالس الكلام عن الكسارات والجرفات والقلابات

واسعار الحصمة، وهنا لا بد من ذكر قصة طريفة حدثت في عمان عــام ١٩٩٦ وتتلخص احداثها في ان سيدة شابة من بيت نبالا ذهبت الى عيادة طبيب، وجلست تنتظر دورها في صالة جلوس المرضى لحين انتهاء الطبيب من الكــشف علــى مريض كان معه داخل الغرفة، وبعد قليل انفتح باب غرفت الطبيب الذي ظهر يسير خلف المريض ويضع يده على كتفه ويقول له : اطمئن يا اخــي، فــان مــشكلتك بسيطة وهي عبارة عن وجود حصوة بسيطة في المرارة. وما كان مــن الرجــل المريض الا ان وجهه نظره نحو الطبيب باستغراب، وسأل : يعنــي اللــي معــي حصمة كسارات يا دكتور ؟ وعندها ضحك الطبيب ضــحكة عاليــة، وانــصرف المريض الى حاله. فاستنتجت السيدة من خلال الحديث بان الرجل المــريض مــن بيت نبالا، وقد تأكدت من ذلك بعد ان سألت الطبيب عن بلد هذا الرجل المــريض الذي لم تتمكن من معرفته بحكم التشتت الذي اصاب الناس في هجرتهم.



الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية



الفصل الرابع
الحياة الاجتماعية

وصف عام للقرية، هيكلها وتنظيمها:

تقع القرية فوق تلة منبسطة على الحد الفاصل بين السهل والجبل، وتعتبر من ضمن قرى فلسطين العرقية، أي القرى اللاطئة لعروق الجبال من الجهة الغربية، وقد اتخذ مخططها التنظيمي شكل المستطيل من الغرب الى الشرق، فبعد ان وصل امتداد القرية شمالا وجنوبا الى ظفتي الواديين. (انظر الخارطة التنظيمية المرفقة). وتشكل كل من نوادر السطح من الجنوب والنوادرة الشامية من الشمال جناحين منبسطين للقرية، حيث يفصل وادي كريكعة بين نوادرة السطح وبيوت القرية، اما النوادرة الشامية فتعتبر امتدادا لارض القرية ويحاذيها الوادي الشامي من الشمال. ومن اراد دخول القرية من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية، فعليه ان يقطع الوادي الشامي او وادي كريكعة الذين يحصران البلدة من الجهتين الشمالية والجنوبية ثم يتوحدان غربها، اما الداخل اليها من جهة الشرق فانه يسير على ارض منبسطة ليس فيها صعود او نزول. واحسن وصف لموقعها، ان الرجل المسن الذي يعاني من ضيق في التنفس لا يشعر باي مضاعفات متعبة عندما يدخلها من الجهات الثلاث الشمالية والغربية والجنوبية، بسبب انحدارها الخفيف باستثناء طريق السحيلة التي تبدأ بالنزول من امام دار موسى الرطانة نحو وادي كريكعة، وهي مسافة قصيرة جدا. ويخترق القرية شارعان رئيسيان من الغرب الى الشرق، وتتفرع عنها بقية الشوارع الاخرى الى جميع اطرافها. وفي اواخر فترةالانتداب البيريطاني وصلت مساحة بيت نبالا الى ١٢٣ دونما، معم بيوتها متلاصقة ومبنية من حجر. وجميع طرقاتها ترابية وغير معبدة، وتربط هذه

الطرق البيوت والاحواش بالاماكن الرئيسية مثل : المقبرة والجامع وبير البلد والمضافة والنوادر (البيادر)، وبابور الطحين، وبابور وماكنات فرز الزيت، كما تتصل بالمسالك التي تؤدي الى الاراضي الزراعية المحيطة بالبلد. كانت معظم طرقها الداخلية الرئيسية عريضة ويبلغ متوسط عرضها (٥-٦) امتار. وكانت هذه الطرق تنفتح في بعض المواضع لتصبح ساحات واسعة مثل ساحة المطامير في الغرب، وساحة المقيل في الشرق، والساحات المحيطة بدار الزغلول في الوسط، وغيرها الكثير من الساحات. ثم تستمر هذه الطرق من الساحات محافظة علىعرضها المألوف سالف الذكر حتى تتفرع منها الدخلات الاقل اتساعا، التي تقود الى البيوت والاحواش. وبصورة عامة، فقد كانت السيارات الكبيرة وعربات الخشب الزراعية التي تجرها الخيول تتحرك بحرية تامة في معم طرقها الداخلية، كما كانت تتوسع لمواكب الاعراس والجنازات التي كانت تسير في مقدمتها احيانا فرقة العدة التي تقرع الطبول، وتحنحن على المصنجات، وترفع الاعلام خاصة اذا كان المتوفي من الرجال الصالحين، كما وكانت هذه الطرق تعج بقطعان العجال مع بزوغ كل فجر، او عندما تأذن الشمس بالمغيب. كان يتوسط القرية مضافة كبيرة مبنية من حجروسقفها معقود على النمط العربي، وهي تتألف من طابقين، وتقدر مساحة الطابق الواحد حوالي ٥٠ مترا مربعا، يحيط بها من الشمال والغرب ساحة واسعة. وكان الطابق العلوي يستعمل لنزل الضيوف الوافدين على القرية، واما الطابق الارضي فهو لايواء دوابهم واحمالها اذا كانت محملة. وكان معظم اهل القرية يتعاونون ويخرجون لهؤلاء الضيوف الطعام عند كل وجبة. كما كان يعقد فيها الاجتماعات العامة لجميع الحمائل، ويقوم الانجليز احيانا بمعاقبة وضرب رجالها بالكرابيج في ساحاتها عندما كانت تقع طوشة بين حمائلها، وكان عويلهم يترامى الى اسماع البيوت المجاورة في دار طالب الحيت ودار الحاج حسين صالح وقد انشئت فيها اول مدرسة عام ١٩٢١، وكان معلمها الوحيد الشيخ عبد الله يعقوب

من قرية بدرس، ونذكر من طلاب تلك السنة اسماعيل سليمان قطيفان، وخليل كايد حسين والذي كلفه الشيخ عبد الله بحمل مفاتيحها، وقد قال "تغيبت في احد الايام عن المدرسة، وذهبت الى احد حقول القمح لاعمل فريكة لاكلها، وكانت مفاتيح المضافة معي، وعندما حضر الشيخ عبد الله على حماره صباح ذلك اليوم ووجد المدرسة مغلقة والطلبة في حيرة من امرهم، فارسل طلاب للبحث عني، واهتدوا الى مكاني حيث كنت ادق طاقيتي المليئة بالفريكة بحجر صغير لافصل الحب عن السبل، فامسكوا بذراعي واقتادوني الى الشيخ عبد الله الذي ذبحني من القتل".

وكان بير البلد وهو المصدر الرئيسي لمياه الشرب يقع الى الغرب من المدرسة بانحراف بسيط الىالشمال، ولا يبعد عن الكمب اكثر من ثلاثين مترا، وهو بئر ارتوازي تعمل عليه مضخة كبيرة يشرف عليها السعيد الشبوب، وهو الميكانيست الذي كان يقوم باصلاحها عندما تتعطل. وكان على هذا البير خزان ماء كبير في اسفله حنفيات، والى جانبه بركة ماء قليلة الارتفاع، تغطس فيها الاغنام لتطهيرها من الامراض المعدية بعد ان يضاف الى مائها محاليل بيطرية. وكانت الطريق التي تصل القرية بالبير تشبه طريق النمل لكثرة النساء والصبايا الرائحات والغاديات وعلى رؤوسهن الجرار والعسليات المملوءة بالماء، ومن خلفهن يسير الاطفال حفاة الاقدام تلسعهم حرارة رمال الطريق (الصماتة) في عز الصيف.

اما المقبرة فتقع غرب القرية مباشرة، ولا يفصلها عنها الى الطريق العام وجامع السلطان عبد القادر، المقام على جزء من ارضها بمئذنته العالية التي ترى بوضوح من قرية دير طريف والحديثة واراضي بيت نبالا المحاذية لمدينة اللد. وكانت غالبية القبور مرتفعة عن الارض ومبنية بالحجر والشيد، تعلوها الشواهد البارزة، وكان ظهر بعضها محدبا مصقولا على هيئة مقطع طولي لثلث برميل كبير

املس يذكر من شاهده بظهر البيضة، وكان معظم اهل القرية بتجنبون دخول المقبرة بعد الغروب بسبب ما كان يشاع بينهم عن رؤية قط اسود يهيم بين القبور، كما اشيع بينهم مرة عن سماع انين ينطلق من قبر المرحوم احمد البرقة (ابو نظمي) مختار حمولة الشراقة بعد وفاته.

كانت اشجار الزيتون المعمرة تحيط بالقرية من جميع الجهات، ولم تبعد هذه الاشجار عن البيوت الا قليلا، وكانت مناطقها مألوفة للصبيان من الجهة الغربية مثل: البرك، وتعميرة دار سليمان امنة، وكرم ابو حدوش، وقطاع الجندي، والدريس، والحمرية، وزيتونة بيت قوفا. التي كانت تقع تحت بصرهم صباح مساء لوقوعها على الطريق التي تربط القرية بالمدرسة وبير البلد. كما كان يحيط بالقرية نبات الصبر، وعلى بعد اقل من بعد اشجار الزيتون. هذا الصبر الذي لا يزال صابرا وصامدا في معظم منابته القديمة مثل اطلال هياكل المدن التاريخية حتى هذه اللحظة والذي لا يزال يأكل من ثمره كل من يزور الموقع مع نضوج الثمر، مثل ام ميتة ابقى الله ضرعها حيا لانقاذ حياة وليدها.

كانت القرية مزدانة باشجار السدر، التي ياكل عنها الناس ثمار الطعامير، وقد ارتفعت هذه الاشجار في الفضاء بين جنبات البيوت من شرق القرية الى غربها. ومن اشهرها سدرة دار عبد الرازق القريبة من بيوت دار النخلة والتي يرد ذكرها كثيرا في احاديث كبار السن من اهل القرية الذين شاهدوها في صغرهم، فأخذوا يقارنونها بسدرة المنتهى التي ورد ذكرها في القرأن الكريم، وقد ظلت تلك السدرة بأغصانها مجالس الشيوخ امام محلقة ابو حجر، وقد كانت عصافير الدويري تشقق على غصونها، واذا ما رفع الجالسون تحت الشجرة نظرهم الى اعلى رأوا من فجوات فروعها سماء الصيف الصافية. كذلك اشتهرت في بيت نبالا سدرة

الزاوية القريبة من بابور طحين دار قطيفان، والسدرة الواقعة جنوب دار موسى الرطانة بجانب تينة السحيلة، والسدرة التي كان يتسلقها (المقرية) طلاب مدرسة القرية عند الذهاب والاياب على الضفة الشرقية لوادي كريكعة غرب الحمرية، وغيرها وغيرها.

اما ساحات القرية فكثيرة وواسعة، نذكر منها ساحة المطامير في الجهة الغربية من القرية، والتي سميت بهذا الاسم لوجود المطامير الكثيرة فيها، والتي هي عبارة عن ابار لتخزين الحبوب في سنوات الغلال. وكانت تقام فيها "السحجات" في الصيف ايام الافراح بعد ان تضاء "بلكسات" الكاز وتنصب على مواقدها طناجر الشاي، وتعبر من اطرافها بعض الصبايا بدلال وحياء حيث تلمحهن اعين الشباب بثيابهن البيضاء المطرزة، فيتبدين لهم، بين النور والظلام مثل ظبيات تتوارى خلف الصخور عند المغيب. كانت ارض القرية تعج بآبار الجمع التي تمتلئ في الشتاء من مياه الطرقات وتستعمل لسقاية الدواب وغسيل الثياب وبناء البيوت. وقد قسمت هذه الابار بين خاصة وعامة، نذكر منها على سبيل المثال : بير الخيل على طرف النوادرة الغربي الجنوبي، وبير حسين شرق البلد. نسية الى حسين ابن عابد الذي تألق نجم والده زمن تسلط القيسيين المرعب على البلد. وبير البرشة الذي يقع شرقي البلد في ارض دار دينة من حمولة الشراقة. ولا يفوتنا في هذا الوصف ذكر الطوابين في القرية التي كان يوازي عددها ثلث وربع عدد البيوت، والتي كان دخانها يزكم الانوف عند تزبيلها في المساء، ويتعالى بلونه الازرق في السماء ممزوجا برائحة اطواس المدموس والبامية المدفونة في ساساتها، والتي كان يعبق طيبها في خياشيم الجائع عن بعد. لقد شهدت جلسات الطوابين الكثير من النوادر الطريفة بين سكان القرية خاصة في ايام الشتاء، كان يتندر بها الحضر من اهل مدينة اللد عند لقائهم مع مخاتير القرية.

كانت النوادر (البيادر) الشامية ونوادرة السطح تشكلان جناحين للقرية من الشمال والجنوب، وتربو مساحة كل واحدة منها على عشرة دونمـــات وجميعهـــا ارض منبسطة تتسابق فيها الخيول وترعى فيها الحمير ايام الربيع. ويطرح فيهـــا اهل القرية حصادهم من القمح والشعير والسمسم والذرة ايام الصيف مع مراعـــات الحدود المتعارف عليها فيما بينهم. وكانت تنبت فيها ايام الشتاء جميع انواع البقول البرية الصالحة للطبخ مثل : الخبيزة والبقلية ورجل العصفور وبعض انواع الفطر، كما نبت على اطرافها نباتات الخرفيش والقريص، خاصة في السنوات المـــاطرة. يضاف الى هذا ما كان ينبت في المساحات الخالية بين البيوت من بـــابونج وخلـــة واقحوان خصوصا على المزابل واطرافها، كما كانت الطحالب تعلو جدران بعض البيوت او ظهور بعض السقاية القليلة بين البيوت الحجرية الغالبة. وكانت ســـماء القرية تعج باسراب الحمام وعصافير الدوري التي تتردد علـــى نـــوادرة الـــسطح والنوادرة الشامية بحثا عن الحبوب في ايام الدرس، حيث تذهب خماصـــا وتعـــود زغابا. وطيور السنونو تنزلق سريعة في الهواء فوق الحارات التي تقـــوم بعـــض نسائها بغربلة العدس، لالتقاط حشرات السوس المتطايرة من الحبات التالفة. كانت معظم البيوت لا تخلو من الدجاج البياض، وهو ينبش التراب ويتحمم من عفيـــره باسترخاء وامان في جنبات الحواكير تحت رعاية الديك. الا ان صيصانها كانـــت تتعرض لغارات الصقور التي تسكن الاوكار في جدران البيوت المرتفعة والعاليات الشاهقة وخاصة جدران المضافة.

كانت البلد مقسمة الى مناطق نفوذ، تحكمها زعامات الاطفال الذين يعيشون دائما في حالت حرب بين الحارات المختلفة، وهم يتسلحون بقصب الذرة المطروح في شوارع القرية تحت اقدام المارة. وكانت الفتيات الصغيرات يلعبن على عتبات

الاحواش بشعرهن الاشعث، والعجائز يتبادلن نشقات الزعوط بنفوس راضية وقلوب مطمئنة عبر الازقة في ظل جدران البيوت واسوار الاحواش العالية.
ويمكن تقسيم نمط البناء في القرية الى ثلاث اقسام وهي :

اولا :الاحواش الرئيسية الكبيرة المحاطة بالبيوت القديمة العالية من جميع الجهات، والتي تعتبر جدرانها الخلفية الخالية من النوافذ بمثابة السور الذي يحيط بالحوش الواحد، وله بوابة رئيسية واحدة لجميع من يسكن بداخلها، وتفتح ابواب هذه البيوت متقابلة على ساحة الحوش من الداخل، ويعلو كل باب فتحة صغيرة تسمى هلالا لتهوية البيوت اثناء نوم الناس ودوابهم بداخلها. وكانت هذه الاحواش بمثابة قلاع حصينة في فترة الحروب بين القيس واليمن، وذلك لضمان حياتهم وحماية ماشيتهم، وشكلت هذه الاحواش بمجموعها البلدة القديمة، ومن اهم هذه الاحواش نذكر :

أ – حوش السباط : يقع خلف دار مرعب ودار الشبلي الحيت من الجهة الشمالية، وتفتح بوابته نحو الشمال، ويضم بداخله دار علي قاسمية ودار حسن حمد الله واخوانه محمد حمدالله ويوسف حمد الله، ودار احمد العرايشي والشيخ احمد رشيد والعبد الحنفي وسليم داهود وعمر كركور.

ب – حوش الزعوط : يقع شمال دار حسين خليل يوسف، ويفتح بابه نحو الغرب، ويضم بداخله دار حمود الزغاري وعيشة مرزوق، واحمد طبطب والغزاوي رشيد وعبدالله بقلة.

ج – حوش البلاط : ملاصق لحوش السباط من الجهة الشرقية وبوابته تفتح نحو الشرق ولا تفصل بين البابين سوى زاوية البناء ويضم بداخله دار كل من: محمود مطلب، وسالم رشيد حسن، ودار عليان وحميدان مخلوف وخليل الحلاقة وصالح عبد العزيز ويوسف مصطفى.

د – حوش دار الشاعر : بجانب حوش البلاط من الجهة الشرقية، وبوابته تفتح الى الشمال، ويضم دار كل من محمد العنطيل وسالم الاحول وتيم قاسم واخوه ودار مصطفى البليج.

هـ– حوش دار النخلة : بوابته تفتح نحو الشرق، ويضم بداخله دار كل من ابراهيم محمود واخيه خليل محمود وعبد القادر خليل واحمد طايع والعبد طايع ومحمد موسى علي وعبد الجليل عودة.

ثانيا :الاحواش الصغيرة وتضم هذه الاحواش عددا اقل من البيوت مقارنة بالاحواش الكبيرة انفة الذكر، وتتميز هذه الاحواش بصفة عامة بان ملكيتها تعود لاسر تنحدر من جد واحد. ويحتل هذا النمط من البناء الغالبية العظمى من مساحة القرية المحدودة والمحصورة بين الواديين من الشمال والجنوب. وقد انشئت هذه الاحواش في الارض الخالية ضمن ما يعرف بالبلد القديمة او المحيطة بها، وذلك بعد ان شعر الناس بالامن والهدوء النسبي على اثر انخفاض حدة هجمات الجرود القيسيين على القرية. ولكن هذا النمط من الاحواش كان ضروريا لهذه الاسر لضمان امن ماشيتهم التي نادرا ما يخلو منها بيت في القرية.

ثالثا : البيوت المستقلة اقيم هذا النمط من البيوت في مرحلة متأخرة على اطراف القرية وخاصة في نوادرة السطح وذلك في عهد الانتداب البريطاني. وكانت غالبية هذه البيوت محاطة بسياج عادي لمنع الدواب من الدخول الى ساحاتها، ومعظم اصحابها هم ممن هجروا الاحواش القديمة او من ابنائهم الذين ضاقت بهم المساكن القديمة. ونذكر منهم دار مصطفى طه، ومحمود فنون، ومحمود القرعة، ومصطفى خليل خالد، وعطا الحاج يوسف، ومحمود اسماعيل، ومحمود مسعود خالد، ومحمد الطرشة، ومحمود زكية وعبد المجيد طه، وظاهر شقديح وحكمت شقديح، وخليل محمود صافي، ويوسف علي نحلة، وغيرهم الكثيرين في الجهات الاخرى من القرية.

السكان :

اول الارقام المتوفرة عن عدد سكان قرية بيت نبالا في العـصر الحـديث وردت في كتب د. كمال عبد الفتاح مع د. وولف هيتروث "الجغرافيـة التاريخيـة لفلسطين وشرق الاردن وجنوب سوريا في اواخر القرن السادس عشر" حيث قـدر عدد سكان بيت نبالا عام ١٥٩٦بـ ٢٧٠نسمة [١] . وقد حصل الباحثان على الرقم المذكور من دفتر الضرائب الخاص بلواء غزة الذي كانت ناحية الرملة تابعة له في ذلك العهد. واذا اخذنا بالاعتبار النمو السكاني في فلسطين، الذي كان بطيئا ما بين القرن السابع عشر والتاسع عشر، بسبب انتشار وباء الطاعون، الذي كان يتكـرر كل عشر سنوات تقريبا ويحصد ٥٠% من سكان المنطقة والعالم، فاننـا نقـدر ان عدد سكان بيت نبالا قد كان في حدود ٥٠٠ نسمة عند منتصف القرن التاسع عشر. ولما شهدت فلسطين في النصف الثاني للقرن التاسع عشر وبداية القرن العـشرين ظاهرة القضاء على وباء الطاعون وبعـض التحـسن فـي الظـروف الـصحية والاقتصادية والامنية، فان عدد سكان بيت نبالا وصل ووفق احصاء السكان الاول الذي اجراه الانتداب البريطاني عام ١٩٢٢ الى ١٣٢١ شخصا، مقـسومين الـى ٦٦٤ من الاناث و٦٥٧ من الذكور [٢] . اما في التعداد السكاني الثاني الذي جرى عام ١٩٣١ فقد وصل عدد سكان بيت نبالا الى ١٧٥٨ شخصا مـن بيـنهم ٨٨٢ ذكور، و٨٧٦ اناث. والجدير بالذكر ان سكان بيت نبالا كافة هم مـسلمون. امـا عدد بيوت القرية فقد وصلت في عام ١٩٣١ الى ٤٧١ بيتا [٣] . بمعنى ان الكثافة السكانية الوسطى بلغت في بيت نبالا ٣,٧ شخص في البيت الواحـد. امـا الـرقم الرسمي الثالث والاخر الذي ورد عن عدد السكان فقد صدر في الارقام الاحصائية التي اصدرتها حكـومة فلسطين عن ملـكية الاراضي وعدد السكان عـام ١٩٤٥

لصالح اللجنة الامريكية التي وصلت الى فلسطين عام ١٩٤٦ للبت في مصير الديار الفلسطينية، وقد قدر عدد سكان القرية في عام ١٩٤٥ بحوالي ٢٣١٠ نسمة [٤] . ويعتقد العديد من اهل القرية بعد تطابق هذه الرقم الاخير مع الواقع، وهو برأينا اعتقاد له ما يبرره، اذا ما وضعنا امامنا اعتبارات كثيرة، منها الاوبئة التي كانت تجتاح القرى وتقضي على عدد كبير من الناس، مثل الكوليرا، وعدم الوعي بأهمية الاحصاءات، علاوة على عدم الثقة بحكومة الانتداب البريطاني التي جعلت العديد من السكان يقللون من الارقام المعطاة، خوفا من السلطة الجديدة (الانجليزية) التي تمثلت في اذهانهم بالسلطة العثمانية السابقة التي كانت تستغل معادلات الاحصاء للتجنيد الاجباري او الضرائب. الا ان الباحث عباس نمر، وقد اورد في نهاية بحثه المتعلق بسكان بيت نبالا أن عددهم قد وصل عام ١٩٤٧م الى ٤٨٣٠ نسمة [٥] ، وذلك حسب الاحصائية التي قامة بها لجنة الزراعة في القرية، ومعنى هذا ان عدد السكان قد ازداد خلال السنتين من ١٩٤٥ – ١٩٤٧م الى اكثر من الضعف. وهذا برأينا رقم مبالغ به، وغير صحيح بالرغم من انه مثبت في دفاتر لجنة الزراعة في القرية، ويعود السبب في ذلك الى ان بعض العائلات كانت تسجل اسماء افرادها مرتين او ثلاثا من اجل الحصول على الاغذية من رز وسكر وغيرها من المواد التي كانت توزعها سلطات الانتداب على السكان بواسطة اللجان الزراعية في القرى الفلسطينية والتي تعرف باسم (السندقة)، التي كان توزيعها في الغالب لا يخلو من المحسوبية. واذا ما اتخذنا من احصائية عام ١٩٤٥م، التي تعتبر ان عدد سكان بيت نبالا قد بلغ ٢٣١٠ نسمة اساسا للتقديرات المقبلة، واذا اخضعنا هذا الرقم لمنطق الاحصاء الذي يقول بان عدد السكان في بلادنا يتضاعف مرة كل عشرين عاما، فان عدد سكان بيت نبالا اليوم في ديار الشتات لا يتعدى خمسة عشر الف نسمة، وهو رقم يغضب اهل القرية، حيث يرى الصغير منهم قبل الكبير بان عددهم اليوم هو بين ٤٠ الفا الى ٥٠ الف نسمة، تقيم غالبيتهم العظمى في الضفة الشرقية

وخاصة في الوحدات وجبال عمان الشرقية والزرقاء وناعور، اضافة الى عائلة دار الخيري المقيمة في مدينة اربد. وتعيش نسبة غير قليلة من اهل بيت نبالا في الضفة الغربية، خاصة في مخيم الجلزون ودير عمار ومدن رام الله والبيرة وبيرزيت، ويقدر ان عددهم هناك قد تجاوز في منتصف عقد التسعينيات من هذا القرن ٣٥٠٠ نسمة. واهل بيت نبالا موزعون ايضا بالاضافة الى الاردن وفلسطين في ديار الشتات بحكم اعمالهم، وسعيهم وراء الرزق.



الحمائل والعائلات :

تحدثنا في السابق بأن منطقة بيت نبالا والاراضي المحيطة بها غنية بالاثار والخرب المندثرة، ومنها الخربة الشامية وبيت قوفا وجنداس ودسرة وبعنة وراس ابو يعقوب الذي لا تزال اعمدته المضلعة القائمة شاهدة عليه، وغيرها من الخرب العديدة، مما يدل على ان هذه النمطقة كانت مركز جذب لاستقرار بعض العشائر والاسرار التي ضاقت بها منابتها الاصلية بسبب المنازعات، او سعيا وراء الكلأ وخصوبة التربة، او لنشر بعض المعتقدات الدينية عبر الدهور. ومن المعروف في التاريخ القديم بان الكثير من القرى والمدن التي كانت تستعصي على الجيوش الغازية، يتم تدميرها واحراقها، وكان ملوك هؤلاء الغزاة يتفاخرون باقامة النصب التذكارية المنقوش عليها انباء تلك الكوارث.

وتعتبر بيت نبالا من ضمن المواقع التي تعرضت للدمار عدة مرات منذ ان سكنها الكنعانيون، وقد نهضت فيها الحياة والعمران اخر مرة عام ١٢٩٢ على انقاض دمار سابق. ولا يعرف احد بالضبط اول العائلات التي نشأت بوجودهم القرية منذ ذلك التاريخ، خاصة وان سكانها قد استوطنو فيها على دفعات زمنية متتابعة، وكان لكل موجة اسبابها وظروفها. وقد قطنت القرية حتى عام ١٩٤٨، وقبل رحيل اهلها عنها خمس حمائل، تتفرع عن كل حمولة منها عدة افخاد، سواء بانحدارها من جد واحد، او بائتلافها بعضها لبعض، بغض النظر عن اصولها ومنابتها، او الفترة الزمنية التي قدمت فيها الى بيت نبالا. وهذه الحمائل الخمس هي : الشراقة، النخلة، صافي، المصاروة، زيد. وفيما يلي بعض التفاصيل عن هذه الحمائل :

١ – **حمولة الشراقة** :

تتشكل هذه الحمولة من ائتلاف عائلات عديدة، ويعتبرها البعض اصل البلد، واول من سكنها. ومن المؤكد ان الاوائل منهم كانوا يحملون اسم بيت نبالا وحدهم، واكن عندما تعددت الحمائل في القرية، اصبح هؤلاء الاوائل جزءا من الكل فصاروا يحملون اسم الشارقة وقد سموا بالشارقة، لانهم كانوا يسكنون في الجزء الشرقي من القرية. ومن اهم عائلات هذه الحمولة :-

أ- دار التلة : وهم من اقدم عائلات بيت نبالا، حضروا اليها من الحجاز في عهد الايوبيين، وهم من قبيلة قيس عيلان، ومنهم دار علاء الدين ودار عبد النبي (البنار).

ب – دار جودة : من اقدم العائلات في البلد، ومنهم دار عوض.

ج – السوالمة : وهم من عرب ابو كشك، ومنهم دار ابو بقلة ودار حسونة.

د – دار الشاعر والبحشة : وهم من عرب الحجاز.

هـ – السكافي والقر : يرجع اصلها الى خربة قاقوطة، وهي بقايا خربة مندثرة بالقرب من بيت نبالا.

و – دار شحادة وسعد وصباح وهم ايضا من حمولة الشراقة.

ز – الزين وكمش : يقال انهم من جد واحد، كما يقال انهم من عرب ابو كشك، ويرجعون في نسبهم الى عرب الحجاز، من قبيلة قيس عيلان، التي تعرف في السعودية باسم العتيبي، وهناك رأي اخر، يقول انهم من زبون الظاهرية قضاء الخليل، وقد خرج اجدادهم منها اثر نزاع عشائري، وكانوا ثلاث اخوة، توجه احدهم الى الرمثا، ومنه زبون الرمثا، وتوجه الثاني الى منابع نهر الموجب في منطقة مادبا، ومنه زبن بن صخر، وتوجه الثالث الى بيت نبالا، ومنهم محمد زبن وحمدان زبن ومصطفى زبن. اما العائلات التي ترجع الى كمش، فهم: دار ابو عاقلية ودار محمد نمر ودار احمد البرقة.

ح – **دار عابـــد** :استقر هؤلاء في القرية في وقت متأخر، بعد ان تشكلت الحمائــل الاربع، ويرجعون في نسبهم الى قرية دير جرير قـــرب رام الله، مـــن حمولـــة الفراخنة من دار عجاج، الذين يعود اصلهم الى قرية فرخة في وسط فلسطين. امـــا سبب هجرة عابد من قرية دير جرير، فيعود الى المنازعات التي وقعت بينـــه وبـــين اقاربه هناك، ويقال بانه ذبح اربع من اقاربه قرب عين ماء البلد، ثم هـــرب مـــع اخوته الى غور الصافي ثم الطفيلة، حيث استقر فيها، وتزوج منها. لكنه ما لبـــث ان اختلف مع اهل زوجته فقتل حماه وهرب الى فلسطين، وبالذات الى قريـــة فرخـــة، منبت اجداده الاوائل الفراخنة، لكن اهل فرخة اعربوا عـــن خـــوفهم مـــن نيتـــه بالاستقرار في بلدتهم بعد ان هدر دمه في قريته دير جرير، وقد طلب منـــه اهـــالي قرية فرخة مغادرتها، قائلين له : ان الفرخة لا تستطيع ان تحمـــي الـــديك. واثـــر ذلك استمر في ترحاله حتى استقر في بيت نبالا، وذلـــك عـــام ١٥٤٠م، أي بعـــد قدوم سلام جد الحمائل الثلاث الاخرى بقرن ونيف. ولعابد هذه قصة طويلة، حيـــث يقول احد احفاده الحاليين وهو الاستاذ رسمي عابد، وذلك في بحث اعـــده لتوثيـــق تاريخ القرية لم ينشر بعد، بأن الفترة التي قدم فيها عابد الى بيت نبالا كانـــت فتـــرة خلاف وصراع بين القيسية واليمانية في فلسطين، فاشترك عابد واهالي بيت نبـــالا في هذه الفتنة المجنونة. واصبح عابد بجرأته زعيما من زعماء القيسية في الـــبلاد والذين يطلق عليهم اسم الجرود، وقد قام هؤلاء بعدة مذابح في قريتي قبية وديـــر طريف وفي قرى اخرى، وكان لهم مقر في قرية دير ابو مشعل، واخر في مكـــان قريب من دورا الخليل ويسمى بقصر عابد. وعندما بدأ نجم القيسيين يأفل اثر تشديد قبضة الدولة العثمانية هرب عابد الى قرية جيوس شمال فلسطين وتزوج من هناك، وعندما هدأت الخواطر عاد الى بيت نبالا حيث عادت الفتنة من جديد، ولكن الوالي العثماني في فلسطين قبض على زعماء القيسية وسجنهم، واصدر حكما باعـــدامهم غرقا، اذ القى بهم في البحر الابيض المتوسط بعد ان ربط كل واحد مـــنهم بجـــسم

ثقيل. والجدير بالذكر بان دار عابد من قرية كفردان في الشمال هم من ابناء عابــد من زوجته التي تزوجها. وقد ظل ابناء عابد واخوته في بيت نبالا، حيث انــدمجوا مع اهل القرية، وهم الان من حمولة الشراقة.



حمايل زيد وصافي ونخلة :

اما حمائل البلد الثلاث الاخرى زيد وصافي وثلاث ارباع دار النخلة تقريبا فيرجعون في نسبهم الى سلام الخزاعي فيما عدا بعض العائلات، الا انها تحسب من ضمنها عند التعداد العام، وهي ترتبط بها بروابط المصاهرة الوثيقة والمصالح المعيشية المشتركة. وسلام هذا هو سلام بن حرفوش الخزاعي من قبيلة خزاعة التي هاجرت من اليمن الى مكة اثر خراب سد مأرب. وقد شاركت في الفتوحات الاسلامية كغيرها من القبائل العربية، لكن هذه القبيلة هجرت الديار الحجازية اثر نزاعات قبلية متوجهة نحو الشمال، وقد قتل من بقي منهم في الحجاز ومنهم اخ سلام، وقد قيل ان المقتول هو ابنه وليس اخاه. وقد استقرت هذه العشيرة في منطقة عوجا الحفير جنوب فلسطين، واختلطوا مع اهل قرى سبيطة والمنية وعبده، ثم توزعوا في مختلف انحاء فلسطين، فمنهم من ذهب الى بئر السبع، ومنهم من استقر في منطقة غزة، ومنهم من استقر في قرية خربثا المصباح، حيث تعتبر حمولة الحرافشة اكبر الحمائل الاربعة في تلك القرية. ولا يزال ابناؤها ينتسبون الى جدهم الحرفوش في وثائقهم الرسمية حتى ايامنا هذه، كما حافظ بعض ابنائها على توثيق صلاتهم مع حرافشة بعلبك وحرافشة مغيرة السرحان في منطقة المفرق. اما سلام واخوته فقد توزعوا على النحو التالي : سلام بن حرفوش استقر في بيت نبالا عام ,١٤٥٠ وحمد بن حرفوش استقر في قرية المغار جنوب فلسطين. اما الاخ الثالث فقد استقر في بعلبك لبنان، ومنه انحدر امراء الحرافشة الذين حكموا بلاد بعلبك في العهد العثماني، وحالفوا الامير فخر الدين المعني في القرن السابع عشر، الى ان نشبت الخلافات بين الحرافشة انفسهم بعد سنة ١٨٦٠م وحكم على زعمائهم من قبل السلطان العثماني بالنفي الى جزيرة رودوس بعد ان امر بشنق

الامير اسعد الحرفوشي في بعلبك (٦) . وقد قال المرحوم محمد علي صــالح بــأن صلة حرافيش لبنان لم تنقطع مع اهالي بيت نبالا الا بعد الحرب العلميــة الثانيــة، حيث كانوا في الماضي يتبادلون الزيارات ويكرم بعضهم بعضا.

ونعود الى القرية، حيث استقر سلام وعياله في مغارة بجانب بيت نبــالا، التي لا تزال حتى هذه اللحظة تحمل اسمه " مغارة سلام"، وقد نصب بيت شــعره بجوارها، واحبه اهل القرية كثيرا خاصة بعد ان "فزع" لهم ليدفع شر اهل الحديثــة عنهم. ولما رأى اهل القرية دماثة خلقه ونجدته، دعــوه للــسكن معهــم، ففعــل، وانتقل الى القرية، وصار واحدا منهم وشاءت حكمت الله ان يكثر نسل هذا الرجل حتى اصبح اكثر من نصف القرية، وتوزع احفاده الى حمائل ثلاث هــي : زيــد وصافي ونخلة، حيث تفرع عن كل حمولة عدة افخاد.

٢ – حمولة دار نخلة :

تتكون هذه الحمولة من اربعة افخاد رئيسية، تعود ثلاث منها في نسبها الى جد واحد هو عيسى احد احفاد سلام الخزاعي، وهــم : دار محمــد ياســين، ودار احمد مصلح، ودار سلامة. اما الفخد الرابع، فهو دار عناية الذين يرجعــون فــي نسبهم الى قرية بيت اولا قضاء الخليل، وقد سميت هذه الحمولة بدار نخلة نــسبة الى دار كانت تملكها الحمولة قديما في وسط ساحتها شجرة نخلة، ومن هنا جــاء اسم حمولة دار نخلة، وكان هؤلاء يسكنون غرب بيوت حمولة الشارقة. وســنورد فيما يلي بعض التفاصيل عن الافخاد الاربعة لهذه الحمولة :

أ – دار محمد ياسين : جدهم هو خلاف بن عيسى، ويتفرع عن هذا الفخد عدة عائلات وهم : ابناء قاسم (دار الدبسة) ، وابناء علي (دار زوبعة) ، وابناء ابراهيم وابناء ياسين، وابناء مصطفى، وابناء صباح، وابناء صبيح.

ب – دار احمد مصلح : جدهم هو خلف بن عيسى، ويتفرع عن هذا الفخد عائلات دار سليمان احمد جد المختار عطا موسى، ودار محمود احمد، ودار رباح، ودار الحلاقة.

ج – دار سلامة : جدهم هو خليف بن عيسى ،ويتفرع عنه عائلات دار سليمان مصطفى (المختار سليمان امنة)، ودار علي فرحة، ودار عبد النبي

د – دار عناية : وهم ابناء يوسف بن داود بن عمر العملة من قرية بيت اولا الخليل، والذين نزحوا عنها اثر نزاع عشائري واستقروا في بيت نبالا وانضموا الى حمولة دار النخلة. ويتفرع عن هذا الفخد عائلتان رئيسيتان هما دار مخلوف ودار احمد الملقب بالخداش. كما ويتفرع عن هاتين العائلتين عائلات عديدة نذكر منهم : احمد مخلوفة (حويلة) ومحمود والد مصطفى دحولة، ومحمد والد عيسى صبحة، وسالم سلامة (الحساب)، وسليمان محمد، ومخلوف والد حميدان مخلوف، ويوسف (حسن بيشو) جد حسين خليل عيده الذي كان مختارا قبل الرحيل. ومن عائلات دار الخدش : دار علي جد حسن مصطفى (برارة)، ودار محمد السيد وجد خليل ابو ناعمة، ودار عبد القادر والد عيسى الملقب بالشايب، ووالد عبد الرحمن ابو شاكر.

٣ – حمولة دار صافي :

يعود اصل هذه الحمولة الى جد واحد اسمه "مبارك"، وهو من احفاد سلام الخزاعي جد الحمائل الثلاث، زيد ونخلة وصافي، ولكن عندما لمع اسم احد احفاده وهو "صافي" سميت الحمولة باسمه بالرغم من ان جزءا كبيرا من الحمولة ليس من نسله، بل من ابناء اخوته وعمومته، واسمه الكامل "صافي مصطفى محمد ياسين مبارك".

ومن ابناء صافي هذا كان كل من :

١ – **حسن صافي** : ومن اولاده، رشيد حسن، احمد حسن، محمد حسن.

٢ – **حسين صافي** : ومن نسله، محمد عثمان حسين صافي، مرزوق.

٣ – **عباس صافي** : ومن اولاده، ياسين وحسين.

٤ – **محمود صافي** : ومن أولاده عبد الرحمن ومصطفى خليل.

٥ – **احمد صافي** : وينحدر منه دعوس وابو يقين وسليم وسليمان وراغب وطالب وشاكر.

٦ – **خالد صافي** : وينحدر منه، ابراهيم، خليل، طه، اسماعيل، مسعود، موسى، الخالدي، سالم، محمد، احمد، محمود، مصطفى.

٧ – **الغزاوي صافي** : ومن نسله، رشيد، وتيم.

ويوجد لصافي مصطفى هذا اخوة عدة وهم :

١ – **عساف مصطفى** : ومن اولاده، عبد الرحمن، يوسف، حسين، عبد اللطيف.

٢ – **علي مصطفى** : ومن اولاده عبد النبي، عبد الغني، احمد، موسى.

٣ – **محمد مصطفى** : ومن اولاده، طه، عيسى.

٤ – **احدوش مصطفى** : ومن اولاده سليمان.

ومن اعمام صافي شخص اسمه مطلب محمد ياسين وهو اخ مصطفى والد صافي، وبقي ان نذكر، ان جزءا من الحمولة ظل يرجع في نسبه الى الجد الاول مبارك بالرغم من انهم يحملون اسم صافي، وهؤلاء هم :

١ – دار خليل : ويتفرع عنها، دار الجاجة وسنقر واسماعيل ومطر والعيشاوي وقاسم خليل وابراهيم خليل (نينة).

٢ – دار شتات : ويتفرع عنها، راشد وحسين ذيبة والعنطبيل وصالح والكحلة.

٤ – حمولة دار زيد :

تعد من اكبر الحمائل في البلد واكثرها تشعبا، وتكاد فروعها ان توصل ابناءها الحالين الى حافة الجدل لتشعب العائلات التي ترجع بسوادها الاعظم الى سلام بن حرفوش الخزاعي، بغض النظر عن العائلات القليلة الوافدة التي تنضوي تحت لوائها. ويمكن تقسيم هذه الحمولة الى اربع افخاد وهي :

١ – دار مصلح : ويتفرع عنهم أ– دار قطيفان ب– دار عودة (شقديح) ج– دار حماد، وينحدرمنه دار ابراهيم ودار عبد الله والد مصلح الذي انجب صالح والحيت.

٢ – محمد خرف : وينحدر منه كل من دار ايوب ودار العتلة، ودار الاكحل، ودار حمدالله (الحجوج)، ويتفرع عن الحجوج هؤلاء: دار قاسم ودار عبد الرازق ودار حسن حمدالله واخوه يوسف، ودار عبد الخليل.

٣ – دار عدوان : وهم دار بدوان ودار عبد الجابر

٤ – عائلات مؤتلفة وهم :

أ – المراعبة : ويعود اصلها الى الشوبك في شرق الاردن، ويقال بانهم من اقدم العائلات في البلد.

ب – دار الطرفان : وهم من مصاروة البلد.

ج – دار الشيخ امين وهم من قرية البرير في فلسطين
د – دار الخطبا : وهم من قرية دانيال، ومنهم الشيخ احمد الخطيب واخوه رشـــيد، ودار سيف الدين واخوه محي الدين.
هـــ – دار العبد خليل : وهم من دير البلح جنوب مدينة غزة.
و – دار خير الدين : ومنهم احمد ومحمود خير الدين الذين ائتلفوا مع الحمولة بعد ان هاجروا من قريتهم الاصلية قطنة في منطقة القدس اثر خلاف على زواج.

٥ – حمولة المصاروة :

وهي عائلات مستقلة لكنها مؤتلفة بعضها مع بعض ، وتشترك في عامـــل واحد وهو قدوم اجدادهم الاوائل من مناطق مختلفة في مصر. وتقـــول المـــصادر التاريخية بان هؤلاء رافقوا حملة ابراهيم باشا على فلسطين عام ١٨٣١، وظلوا فيها بعد انتهاء الحملة عام ١٨٤٠ هروبا من سياسة محمد علي الاقتصادية، وتقع معظم بيوت افرادها جنوب البلد ووسطها. ومن عائلاتهم : دار عبد الله حـــسان واخـــوه المشني، ودار جمعة رضوان الذي كان يعمل حلاقا في القرية، كما كان يمـــارس فيها مهنة الطب الشعبي، ودار حمد ومنهم الشيخ مسعود حمد (العسس) الذي كـــان يتولى عمل المسحر في شهر رمضان من كل عام.

العمران :

في الاحصاء العام للسكان والمساكن الذي اجري عام ١٩٣١ في فلسطين اشارة واضحة الى ان عدد بيوت القرية في ذلك العام قد وصل الى ٤٧١ بيتا [٧]، بمعدل ٣,٧ اشخاص في البيت الواحد. وفي اشارة احصائية اخرى لاواخر الانتداب البريطاني، نجد ان مسطح البناء في القرية قد وصل عام ١٩٤٥ الى ١٢٤ دونما [٨] . وكانت وجهة النمو العمراني تسير نحو الغرب والشرق بعد ان وصل امتداد القرية شمالا وجنوبا الى ضفتي الواديين، واتخذ مخطط القرية التنظيمي كما هو واضح في المخطط المرفق، شكل المستطيل، حيث يتعامد فيه الشارعان الرئيسيان وسط القرية، وتتوازى بقية الشوارع الاخرى مع هذين الشارعين الممتدين الى اطراف القرية.

ويشير الواقع الى ان التوسع العمراني في نهاية الانتداب البريطاني كان قد تجاوز وادي كريكعة، فقد عبر الكثيرون من اهل القرية الوادي نحو الجنوب، واقاموا بيوتا لهم على رأس نوادرة السطح من الجهة الشرقية، وقد قدر عدد البيوت التي "شردت" على الجانب الجنوبي لوادي كريكعة بعشرين دارا. ويقول المتقدمين في السن من اهل القرية، ان نية بعض السكان كانت تتجه قبل نكبة عام ١٩٤٨ لاقامة البيوت المنفردة في اطراف البلد، وخاصة في الجهة الجنوبية، التي هي اقل وعورة من الجناح الشمالي للقرية، ولقربها من الطريق المعبد الذي يتجه الى الشرق نحو قرية بدرس. وقد وجدت هذه النية كنتيجة طبيعية لتزايد عدد السكان، وعدم وجود مساحات خالية من الارض داخل القرية، اضافة الى تحسن وضع السكان الاقتصادي من عمل الكسارات والاشتغال في الكمب، والتحول في النمط الزراعي باقامة مشاريع البيارات. ولكن نكبة عام ١٩٤٨ وضعت حدا لطموحات

اهل البلد، وجمدت احلامهم في رؤوسهم. وتوقف التوسع في البناء شرق البلد وغربها تماما بعد ان استكملت شكلها الطولي من الشرق الى الغرب. ويرجع السبب في ذلك الى ان طرفها الشرقي قد اصطدم باثار واشجار زيتون راس ابو يعقوب، ومن الغرب بمقبرة القرية وجامع السلطان عبد القادر اللذين كانا يقفان في وجه توسعها كحاجز نفسي وديني لا يمكن اختراقه. اما فيما يتعلق بطبيعة البناء والمواد المستخدمة فيه، فاننا هنا نخالف ما جاء في الموسوعة الفلسطينية [٩] ، بأن بيوت القرية كانت بمعظمها متلاصقة ومشادة من اللبن والحجر. ذلك انه كيف يمكن ان يكون ذلك وبيوت القرية بمعظمها مكونة من الاحواش العامة والاحواش الخاصة التي تشبه القلاع، وتضم بداخلها عليات كثيرة في الطابق الثاني ؟؟ ومن اهم الاحواش التي كانت قائمة حتى عام ١٩٤٨ في القرية نذكر حوش حمولة النخلة الذي كان يقع قرب الجامع. وحوش البلاط التابع لحمولة صافي في وسط البلد، وحوش السباط لحمولة زيد في وسط البلد أيضا، وحوش الزعوط لحمولة الشراقة. والحقيقة ان جميع بيوت القرية كانت مبنية من الحجارة المقصبة الكبيرة، وخاصة التي تحف شوارعها وازقتها الداخلية، باستثناء عدد قليل من السقايف والطوابين التي كانت معرضة للزوال في اية لحظة. كما ان التوسع العمراني في القرية كان عموديا على شكل عليات كثيرة غالبيتها مبنية من العقد العربي فوق بيوت العقد.

كانت وحدت السكن في بيت نبالا تتكون من بيت واحد، يفتح في العادة على حوش خاص بالعائلة، او حوش عام يلم عدة عائلات، وكانت غالبية الدور من بناء العقد التقليدي القديم الذي يستند سقفه على اربع ركب في زواياه اذا كان البيت مربعا، او ست اذا كان مستطيلا. وكانت مساحة المستطيل تعادل ضعف المساحة المربع او اقل قليلا. وتقدر هذه المساحة في متوسطها ما بين (٦٠-٧٠) مترا مربعا، وكان البيت في الداخل يقسم الى ثلاث اقسام، حيث تحتل المصطبة نصف

مساحة البيت تماما، وترتفع عن قاع البيت حوالي متر اذا كانت ارضيتها مردومة، او مترين، اذا كان تحتها عقد صغير يخزن بداخله جرار الزيت والزيتون وشوالات الحبوب واحيانا الحطب. وكان يصعد الى المصطبة بعدة درجات، ويفصلها عن بقية اجزاء البيت صف من خوابي الحور المليئة بالحبوب، وهي تشبه الخزانة الصغيرة من حيث الشكل والسعة، ولها فتحة واسعة في اعلاها، لتدار فيها الحبوب، وفتحة صغيرة في اسفل جانبها بقد قبضة اليد، لها سدادة ملفوفة من القماش على شكل كرة. كما كانت تقوم على جانبي اعلى درجة المصطبة مقعدة مشبكة من الحور يوضع عليها ابريق الزيت، وبجانبها موقد توضع عليه قدرة الفخار التي تستعمل للطبخ خاصة في فصل الشتاء كما كان يوجد في احد جوانب المصطبة مكان مرتفع قليلا مساحته (١*٢)م يسمى حامل اللحفة، يطوي عليه الفراش اثناء النهار، ويفرش عند النوم. وكانت باطية الخبز واقداح القش تزوى في الفراغ تحت هذا الحامل، كما كانت بعض النساء يقمن بعمل رفوف من الحور في اعلى الجدران على شكل طاقات، توضع فيها الحاجات الصغيرة المستعملة يوميا، مثل الكبريت والصابون والخيطان ومدقة المدموس وقبعة البيض وقبعة الخميرة حتى لا تصلها الفئران، اضافة الى رف صغير يوضع عليه السراج يعرف بالمسرجة، المدبوغ اعلاها بسناج الدخان.

اما النصف الثاني من البيت، فيقسم الى قسمين متساويين، مساحة كل قسم ربع مساحة البيت، ويستعمل الاول لخزن التبن، ويسمى القطع. اما القسم الثاني، فينام فيه فدان البقر وعجولها والجحشة ومعها ابنها احيانا، ويحيط بقاع البيت عادة مذواد التبن اللازمة لاكل الحيوانات، وكانت الفئران تتراكض ما بين القطع وبين ارجل الخوابي، كما كانت تعيش الافاعي التي تأكل هذه الفئران احيانا في قطع التبن. وتذكر بعض النساء انهن شاهدن الحية ممدة بين البنات على المصطبة وهن

نائمات، ورحن على بيت الزلام (الديوان) واستنجدن بهم، حتى جـاءوا وقتلوهـا. وكان الاطفال المزحومون اثناء النوم يقفون على حافة المصطبة ويبولون في قاع البيت فيختلط البول بروث البقر والدواب الاخرى، ثم تأتي النـساء فـي الـصباح وتجمع هذا الروث وتذهب به الى مزبلة العائلة. اما الجمل، فكان ينام تحت الرواق الملحق بالبيت من الخارج، ولذلك كانت بعض الجمال تسرق من قبـل اللـصوص واصحابها نائمون في الداخل، حيث كانت تساق الى قرى بعيدة حتى لا يتم التعرف عليها. ولكن هذا كان نادر الحدوث.

وكان للبيت الارضي فتحة صغيرة في اعلى الجدار الخلفـي او الجـانبي للتهوية تسمى هلالا، اضافة الى فتحة صغيرة احيانا على شكل قوس فوق البـاب مباشرة. اما العلية التي تعتبر الطابق الثاني، فكان لها عادة شـباك كبيـر تتـسع ارضيته لفرشة صغيرة يجلس عليها رب الاسرة لقراءة القرآن او حلاقة ذقنـه او للاكل اذا كان منفردا. كما يوجد داخل بعض العليات غرفة صغيرة غير مـسقوفة، تستعمل لخزين الزيت والحبوب لمن يسكنها، وتسمى (الراوية). وكان باب العليـة يفتح على حظيرة هو سطح الرواق الذي ينام تحته الجمل، ويصعد الى هذا الحظير بدرج خارجي منصوب عليه عريش قوائمه من جذوع الاشجار المـستقيمة قـدر الامكان، ومغطى بفروع الشجر والنتش. اما ابواب البيوت، فكانت مـن الخـشب السميك، يقوم بعملها احد النجارين المحليين، ويغلق من الداخل بواسـطة دربـاس من الخشب او الحديد، اما من الخارج، فله مفتاح حديد لا يقل طوله عن الثلاثـين سم، وعندما تغلق المرأة بيتها، تضع مفتاحها تحت شداد وسطها، فيبـدو للنـاظر عن بعد وكأنه سلاح تشيكي من النوع القصير.

كانت غالبية بيوت القرية القديمة متصلة بعضها مع بعض، ولا يفصل بينها في العادة سوى الشوارع والازقة الضيقة. وكانت غالبية السرقات التي تحدث بين الناس، تتم عن طريق النزول من اسطح البيوت، ومن هنا، جاءت عبارة فلان طاح على دار فلان، أي نزل عليها من مكان مرتفع. وحتى الطوشات وتبادل القذف بالحجارة التي اشتهرت بها القرية، كانت تتم على سقوف البيوت، فكان الفريق الذي ينزل عنها يعتبر مهزوما.

اما البيوت التي ابتعدت عن القرية، فقد اتخذ شكل البناء فيها طابعا مستقلا، واصبحت محاطة بارض واسعة من حولها، يلفها من الخارج سياج من الحطب او السلاسل الحجرية او جذوع الاشجار والبراميل، وغالبا ما كانت هذه البيوت محروسة بالكلاب.

كان عرض الجدار (الكلين) في البيوت القديمة لا يقل عن متر، وواجهته من الداخل والخارج حجر، ولكنه يغطى من الداخل بالطين المجبول بالقصول فيما يشبه القصارة، ثم يطرش بالشيد الابيض. اما المصاطب، فكانت تدلس بقشرة من الحور بمدلاك تحضره النساء من حجارة الوديان الملساء.

لقد قطعت جميع حجارة البيوت القديمة والحديثة من صخور الجبال المحيطة بالقرية، وكانت تنقل اليها في الغالب على ظهور الجمال، واحيانا في عربات الخشب التي تجرها الخيل. وقد عقدت اسقف بعض البيوت الحديثة بالاسمنت الذي بدأ الناس باستخدامه في الثلاثينيات من هذا القرن، وكان الاسمنت في البداية يباع في براميل، ثم اصبح يغلق بأكياس من الفل. وقد كان بعض الناس يبالغون في الحرص على سقوف بيوتهم بوضعهم تحتها دوامر من الحديد كالتي يسير عليها

القطار، ومن هذه البيوت دار حكمت شقديح في نوادرة السطح، ودار خليـل كايـد حسين التي كان فيها المركز الصحي.

وكان يتخلل بيوت القرية الحجرية بعض السقايف الملاصقة للبيوت، التـي يسكنها بعض الناس الفقراء ممن ليس لهم مصدر رزق، او ورثوها عـن ابـائهم وينتظرون الفرصة المواتية لبناء بيت جديد، ولكن لكل واحد ظروفه.

وبما ان البيضة كانت لها قوة شرائية مثل القرش، فلا بد من ذكر اخمـام الدجاج التي لا يخلوا قاع دار منها، وقد كان يأتي النمس في ليالي الشتاء المـاطرة ويقحف ظهرها الترابي، ويتناول الدجاج من داخل الخـم، ويهـرب بهـا وهـي تستغيث بين انيابه عبر ازقة القرية.

وجدير بالذكر، ان التنظيم الهيكلي بالمعنى الهندسي المعروف اليوم كان في بيت نبالا مفقودا، فقد كانت البيوت تتوزع وتنمو بشكل عشوائي تبعا لقدرات اهـل البلد، كما كانت تخلو من التنسيق الهندسي باستثناء البيوت الحديثة، ولم يكن هـذا النمط سائدا في بيت نبالا فقط، بل وفي معظم قرى فلسطين بشكل عام.

التعليم :

كان ابناء اهالي بيت نبالا كسائر قرى فلسطين محرومين طيلـــة حيـــاتهم من فرص التعليم ابان الحكم العثماني، بسسب انشغالهم بالاعمال الزراعية للحصول على لقمة العيش، اضافة الى جو التخلف والظلام الذي تركته الدولة العثمانية على عقول اهل البلاد تحت نير الضرائب والتجنيد الاجباري في حـــروب مـــستمرة لا يفهمون لها معنى. الى ان جميع المتقدمين في السن يجمعون على ان اول مدرسة قد انشئت في القرية بمبادرة من اهلها في المضافة عام ١٩٢١م على طريقة الكتاتيب تحت اشراف المعلم الوحيد الشيخ عبد الله يعقوب من قرية بدرس المجاورة، الذي كان يتقاضى اجرا على كل طالب طيلة العام مقداره صاع او صاعان من القمح، او مقابل مبلغ من المال. وكان الاقبال على التعليم في تلك السنة قليلا جدا لا يتعـــدى عشرة طلاب، نذكر منهم : خليل كايد حسين (حامل مفتاح المضافة)، واســماعيل سليمان اقطيفان، وصافي طه، ومحمود زكية، وفارس دامة، والشيخ مصطفى ابـــو فقوسه. ومع بداية السنة الثالثة ارتفع عدد الطلاب الى ٣٠ طالبا في ثلاث صفوف داخل بيت المضافة، وكان الشيخ عبدالله يأتي يوميا من قرية بدرس راكبا حمـــاره، ويجد الطلاب بانتظاره في ساحة المضافة، ثم يقوم بربط حماره في حلقة متتدلية في جدارها، ويدخل الطلاب ويجلسون على مسطبتها ويبدا بتعليمهم وبيده الخيزرانـــة التي يسوق بها حماره. كان طويل القامة، متجهم القسمات فـــي الظـــاهر، طيـــب السريرة في الداخل، يلبس جبة طويلة وافية الاطراف، تكاد تخفي كفيه ، وعمامـــة بيضاء نظيفة تلتف حول طربوش احمر. وقد اكتسب معظم طلابه على يديه خـــط الرقعة الجميل الذي لا يكاد الناظر اليه يصدق انه نتاج عامين او ثلاثة من التعليم. اضافة الى توسيع مداركهم مما ادى الى تعلق البعض من هاؤلاء الطلبـــة بالـــشعر واقوال العرب. والتعليم في بداياته كان صورة للوضع المتخلف القائم فـــي حينـــه،

ومن ثم اقتصر على تعليم القراءة والكتابة وقراءة القرآن، وقليل من الحساب. وكان الدوام يبدأ في الصباح مع حضور الشيخ وعند الغداء، ينصرف الطلاب الى بيوتهم، ثم يعودون بعد الظهر ليتابعوا دروسهم الى ما بعد العصر. وكانت امهات الاولاد يحضرن الغداء يوميا للشيخ بالتناوب على طبق من القش. لقد ظلت المدرسة في المضافة حتى عام ١٩٢٣، ومع تزايد اعداد المقبلين على التعليم، تم نقلها الى ثلاث غرف غرب البلد على الطرف الشرقي للطريق العام الذي يصل بين قرية الحديثة ودير طريف. وكان اهل القرية يطلقون على هذه الغرف اسم (المتتثب)، وهي مبنية من الحجر على شكل صف من الشمال الى الجنوب، وتفتح ابوابها نحو الشرق، ولها شبابيك محمية بشبك تطل نحو الغرب على ساحة واسعة تصل حد الاسفلت، مزروعة باشجار الكينا والاكاسيا، التي لا يزال بعضها صابرا في مكانه كثبات الصبر حتى يومنا هذا. وقد قام بغرسها الطلاب الذين انتقلوا اليها في السنة الاولى بعد رحيلهم من المضافة. أي قبل ٧٥ عاما، وكانت كل شجرة تعرف باسم الطالب الذي غرسها.
كانت مساحة ارض المدرسة تقدر باكثر من عشرة دونمات، اغلبها يقع في الجهة الشرقية المحاذية لطريق بدرس التي تتفرع عن الطريق العام نحو الشرق.

وكان الطالب في البداية يتخرج عندما يختم الختمة في الصف الرابع، حيث يحتفل به اهل البلد، ويزفونه على الفرس من حارة الى حارة. وبعد رحيل المدرسة الى موقعها الجديد، اتخذ التعليم فيها طابعا رسميا، واصبحت تدار من قبل سلطة التعليم في حكومة الانتداب البريطاني وتم تعيين معلمين جدد فيها.

كان سن قبول الطلبة في الصف الاول الابتدائي يخضع في الغالب لادارة مدير المدرسة، وحسب علاقته مع ولي امر الطالب، وكان يصل احيانا الى خمس

سنوات او اقل. وكان البعض يرسل ابنه الى المدرسة في سن متأخرة قد تصل الى الثامنة، بعد ان تنهشه الغيرة من بعض الاقرباء. وعلى هذا الاساس، فقد كان التباين في الاعمار بين الطلبة واضحا في الصف الواحد، وكان اعلى صف في تلك الفترة هو الصف الرابع الابتدائي الذي بقي ردحا من الزمن على نفس المستوى. حيث يتخرج الطالب عند هذا الحد، ثم يعود الى ممارسة الاعمال الزراعية مع اهله. ومن هنا، فان عبارة (الصف الرابع الابتدائي)، كثيرا ما تتردد على ألسنة المتقدمين في السن من اهل القرية، حتى صاروا يضربون بها المثل. كأن يقولون : ان فلانا كان شاعرا وفصيح اللسان، بالرغم من انه تعلم حتى الرابع الابتدائي، ويقولون ايضا : والله ان ابن رابع ابتدائي زمان، احسن من ابن الجامعة اليوم. ولكن وفي اوائل الربعينيات، ارتفع المستوى الى الصف الخامس والسادس، واصبحت المدرسة تخدم ابناء قريتي دير طريف والحديثة، حتى وصل عدد الطلاب فيها عام ١٩٤٥ الى ١٦٠ طالبا، ونتيجة لهذا الضغط، فقد اقيمت ثلاث غرف صفية جديدة في الجهة الشمالية، تفتحت ابوابها نحو الجنوب على الساحة الرئيسية، بحيث كان اتجاه البناء الطولي لها، شرق غرب. وفي العم ٤٧/٤٦م، اصبحت المدرسة ابتدائية كاملة حتى الصف السابع الابتدائي، وقبيل الرحيل، كانت مكتبتها تضم ٤٤٦ كتابا مختلفا [١٠]. كما كانت ساحتها التي تفتح عليها الغرف واسعة تصلح لكرة القدم، يقام في طرفها الشرقي مشرب ماء من الاسمنت يفضي الى حنفيات نحاس، وكانت امهات الطلبة ينقلن اليه الماء بجرار الماء على رؤوسهن من بير البلد بشكل دوري، اما المساحة المتبقية من ارض المدرسة في الجهة الشرقية، فكانت عبارة عن مزرعة مقسمة الى احواض صغيرة، يعتني بكل حوض مجموعة من الطلبة تحت اشراف المعلمين، لبث روح التنافس فيما بينهم. وكانت هذه الاحواض تضم معظم انواع الخضراوات المعروفة، ويقوم على حراستها آذن المدرسة الغريب عن البلد، الذي يعتقد بأنه يمني بدلالة لون بشرته

التي تميل الى سمرة الكاكاو، وملامحه الواضحة، وزعبوط رأسه المونس بـــاللون المطفي. والذي كان يأتيه الطلاب بالطعام قبل غروب كل شمس بالتناوب.

وكان يحيط بحرم المدرسة جميعها طوق مــن الاســلاك الــشائكة، لــه مدخلان، واحد من الجنوب باتجاه كمب السمران، والثاني من الشمال باتجاه ارض مصطفى الحيت، وكان الطلبة يمدون اياديهم الصغيرة عبر هذه الاسلاك الى الباعة المتجولون بالقروش الفلسطينية المخروقة الوسط ليشتروا منهم السحلب والفلافــل والنمورة.

اما حول تعليم البنات في القرية فيمكن القول ان الفتات النبالية قــد اطلــت بوجهها على ساحة التعليم من خلال نافذة صغيرة عام ١٩٣٦، التي لــم تلبــث ان اغلقت مرة ثانية امام طموحاتها ففي تلك السنة، وهي اخــر ســنة لعمــل الــشيخ عبدالله في البلد التحقت بمدرسة الاولاد خمس فتيات في الصف الاول الابتــدائي، وهن: فاطمة الحاج محمود حسين وشقيقتها عايشة الحاج محمود حــسين، بنــات المختار وحسنية بشير عبيدالله وهندة عبدالله ياسين وعائشة محمد خليــل قحــص، حيث انهين الاول البتدائي في صف مشترك مــع الاولاد. وعنــدما جــاء مــدير المدرسة الجديد حسين التكروري عام ١٩٣٧، صرف هؤلاء البنات الى بيوتهن من غير رجعة. وفي عام ١٩٣٨ خلفه محمد الفاهوم في ادارة المدرسة، ثم تلاه سعيد الفار. وتقول عائشة الحاج محمود : باننا كنا مع الاولاد في صفوف مجمعة اذكــر منهم ابراهيم احمد سليمان قطيفان وكان عريف هذه الصفوف احمد عيــسى كاكــا (ابو سميح). وفي عام ١٩٤٦، قبــل الرحيــل، اقيمــت علــى ارض المزرعــة، مدرسة للبنات بجانب مدرسة الذكور، وما ان انتهت السنة الاولى مــن اســتعمالها حتى تركها اصحابها.

وبلغ عدد المعلمين في المدرسة عام ١٩٤٧ ثمانية، بمن فيهم المدير مصطفى عبدالله ، واخوه يعقوب عبدالله، ابناء الشيخ عبدالله يعقوب سالف الذكر، وعمهم الاستاذ مصلح يعقوب شقيق الشيخ عبدالله وثلاثتهم من قرية بدرس. اما البقية الباقية، فكان معظمهم من مدينة اللد، مثل الاستاذ طبارة، الذي كان يلبس دائما البدلة والطربوش الاحمر، كما كانت تلبس خده الايسر لطعة حمراء كبيرة كانها مرض جلدي. فقد خلفه قبيل الرحيل ابنه وجيه، وهو سمين، مربوع الوجه، ذو شعر لامع. كما نذكر الاستاذ ابراهيم ابو طوق ومحمد عبد الجواد اللحام والاستاذ عوض الذي كان بيد واحدة، ومعلم اخر اسمه صبحي. ومن المعلمين الذين درسوا في قرية بيت نبالا ووردة اسماؤهم في تنقلات المعارف المنشورة في جريدة الدفاع بتاريخ ١٩٣٧/٨/١٧ السادة سعيد الفار ومحمد طبارة. ولم يكن بين معلمي المدرسة احد من ابناء القرية سوى الاستاذ احمد سليمان امنة الذي انخرط في سلك التعليم عام ١٩٤٧. وكان اهل البلد يطلقون على الطلاب اسم المقرية، ممزوجة بالرهبة، وقد نظر اهل البلد الى المدرس كانسان عالم، قادم من عالم اخر، له صفات خارقة في الذكاء والمقدرة العلمية اللامحدودة، وتكمن في عصاه القوة الكافية لتصويب السلوك الخاطئ، ويتمتع بحياة اسرية مترفة، واذا ما طلب من احد الاولاد البيض البلدي او اعشاب البابونج من اطراف القرية فان هذا الطالب يشعر بنشوة التفوق على زملائه.

وعند الاصطفاف في طابور الصباح، كان الطلاب ينشدون معا نشيد العلم، الذي كان مطلعه :

ياعلمي ، يا علم

يا علم العرب اشرقي، واخفقي في الافق الازرق

يا علمي ، يا علم

كما كان بعض الاباء يصطحبون معهم ابناءهم الى الــدواوين ويتفــاخرون بــأن يجعلوهم ينشدون امام الحاضرين نشيدة القهوة، التي مطلعها :

انا المحبوبة السمرا واجلى في الفناجين

وروح الهندلي عطر وذكري شاع في الصين

كما كان الاولاد يرددون في الطرقات اثناء ذهابهم وايابهم الى المدرسة، (طاقيــة على طاقية، يقطع كل المقرية).

يقول صالح عابد (ابو الاديب)، بان عبد القادرالحسيني، قد تبنى فكرة تعليم الكبار ومحو الامية في المدرسة عام ١٩٣٥، عندما كان رئيسا لفريق المساحة في القرية. وكان يدفع اجور اتعاب المعلمين الاضافي من جيبه الخاص. وقــد لاقــت هذه الفكرة اقبالا كبيرا بين كبار السن الذين كان تعليمهم يبدأ بعد المغــرب، وقــد كانت الغرف الصفية تضاء بلكسات الكاز.

ولم يهتم اهل القرية بداية بمتابعة تعليم ابنائهم من الرعيل الاول في مدينة اللد بسبب حاجتهم الماسة اليهم في الاعمال الزراعية، ولاعتقاد العديد مــنهم بــان التعليم العالي مقتصر على الافندية من اهل المدن. ولم يذهب الى مدينة اللــد مــن الدفعة الاولى بعد الرابع الابتدائي عام ١٩٢٥ سوى اسماعيل سليمان اقطيفان الذي يقول ابنه بهجت، بانه كان يقطع المسافة الطويلة يوميا بالــذهاب والايــاب علــى دراجته الهوائية وهو لابس البدلة الرسمية والطربوش الاحمر، لكنه لم يلبــث فــي السنة الثانية ان اجبرته والدته على ترك المدرسة ولكن فــي وقــت لاحــق، بــدأ المتنورون من اهل القرية، بارسال ابنائهم لمتابعة دراستهم في اللد، مثل ســليمان

امنة، الذي قام بتعليم ابنه مصطفى سليمان حتى حصل على شهادة البكالوريس من الجامعة الامريكية في بيروت قبل الرحيل، وفي زمن كان الـوعي فيـه موثوقـا باغلال التخلف والبدائية. وبالرغم من التهامس الذي كان يدور حوله من قبل البعض بدافع الغيرة والحسد بخروجه على التقاليد والجهل، الا ان اهـل القريـة صـاروا يضربون به المثل كمتعلم، مثقف، مدرك لما يدور حوله مـن ظـروف سياسـية ومؤامرات دولية مبيته يعز على الناس فهمها. وقد اصبح هـذا مـديرا لمدرسـة الهاشمية الثانوية في مدينة البرة بعد الرحيل، وحتى اخر الخمسينيات ثم سافرت الى الكويت ليعمل مع شركة ال K.O.C. كذلك اخوه احمد الذي قاتل في احداث فلـسطين قبيل الرحيل، واصيب بجروح، والذي لا يزال حتى الآن يتربع على قمة الاعـلام في بعض الاذاعات العربية والاجنبية. ولا يفوتنا ايضا ذكر رواد العلـم الاوائـل من ابناء القرية، امثال، احمد عبد الرحمن طه الذي قضى عمـره فـي الكويـت، وابراهيم احمد سليمان قطيفان الذي اصبح مديرا للتربية والتعليم في لواء رام الله، وسعيد حسن صالح الذي عمل معلما في الكويت، وتوفي في الوليات المتحدة فـي اواخر ١٩٩٧. لقد كان هؤلاء أول من حمل راية العلم في القرية، قبل واثناء عـام ١٩٤٨، لكن بعد ان فقد اهالي بيت نبالا اراضيهم التي كانت شغلهم الشاغل قبـل النكبة، فقد تحولت اهتماماتهم الكبيرة نحو التعليم، حتى اصبح مـن النـادر عـدم الحصول على الشهادات العلمية بين افراد عائلاتهم من الذكور والانـاث، وغـدت الثانوية العامة عندهم من البديهيات المقرونة بشهادة المـيلاد، واصـبحت نـسبة الجامعيين بينهم لاباس بها، وقد برز منهم الاطباء الاكفـاء والجراحـون الكبـار المشهوريين مثل موسى صالح مدير مستشفى جبل الزيتون في الزرقـاء وكـذلك المهندسون والمعلمون ومحاسبو البنوك وحاملوا شهادات الـدكتوراة مثـل محمـد العرابي، ومحمد شحادة عليان، وعبد اللطيف مطيع. وقـد عمـل بعـضهم فـي الوظائف العامة والخاصة وقد امتاز هؤلاء المتعلمون بالروح العملية التي لا تمنع

حامل الشهادة الجامعية من سواقت قلاباتهم وجرافاتهم وادارة مشاريعهم الخاصة كالكسارات. واكبر دلالة على تعلق اهل القرية بالتعليم في الشتات، ما قاله المرحوم محمد علي صالح : صحيح انني فقد ارضي في بيت نبالا بعد الهجرة ولكن الله قد عوضني عنها بخمس بيارات خيرة، ويقصد بذلك ابناءه الخمسة الجامعيين بينهم ثلاثة مهندسين. ولا يفوتنا هنا ذكر، ما حققته المرأة النبالية في حقل التعليم والتعلم، بعد نكبة عام ١٩٤٨ بعد ان حرمت فرصها سنين طويلة خلال العهود الماضية. فقد بدأ البعض من اهالي القرية يرسلون بناتهم الى المدارس مع بداية الخمسينات على نطاق ضيق ومع بداية الستينات اصبح العدد يزيد بدافع التقليد والاحتكاك مع اهل القرى الاخرى الذين جمعهم الشتات. ولكن التعليم اصبح مع بداية السبعينات الزاما، ولا توجد بنت صغيرة او كبيرة من اهل القرية اليوم الا وتعرف طريقها الى المدرسة، واكثر من هذا فقد اصبحت الشهادات العلمية هذه الايام عند بنت القرية من الضروريات الاساسية التي تؤهلها للزواج. وقد تخرج من بيت النباليات الطبيبات والمهندسات والمحاسبات والممرضات والمعلمات ومديرات المدارس. وكانت اول جامعية من بنات القرية هيجر اسماعيل كايد حسين، التي حصلت على بكالوريس اللغة العربية من الجامعة الاردنية في ١٩٧١/٧/١، مبعوثة على حساب وزارة التربية والتعليم عام ١٩٦٧، وعملت بعد تخرجها معلمة في مدرسة الزرقاء الثانوية للبنات ثلاث سنوات ثم في مدرسة الاميرة عالية الثانوية في جبل اللويبدة تسع سنوات، ومديرة لمدرسة طلحة في ناعور عشر سنوات. وبذا كانت اول امرأة تكسر تقاليد اهل القرية في الحرج من توغل البنات في التعليم العالي، كما كسرت تقاليد الجامعة الاردنية السائدة التي كانت تعيب على الامهات الجلوس على مقاعد الدراسة حيث وضعت مولودها الاول وهي طالبة في السنة الثانية.

الثقافة :

اقتصر النشاط الثقافي في القرية ابان الحكم العثماني على النواحي الدينية، وخاصة ما يتعلق بالاولياء وتقواهم وقدرتهم النافذة، وتعاليم الطهارة و النجاسة، والموضوعات الاخلاقية، كالصدق والامانة ومخافة الله والعطف على المساكين والصدقات. اما من النواحي السياسية، فقد كانت لا تتعدى الحديث عن اسطنبول والباب العالي، وحروب تركيا وخاصة حروب اليمن التي يسمونها (الرديف)، والتي كان يساق اليها ابناء القرية بالقوة، دون ان يعرفوا ابعادها. وكان الرديف يعني بالنسبة لهم، الموت المحقق، فهو يشبه الغول الذي يأتي على شباب القرية لبتلعهم. وكان يعود من كتبت له الحياة بقصص كثيرة عن ويلات الحرب، والامراض بين الجنود، وقطعان القردة الهائمة في جبال اليمن.

اما من الناحية الفنية، فقد اتسع افق خيالهم، وسادت في اوساطهم الروايات الاسطورية والخرافية وجرأة واقدام بعض الاشقياء من اهل القرية. فشاعت بينهم قصص ابو زيد الهلالي، والزير سالم، والزيناتي خليفة، اضافة الى خراريف الغيلان التي كانت تسيطر على عقول اطفالهم، وتترسخ في وجدانهم، وتظل ملازمة لهم في كبرهم، وتبقى عندهم في موضع بين الحقيقة والخيال، يتوارثها الابناء عن الاجداد حتى يومنا هذا، ومنها، الغولة ام عينين مشقحات، التي كانت تظهر في الخرابات وعند ابار المياه على شكل عجوز شمطاء، بشعرها وانيابها المفروقة اللامعة، واظافرها الطويلة الحادة، وصوتها الملعلع بين الوهاد وهي تهيم على وجهها في السفوح بين جذوع اشجار الزيتون الغليظة، وتسطو في اليل على حظائر الماشية لتبتلع منها عشرين خروفا عند كل وجبة. كذلك ام الخراخش والدنادش، التي كانت تختال الرجال والنساء وهي تتعقب اثرهم في الحارات

والازقة المعتمة اذا ما خرجوا من بيوتهم في الظلام. واما القتيل والقتيلة، فكانا يظهران للرعات المتأخرين لتعشية ابقارهم في البرية بالقرب من الصخور، وعند ابواب الابار البعيدة عن القرية، وهم يصرخون بعبارات الظلم التي يتردد صداها بين قبة الفضاء وظلمة جدران المغاور. كذلك العمورة، التي كانت تزمجر للناس عن بعد وتروعهم دون ان تؤذيهم. واما القرينة، فقد كانت تدخل الى النفوس وتتزوج من اصحابها، وتسبب لهم بالصرع والجنون وتتخيهم احيانا في الطرقات والاماكن العامة. وهناك بعض انواع الجن، التي كانت تمطر الرعاة في حقول بالحجارة دون ان تصيبهم باذى. وقد ابدع في هذا النوع من الروايات الشعبية المرحوم عبدالله التلي. هذا على صعيد الاساطير والخراريف، اما على صعيد التسلية والترفيه، فقد كان يزور البلد من حين لاخر صندوق العجب، الذي يحمله صاحبه على ظهره المنحني الى الامام وبيده مقعد طويل من الخشب معد لجلوس الاولاد والبنات، بل والرجال والنساء احيانا. وكان بهذا الصندوق اربع مراصد من الامام ينظر منها المتفرجون الى افق فسيح في الداخل، يصول في ارجائه ابو زيد الهلالي فوق حصانه، شاهرا سيفه على اعدائه بشواربه الطويلة المدببة الاطراف، ونظرة عينيه الحادتيين النفاذتين، ومن خلفه فاطمة المغربية بارعة الجمال. وكان يتخلل الفرجة شرح مفصل من صاحب الصندوق على شكل غناء شعبي منظوم، والذي مطلعه :

انظر لي وانظر تمام، انظر على ابو زيد، ابو زيد الهلالي، ماسك في ايده الحسام.

وكان صاحب الصندوق يتقاضى من المتفرجين ما تجود به النفس من تعريفة او رغيفا من الخبز او بيضة و حفنة من القمح والذرة والسمسم.

كما كانت تزور القرية كل صيف فرقة الغجر التي تمشي بناتها على الحبال تحت اشراف الغجري محمد سعيد الذي كان يجيد النقر على الطبل، وكان هؤلاء

يحطون رحالهم في احد اطراف البلد، مثل قـاع الجنـدي او احـدى النـوادرتين الشامية او السطح، ويهرع الناس للتفرج على عروضهم البهلوانية وقوام النوريات الرشيقات بزيهن المزركش، وخدودهن السمراء المحمرة. وقد عشق احداهن رجل من القرية، ولحق بفرقتهم الى حيفا، وتزوجها وعاد بها الى بيت نبالا، لكنهـا لـم تلبث ان هربت مع عريسها والتحقت بفرقتها من جديد.

كما كان يتردد على القرية بين الحين ولاخر بائعو الاقمشة مـن سـوريا ولبنان، والمعروفين عند اهل البلد باسم البراجوية، وقد كان هؤلاء ينـامون فـي دواوين القرية، ويقضون معظم لياليهم في سرد الاحاديـث امـام جلـسائهم عمـا صادفهم في القرى والمدن المختلفة. وكان يتخلل تلك السهرات العتابـا والميجنـا وزريف الطول التي يتقنها عادة هؤلاء الباعة. هذا عدا عن الـضيوف العـاديين القادمين من المدن والقرى ويحلون ضيوفا على دواوين البلد، وقـد كـان بيـنهم الفصحاء والشعراء والزجالون الشعبيون والمهرجون. وقد عرف عدد مـن شـبان القرية طريقهم الى المسرح في يافا التي كانت تحيها في الغالب فـرق مـصرية، والمعروفة في اوساط اهل البلد باسم المرسح وجمعها مراسح، والتي يقع معظمهـا في محيط مقهى العجمي في يافا.

وكان شائعا بين اصحاب الكرامات من الشيوخ عادة الفتح في المندل للبحث عن كنوز الذهب ولاستشراف الغيب، وذلك بوضع نقطة من زيت الزيتون علـى سطح ظفر ابهم احد الاطفال، ويبدأون بالقراءة على رأسه وهو محدق فـي نقطـة الزيت التي يرى من خلالها ملك الجن وجيوشه الجرارة وهي تحرس المخازن التي تعج بالذهب تحت الارض، ويوصف لهم الطفل ما يراه، ويحدد مكانه ثم يباشرون بالحفر دون ان يعثروا على شيء، وقد شهد محيط اعمدة راس ابو يعقوب الاثري

الكثير من اعمال الحفر الفاشلة. وكان يمارس هذه الطقوس الشيخ محي الدين بمساعدة اعوانه من اصحاب الكرامات.

اما على صعيد الصحف والمنشورات، فقد عرف اهالي بيت نبالا عددا من الصحف التي كانت تصدر في فلسطين، اما عن طريق شرائها من المدن، او وصولها بواسطة عمال الكمب. وكان ثمن الجريدة انذاك تعريفة او قرش، ومن هذه الصحف صحيفة الجامعة الاسلامية التي يشرف عليها الشيخ سليمان ابو عمر الفاروقي، وصحيفة فلسطين التي يحررها داود عيسى، اضافة الى صحيفة الدفاع وبعض المجلات. اما الراديو، فقد دخل القرية لاول مرة من قبل الانجليز مع اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م حيث وضعوه في باديء الامر في المضافة ليتمكن رجال القرية من سماعه. وقاموا بتمديد سلك هوائي ليبلغ طوله حوالي ٣٠مترا ربطوا طرفه في ودعات من الخزف المثبتة على رأس عامود مغروس في الارض، يشبه اعمدة الكهرباء الحديثة، يثير العجب في النفوس من هذا الانجاز العظيم. وكان فرسان البوليس يربطون خيولهم الى هذا العامود عندما كانوا يحلون في المضافة لمتابعة قضية وقعت احداثها في القرية. وكان المسؤول عن الراديو في المضافة المختار الحاج محمود حسين صالح، وكان هذا المذياع موجها فقط على اذاعة الشرق الادنى، لسان حال بريطانيا بهدف بث دعايتها بين العرب، وكان يذيع نشرات الاخبار فيها راجي صهيون وابراهيم السمان. وكان مقر هذه الاذاعة في رام الله التي لا تزال ابراجها العالية شاهدة وصالحة للبث حتى يومنا هذا، والمعروف بين اهل فلسطين باسم عامود رام الله، وترى منارته بوضوح ليلا من جبال السلط وناعور في الضفة الشرقية.

ويقول صالح عابد بأن بعض الناس من اهل القرية قاموا باقتنــاء اجهــزة خاصة بهم بعد سنة من وصول الراديو الاول للبلد. وصاروا يسمعون منها صوت المانيا المعادية للانجليز بصوت يونس البحري القادم من اذاعة برلين، والذي كان يحلف بالطلاق احيانا بأن قوات الالمان ستدحر جيوش الحلفاء في موقع مــا قبــل حلول ظلام ذلك اليوم. وكان اهل القرية عند الاخبار المتضاربة يميلون مع ريــاح الحرب كيفما اتجهت. وكان من بين من اقتنوا اجهزة راديو من اهل القرية كل من علي طالب الحيت، وصالح عابد، حسين خليل عيدة، والحــاج محمــود ســليمان قطيفان. وكان ثمن المذياع في ذلك الوقت ٦٩ جنيها فلسطينيا اضافة الــى جنيــه واحد رسوم رخصة، وكان المذياع يعمل على بطارية سائلة يتم شحنها في مدينــة اللد عند نفاذها. الى ان قام سيف الدين بتركيب دينموعلى بابور طحين دار قطيفان حيث يعمل فيه ميكانست، وصار اهل القرية يشحنون البطاريات عليه. وقد انتــشر الراديو بعدها في مقاهي القرية مثل قهوة القيسي باب الكمب، وقهوة عيسى الحاج على المطامير، وقهوة ابو حسن الناطور اليافاوي المستأجرة من الحــاج محمــود حسين صالح، وقهوة محمد ياسين والد خصيب الواقعتين باب الكمب ايضا.

الصحة :

لم يكن مستوى الوعي الصحي و النظافة في القرية عاليا، نتيجة الظروف العامة السائدة في الريف الفلسطيني، واختلاط اماكن ابار الجمع بالمزابل وغيرها، حتى ان محاولة اقامة مراحيض فوق حفر امتـــصاصية، بعـــد دخـــول الانتـــداب البريطاني، لم تلق قبولا في البداية من سكان القرية.

ونتيجة لتدني الوعي الصحي توطنت في القرية امراض كثيرة منها مرض العيون الناجم عن الاوساخ وحرارة الجو والغبار وتكاثر الحشرات الناقلة للعدوى، وقد خسر الكثيرون منهم احدى عيونهم نتيجة لانواع الرمد المختلفة التي لم يعرفوا نوعها. ولما كانت الاصابة خفيفة في بدايتها، الى حد العمص فقط، فقد كان اهـــل البلد يقومون بتكحيل العين، او يقطرونها من محلول (راس الاخت) وهي عبـــارة عن حجر صغير لونه قرميدي يشترى من الدكان وينحت مع قليل من الماء علـــى قطعة فخار خشنة من بقايا جرة مكسورة. كما كانوا يقطرون عيونهم مـــن مـــادة البريق التي يشترونها من الفرمشية (الصيدليه) ويذيبونها في المـــاء، كمـــا كـــانوا يغسلون العيون المصابة عند الصباح بالشاي المر. اما اذا كانت الاصابة متوسطة، فيأخذون المريض الى عيادة الدكتور الجبجي في الرملة، او عيادات الاطباء اليهود في يافا الذين كانو يمسحون الحرارة من تحت الجفون ويتقاضون خمـــسة قـــروش على كل كشفية. ولكن اذا كان المرض على درجة عالية مـــن الخطـــورة، فـــانهم يأخذون المريض الى الاسبيطارة (مستشفى) العجمي في يافا.

اما مرض الحصبة، فقد اودى بحياة نسبة عالية من الاطفـــال، وذلـــك لان محدودية الوعي الموجودة عند اهل القرية بشكل عام والامهـــات بـــشكل خـــاص،

جعلتهم يعتقدون بان الطفل المصاب بالحصبة قد يموت اذا اغتسل بالماء، لــذا لــم يلامس الماء جسده حوالي الشهر او اربعين يوما احيانا. بل واكثر من ذلــك فــان الام كانت تغمر ابنها المحموم تحت اغطية من الصوف كي يعرق، مما كان يرفع من درجة حرارته ويؤدي الى موته نتيجة لهذا الاعتقاد الجاهل، وقد خسرت الكثير من الامهات اطفالهن بهذه الطريقة. ومن الامراض الاخرى التي كانت شائعة فــي القرية مرض الملاريا الذي كان ينقله البعوض بين الناس عن طريق الــدم. وقــد كانت بيت نبالا مرتعا لهذه الحشرات لوجود الابار الكثيرة المليئة بميــاه الزبالــة الصفراء ذات الابواب المكشوفة او غير محكمة الغطاء، هذا عدا عن قاعات الدور وما حولها، الملوثة بروث البقر وبولها، واقراص الجلة الملطوعة علــى جــدران الطوابين، وكثرة المزابل المحيطة بالقرية والمتناثر حولها البــراز الادمــي. وقــد اعتاد اهل القرية ان يعالجو انفسهم من الملاريا بالاستحمام بالماء المغلي مع اوراق شجر الكينا. ويذكر بعض كبار السن بان وباء الكوليرا اجتاح في اواخــر العهــد العثماني عام ١٩٠٠ القرية وقضى على عائلات بل وحارات بأكملها، بحيث قدر انه "انجز على" ثلث السكان تقريبا. كما اصيب بعض الناس في تلك الفترة بداء الكلب (السعار) عن طريق عقر الكلاب او الحيوانات المسعورة، وقــد كــانوا يعزلــون المصاب منفردا داخل احد البيوت ويرمون له الطعام ويبرزون امام عينيه القماش الاحمر الفاقع لاعتقادهم خطأ بان هذا اللون يشفيه. كما كان لمرض السل نــصيب وافر في القرية، وقد اصاب احد العائلات المعروفة وقضى على معظم افرادهــا. كذلك كان التفوئيد معروفا بين الناس، ولم تخل القرية على الاطلاق من المصابين بهذا المرض طيلة الوقت بسبب كثرة الفئران والجرادين التي كانت تعيــث فــسادا داخل بيوت العقد الكبيرة المعتمة، وترتع على انواع الحبوب في الخوابي وفي قطع التبن والخرابات المحيطة بالطوابين، وتشارك الناس في قوتهم دون عناء.

لجأ اهل القرية في علاج بعض الامراض الى الطب الشعبي المتوارث عن الاباء والاجداد، خاصة في علاج الامراض الخفيفة. وقد كانت ثقتهم بهذا النـــوع من الطب مطلقة احيانا، مثل علاج الحبة التي تطلع في سقف حلق الاطفال التـــي كان يتم فركها بزهرة السيجارة بواسطة الاصبع، كذلك علاج الحبة التـــي كانـــت تطلع تحت اللسان بكيها برأس سيخ حديد محمي بالنار. وتمليس بنات الاذنين فـــي اعلى الرقبة بالاصابع المدهونة بالزيت مع ذكر الحسن والحسين رافع بنات الذنين ثم فقؤهما داخل الحلق باصبعي السبابة الوسطى. وقد برع بتمليس بنـــات الاذنـــين الضريرة عيشة شنارة. كذلك استعملوا طريقة الكي بالنار في جميع انحاء الجـــسم بالحديد المحمي او القديح. كانت نبتة القديح تنمو في الحقول وعلى حيطان البيوت القديمة. وكان طول اغصانها الممتدة يصل الى ٢٠ سم، تجفف وتفرك باليد حتـــى تصبح مثل القطن، ثم توضع على مكان الالم وتحرق بالنار وتترك مشتعلة بالرغم من معاناة المريض المتلوي من شدة الام الحرق، حتى تصبح رمادا، ثم ينفخ على الرماد وتوضع محله نقطة زيت وتغطى بورقة توت او ورقة دخان. واحيانا كـــان يوضع في الحفرة التي احدثها الكي، حبة حمص حتى يتقيح المكان ويخـــرج منـــه الغش. كما اشتهر بعض الاطباء الشعبيين في القرية وعلى رأسهم حـــلاق القريـــة جمعه رضوان، بفصد الدمامل وتشطيب الاذن والجبهة وراس الانف لاخراج الـــدم الفاسد من الجسم. وقد كان هؤلاء الطباء يتقاضون اجورا رمزية مقابل معـــالجتهم للمرضى. ومن اهم الدايات في القرية امينة عيادة، التي اشتهرة بإعطاء "الكعبـــة" بعد الولادة مباشرة وذلك بوضع كعب قدمها على رحم المرأة ودفع ما خرج مـــع الطفل من جدار الرحم نحو الداخل لاعادته الى طبيعته.

وكثيرا ما كان الناس يعالجون اطفالهم بانفسهم، كتلقيم جروح الرأس بحفنة من القهوة لوقف النزيف واذا كانت الجروح في بعض الاطـــراف يوضـــع عليهـــا

الكاز او البول الادمي لتعقيم الجروح. كما وضع زرق العصافير على لبة الاذن التي كانت تصاب بالاتهاب بعد خرقها بالابرة لتعليق مشابك الحلــق فيهــا والمــسماة (تخزيق الذنين) . وكانت الاماكن الملتهبة في الجسم تدهن بالدهون الطافية علـــى وجه الطنجرة او بزيت الخروع او بالزيت البلدي. كما كانوا يستعملون اوراق شجر السموة بعد ان تغلي بالسمن البلدي، وتترك حتى تنخفض درجة حرارتها ثم يــدهن بها مكان الالم والجروح والاورام والحريق. والسموة شجرة ترتفع حــوالي متــر ونصف، خضراء الساق والاغصان، ولون ورقها اخضر غامق قريب مــن لــون ورق الليمون. وكانت بعض شجيراتها تنبت الى جانب شجر الخروع فــي باحــة مسجد السلطان عبد القادر وهو جامع القرية. كذلك كانت النساء تعــالج الاطفــال الصغار المصابين بالاسهال، بوضع الرقاقة على بطن الطفل في مكان الصرة ثــم لف بطن الطفل بقطعة من قماش الصوف، والرقاقة عبارة عن طحــين معجــون بالبيض. اما الاسنان، فكانوا ينفونهــا بفركهــا بــذرات الملــح، ويتمضمــضون بمحلوله اذا كانت موجوعة. كما كانت بعض حالات المغص المعوي تعالج بشرب ماء الميرمية المغلية، ولفحة الهوا تعالج بكاسات الهواء ودهــن مكانهــا بالزيــت البلدي. كما عولج الاطفال المصابون بالالتهابات (السماط) في ثنايا افخادهم بــرش السمقة بدلا من بودرة اليوم. والسمقة تراب احمر ناعم يتم تنقيته بواســطة منخــل الطحين. وكبقية اهالي فلسطين فقد استعمل اهالي بيت نبالا الاعشاب لعلاج بعض الامراض مثل القرينية والبابونج والميرمية والخلة والطيون.

ولضحالة الوعي والتثقيف عند اهل القرية، فقــد كــانوا ينــسبون جميــع الامراض النفسية والعقلية والعصبية الى سكون الجــن اجــسام المــصابين بهــذه الامراض، والتي يتم اخراجها على يد بعض الشيوخ من اصحاب الكرامات، امــا عن طريق النداءات والرطانه المبهمة، او بضرب المريض بالعــصى او الحــذاء.

ومن حقي انا مؤلف هذا الكتاب ان ادلي بشهادتي وانقل للقارئ صورة دقيقة لما حدث لي قبل ثلاثة وخمسن عاما. ففي عام ١٩٤٥ كان عمري خمس سنوات، وكنت احمل في يدي بوصة طويلة اتابع بها خطوات امي في تنقلاتها داخل البيت وفي قاع الدار، والح عليها غاضبا لتعطيني قرشا. ولكنها كانت تعرب عن ضجرها من الحاحي، ربما لضيق ذات اليد، فتهملني مرة وتطردني احيانا، فاهرب امامها باكيا مبتعدا عنها قليلا. ولما دخلت الطابون تبعتها مادا رأس البوصة نحوها لوخزها، فصاحت في وجهي، فأرتعدت حواسي وشعرت على الفور بتشنج في خدي الايسر، وميلان نحوه في فمي، وعندما تفرست امي في وجهي غرقت في دوامة من الندم المشوب بالهلع. وتولت جدتي رعايتي واخذت من اثري منديلا فيه خمسة قروش، وذهبت بي الى دار الشيخ يوسف حسن امين المجاورة لمقام السلطان عبد القادر، وروت له ما حدث لي. فطلب منها رؤيتي، وعندما حضرت، اقعدني امامه على حصير ورحت اتأمل خطوط جبهته بخوف وترقب. كان مربوع الوجه، محاطا بلحية طوياة بيضاء على شكل هالة، اما ظواهر شفتيه فكانتا تنبضان كعضلت القلب. وراح يتأمل في وجهي الكسير، وتمثلت لي خلف عينه قوه خارقة تطارد الجن في ارجاء طفولتي الفسيحة، فانداحت على خدي قطرات من دموع الصبر التي تنتظر الخلاص، ومال بجدعه نحو اليمين، وتناول بيده من جانب الحصيرة فردة حذاء مثني الكعب (مشاية فقراوية)، وراح يضربني بها على خدي الملووح ليرده الى وضعه الصحيح، ويتمتم بكلام لم اعرف معناه حتى هذه اللحظة. الا ان حالي بقي على ما هو عليه بعد اسبوع، الى ان طرح والدي الموضوع على رجل التقى به مصادفة في اللد، نصحه بتدليك وجهي بالزيت الحار على مدى اسبوعين مع الامتناع عن اكل الموالح والاقتصار على تناول الاطعمة الحلوة كالعسل والدبس والحلاوة مع عدم تعرضي للتيارات الهوائية طيلة مدة العلاج. ونتيجة لهذا الوصف شفيت تماما.

كان اهل القرية وخاصة النساء، يعولون اهمية كبرى على الرقية وهي قراءة القرآن على المريض، كذلك النذر. فاذا برئ المريض تذهب النساء الى بعض المقامات في القرية مثل مغارة سيدنا عبد القادر ومغارة ست النسب، ومقام سيدنا علي مالكينا في الخربة الشامية، وتضيئها بسراج الزيت شكرا وتقربالله، مع اظهار روح الامتنان. كما كانت بعض النساء يعقدن اهمية كبرى على تعليق الحجب في رقب الاطفال او يكتفين بدسها في وسادة المريض او في الاغراض الاخرى. واذا ما تأخر الحمل عند بعض النساء فانهن يلجأن احيانا الى المشعوذين والدجالين في يافا والرملة وطبرية. ومن اشهرهم الشيخ العجلي في مدينة الرملة، الذي كان يقوم بتمديد النساء على بطونهن بشكل مجموعات داخل بيت ويدوس على ظهورهن وهو يصرخ بصوت عال يستجير بعض الاولياء من اجل ان تحمل تلك النساء التائهات، كما كان يقوم بتمليس المبايض على جانبي بطن المرأة.

ونتيجة لكثرة الوفيات بين الاطفال في القرية، فقد سيطر على اهلها وهم الحسد وضربة العين التي تميت الاطفال. وكرد فعل على ذلك، فقد اعتاد الناس على اطلاق الالقاب (النقيبات) على اولادهم التي تظل مقرونة باسمائهم طيلة حياتهم، وهي ذات معاني ثقيلة الوقع على الاسماع، ومثيرة للضحك احيانا، وكان هذا اللقب موازيا لاسم الشخص، ويكاد لا يوجد رجل او امرأة في بيت نبالا دون لقب خاص، يتندر به اهل القرية في الشتات. وقد غدت النقبة بمثابة الاسم الحركي المميز لاصحابه اكثر من اسمائهم، ليس بين ابناء القرية فحسب بل ولدى ابناء القرى القريبة منها. والنقبة بالعادة لقب منفرد او مضحك يهدف ابعاد الشر عن الولد حتى يعيش. وغالبا ما تؤخذ هذه الالقاب من اسماء اعضاء بعض الحيوانات او اسماء الوحوش والدواجن والطيور والحشرات والنباتات. وقد يدل اللقب على

السمنة الزائدة او النحافة الشديدة، عدا عن الالقاب العديدة ذات الــدلالات العجيبــة التي تثير الضحك وتعجز عن تفسيرها القواميس. ان كل واحد من اهل القرية من الجيل القديم يعرف لقبه جيدا، ويغضب بعض اولاده واحفاده اذا ما نسب هذا اللقب لوالدهم او جدهم في هذه الايام، بل ويحاولون قدر الامكان طمس معالمه والتخلص منه. علما بأن هذه الالقاب قد اصبحت معلما وتراثا فكاهيا يجسد بمجمله خصوصية نادرة لبيت نبالا، كما ان هذه الالقاب كانت معوفــة تمامــا فــي اوســاط القريــة المجاورة، وهي بمثابة العلامات التجارية التي اشهرت اسم بيت نبالا فــي وســط فلسطين.

قامت حكومة الانتداب البريطاني بفتح مركز صحي في القرية عام ١٩٤٠ في دار خليل كايد حسين تحت اشراف الدكتور درويش الزحلان من اللد الذي كان يستقبل مرضاه ثلاث ايام في الاسبوع كما تم تعيين ممرض مقــيم مــن الرملــة والمعرف لاهل القرية باسم ابو ثابت. وقد تعاقب على هذا المركز بعض الاطبــاء اليهود، وقد امتنع اخرهم عن العمل في القرية عند بداية الاضرابات بين العــرب واليهود وخاصة بعد مقتل جميل الطريفي في الكمب.

العلاقات والعادات :

المدن والقرى الفاضلة لا وجود لها الى في الخيال، اما في الواقع، فلا بـد من وجود السلبيات والايجابيات في كل تجمع سكاني. وقريت بيت نبالا مثل غيرها من القرى، تتلاطم في صدور ابنائها وبناتها مسحات الخير والطيبة جنبا الى جنب مع النوازع الضارة التي فطر عليها الانسان منذ الازل. النـاظر والمتأمـل فـي سلوكيات ابناء القرية عبر الاجيال، يجد في النهاية بأن لهـذا المجتمـع الـصغير وجهين، الاول مشرق، والثاني شقي. اما الوجه المشرق. فكان يتمثل في بـساطة الناس، وحبهم بعضهم لبعض، فكانوا يمارسون حيـاة اجتماعيـة تـسودها روح التعاون والتكاتف، وليس ادل على ذلك شاهدا اكثر من بناء المضافة فـي العهـد العثماني، التي اصبحت رمزا لجهود ابناء البلد المشترك، كما هـي رمـز لكـرم الضيافة والشورى بين اهلها. فكانت تجمع رجال القرية عند كل صغيرة وكبيـرة، خاصة وان همومهم كانت واحدة في هذا العهد من حيث المغالات في جباية الضرائب والاعشار والتجنيد الاجباري لشباب القرية، والزج بهم في حروب تركيا المستمرة. وقد كانت العلاقة بين الحمائل في تلك الفترة لا تتعدى قرابة ابناء العمومة، والشاهد على ذلك التفاف اهل القرية جميعا حول الشيخ صافي مصطفى محمد ياسين مبارك، الذي كانت كلمته مسموعة ويدير شؤنهم في العهد العثماني. ثم جاء من بعده ابنـه احمد صافي، ثم خلفه اخوه خالد صافي، الذي انتقل الى رحمت الله تعالى عام ١٩١٦ قبل ان تضع الحرب العالمية الاولى اوزارها بسنة واحدة، فكانت القرية في تلـك الفترة تظهر وكأنها اسرة واحدة بعيد عن الانقسام بالرغم من وجود بعض المخاتير القلائل الذين كانت صلاحياتهم محدودة وتنحصر في ترجمة حـال ابـن القريـة للمعاملات الرسمية التي كانت تطلبها الدولة العثمانية من الافراد.

لكن، مع بداية عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، عمل الانجليز علـــى توضيح خطوط خارطة الحمائل في القرية، اسوة بالقرى الاخرى، وزادت في عدد المخاتير ، ورفعت من سقف صلاحيتهم لخلق اتجاهات واهواء جديد فيما بيـــنهم، تتعارض في المستقبل بعضها مع بعض لتخدم اغراض تلعق الناس بسلطة الحكومة من خلال تهافت بعض المخاتير على الاذعان والولاء المطلق لحكومة الانتـــداب. وقد امتازة هذه الفترة في فلسطين بكثرة عدد المخاتير في القرى، التـــي يمكـــن ان نسميها فترة عهد الخاتير. ورد في جريدة الدفاع تاريخ ١٩٣٧/٣/٧ ان المخـــاتير محمود الحاج حسين ومصطفى طه قد فازا عن عائلتيهما في انتخاب مخاتير بيـــت نبالا، اما عائلة النخاة فقد اختلفت على مرشحها مما اجل الانتخابات والبـــت فـــي الامر. والجدير بالذكر ان الجريدة اشارت الى ان هذه الانتخابات تمـــت باشـــراف قائمقام الرملة وضابط بوليس مدينة اللد وقوة من رجال البوليس. اخذت قسمات وجه القرية في عهد تعدد المخاتير تميل الى الشقاء بالرغم من تباشير تحـــسن الوضـــع الاقتصادي، فبدأت الحمائل في القرية بل وحتى الافخاد تتحوصل علـــى نفـــسها، وتنعزل في دوواوين خاصة بها حتى بلغت حوالي ثلاثة عشر ديوانا، واصـــبحت المضافة تستخدم فقط للاغراض الرسمية التي تحكم العلاقات بين السلطة واهل القرية خاصة عند اخماد الطوشات التي صارت تنشب بين الحمائـــل والعـــائلات لاتفـــه الاسباب. ولم يذكر المتقدمين في السن انهم سمعوا من ابنائهم الذين ولدوا ومـــاتوا ابان الحكم العثماني، عن خلافات عشائرية بين اهل البلد، بغض النظر عن حـــرب القيس واليمن التي كانت تحمل الطابع السياسي البحت. ومـــن هنـــا، فقـــد بـــدأت المشاكل تطل برأسها في القرية مع بداية تنافس المخاتير على رأس الحمائل، الا ان هذه المشاكل، بالرغم من انها كانت كبيرة في ظاهرها، وتأخـــذ شـــكل الطـــوش العامة، الا انها كانت في جوهرها صغيرة، اقرب الـــى الزوبعـــة فـــي فنجـــان. والشاهد على ذلك هو عدم سقوط القتلى في هذه الطوش باستثناء حـــالات نـــادرة

كمقتل رشيد حسن عثمان بالخطأ على يد اقاربه من حمولة دار زيدن ومقتل عبد الرحمن ابو يقين بتاريخ ١٩٣٥/١١/١٧على يد طالب احمد صافي ومحمود راغب صافي ومحمد سليم صافي بعد خلاف على ارضه كما ورد في جريدة فلسطين بتاريخ ١٩٣٦/٢/١. وبالرغم من نشوب الطوش العديدة بين الحمائل ابان حكم الانتداب الا ان اهل القرية كانوا رحماء بينهم. وتقول امنة العيشاوي : لم يستخدم البارود اطلاقا في معاركهم انما كانوا يرجم بعضهم بعضا بالحجارة من اعلى اسطح بيوتهم المتصلة بعضها مع بعض، وعندما ينزل فريق منهم عن هذه الاسطح، فانه يعتبر نفسه الطرف المغلوب وفي اليوم التالي ينزل الجرحى الى مدينة اللد او يافا ، ويقطبون جراحهم ويضمضونها ، ثم يعودون ويجلسون ويشربون القهوة ويضحكون بعضهم مع بعض، وكأن شيئا لم يكن. ومن الامثلة على الطوش الكبرى نذكر طوشة دار صافي ودار زيد عام ١٩٣٠ اثر خلاف بين مصطفى الحيت وعثمان ابودية، وطوشة دار النخلة ودار صافي عام ١٩٣٣ بسبب رعي غنم دار العبدية على غرس دار راشد شتات في خربة البيضا.

ولكن، وفي عام ١٩٣٧ اتخذت الخلافات شكلا اخر يختلف عن الاول، حيث تفسخت حمائل البلد الاربعة، وانقسمت على نفسها، وتحولت الى احزاب وتحالفات بين الافخاد المختلفة، وصارت الطوشة تقع بين افخاد الحمولة نفسها بمساندة افخاد من حمولة اخرى لها تربطها بها علاقة صداقة او رابط نسب ومصاهرة، حتى وصل الحد بالبعض ان يضرب الحجارة على اولاد عمومته في صف الطرف المعادي. وشاعت البلبة بين افراد الحمولة الواحدة وحتى الاقارب، تطبيقا للمثل القائل: (طعه وقايمة). وقد سميت تلك السنة. بسنة الفساد، والتي على اثرها اقامة حكومة الانتداب مفرزة من الفرسان الدائمة في المضافة، وكان على رأسها شخص اسمه ابو حكمت واخر اسمه يعقوب زيادة وهو من بير زيت.

وكان هؤلاء الفرسان يطاردون الاشخاص المتقاتلين داخل القرية وخارجها، ويقال بانه صادف وان لجأ شخص الى مغارة في طرف البلد فوجد في داخلها شخصا من طرف معادي لفريقه وجلس الاثنان يتعاتبان ويأسفان على ما وصلت اليه اوضاع القرية من فساد. وقد رحلت مفرزة الفرسان عن القرية في منتصف عام ١٩٣٨ بعد زوال الاسباب التي جاءت بها الى القرية.

وبالرغم من كل السلبيات التي كانت تطفو على سطح الحياة الاصلية لاهل القرية، الا انهم ظلوا محافظين على عاداتهم الانسانية التقليدية التي فطروا عليها. فكانت حالة الوفاة تجمع كل ابناء القرية على القبور، وبعدها تتناول حمولة المتوفي طعامها بالتناوب عند الحمائل الثلاث الاخرى دون استثناء، وانه لشرف عظيم حصول الحمولة على الدور الاول في العزومة. وكانت تتوقف الافراح مدة تزيد عن اربعين يوما شعورا مع اهل الفقيد. اما حفلت الزواج، فكانت تجمع ابناء الحمولة والاصدقاء والاصهار من الحمائل الاخرى، وكذا الحال مع عقد البيت ووقت الحصاد، حيث تكثر الفزعات (العونة). ولم يحدث في تاريخ البلد ان انسانا فقيرا قد مات جوعا بالرغم من حروب تركيا التواصلة، مرورا بالحرب العالمية الاولى والاضرابات والاحداث التي عصفت بفلسطين بين وبعد الحربين، وذلك لان المقتدر من اهل القرية كان يساعد الفقير. ومن المعروف لدى اهالي وسط فلسطين ان اهالي بيت نبالا بالذات غيورون جدا على ابناء بلدهم، فهم اشداء على غيرهم لكنهم رحماء بينهم، وكان الواحد منهم اذا ما وقع في مأزق في مدينة اللد، فانه ينظر حواليه ليستطلع وجود بعض من اهل بلده لكي يتصرف حسب الموقف المتوفر لمساندته قبل ان يتورط في مجابهة قد تكون خاسرة.

لقد كانت بيت نبالا مفتوحة للضيوف الوافدين من شتى مناطق فلسطين والاردن وسوريا ولبنان، بحثا عن عمل او سعيا وراء تجارة، وقد عرف عنهم حسن الضيافة واكرام الغريب واحتضان المطاريد ومغاوير الثوار ومدهم بالطعام والعتاد في مخابئهم بين شعاب القرية ووهادها.

ولكن الايام تدور وتدور، مع دواليبها يعيد التاريخ نفسه، فقد تجمع اهل القرية من جديد في شتاتهم حول خلايا جديدة، طالما تعطشوا لوجودها، ليحافظوا من خلالها على تواصلهم الانساني الذي يعتبر وعاء لتقاليدهم وعاداتهم التي ورثوها عن ابائهم واجدادهم : الا
وهي جمعية الزيتون النبالي في عمان وجمعية بيت نبالا الخيرية في رام الله، التي يقوم على تصريف شؤونهما في عمان ورام الله نخبة من ابناء القرية، ممن يتمتعون بعزم الشباب وحكمة الشيوخ.

الزواج :

كان الزواج يمثل ذروة السعادة التي يتمناها كل شاب في القرية من أي فتاة يراها الوالدان مناسبة لولدهما. وكان التنافس بين العائلات في العديد من الاحيـــان على اختيار العروس يؤدي الى الطوش وهجران القرية والدخالة على وجهاء قرية مجاورة او لاحدى الحمائل للتوسط في تقريب وجهـــات النظـــر بـــين العـــائلات المتنازعة. التي كانت تجد الحل في الغالب على حساب رفع مهر العروس الفائقـــة الجمال في ذروة المضاربة والمنافسة حتى يتعـــدى خمـــسمائة جنيـــه فلـــسطيني، متجاوزا بذلك الحد التقليدي لمهور الفتيات المتعارف عليه الذي كان سقفه لا يتعدى في كثير من الاحيان ثمانين جنيها، مما كان يجبر اهل العريس على بيع قطعة من الارض، او سقوطهم في شراك الديوان التي تقض مضجع السعادة بعد الزواج.

اما الفتاة، فكانت تضع نفسها في قمقم من الخجل، وتترك مصير زواجهـــا للقضاء والقدر تحت رحمت والدها الذي يوافق او لا يوافق دون علم منهـــا. لكـــن رغباتها المكبوتة في الزواج كانت تظهر رغم خجلها باشكال مختلفة، اما عن طريق الغناء بين رفيقاتها اللواتي يحفظن اسرارها اثناء جمـــع البقـــول او الحطـــب، او باختلاس النظر من طرف خفي نحو الشاب الذي يشاع عنه بانها معطية لـــه منـــذ ولادتها، او مجاملتها الزائدة لامه والتقرب منها باظهار المودة الخرساء التي تخفي تحتها الرغبة الاكيدة، هذا اذا كانت الفتاة مدركة لما يدور حولها، امـــا اذا كانـــت جاهلة فانها تستسلم تاركه مصيرها للمجهول.

لقد كان العرس احلى مناسبة في بيت نبالا، واكثرها بهجة فـــي النفـــوس، ولم تختلف عادات الزواج في القرية كثيرا عنها في الريف الفلسطيني. وقد كانـــت

تبدأ خيوطه اما عن طريق الامهات، او بالطلب المباشر من الاباء خاصة بين الاقارب والاصدقاء، او بالطلبة غير المعلنة عن طريق واسطة لجس النبض اذا كانت البنت من حمولة اخرى. فاذا كانت محجوزة لاحد اقاربها، يأتي جواب الواسطة سلبا، واذا كانت خالية، وتمت موافقة اولية من ولي الامر، يأتي الجواب بالتقدم بطلبها رسميا من اهلها. هنا يذهب والد العريس وحده او مع احد اقاربه الى دار العروس لطلب يدها من ابيها او ولي امرها، حيث يكون الجواب الاولى بامهالهم عدة ايام للوقوف على رأي الاقارب من باب المشورة ومسكة الخاطر. وبعدها يأتي الرد لولي امر العريس بالموافقة، وعندها تبدأ مرحلة اخرى وهي مرحلة الخطبة التي تتولاها جاهة مختارة تتكلم باسم العريس، والتي تنتهي في العادة بشرب القهوة وقراءة الفاتحة واطلاق الزغاريد من قبل ام العريس وقريباته، ثم يعقبها الرقص والغناء والتلويح بالمناديل والشاشات. وبعد يومين او ثلاثة، يذهب العريس برفقة امه وابيه واخواته الى دار العروس وبحوزتهم (خشة الدار) على طبق من القماش الملون تحمله امه على رأسها، وهي خليط من الفستق والقضامة والحامض حلو والحلقوم التي يطلق عليها اهل القرية اسم (نقل). وفي كثير من الاحيان كانت العروس عند خشة الدار تهرب الى بيت الجيران خجلا من مقابلة العريس.

وعندما ينوي العريس على الزواج، فانهم يكتبون عقد الزواج (الاملاك) وذلك قبل شراء الكسوة بيوم او يومين، وكانت الفتاة توكل والدها لتوثيق عقد زواجها في اللد واثناء كتابته يقبض والد العروس المهر المتفق عليه مع التأكيد على الشروط الاخرى شفويا امام الشهود. وبعدها ينزل اهل العروس والعريس الى مدينة اللد لشراء الكسوة من تجار القماش امثال رمضان او دار الهنيدي او دار عبده. وكان اهل العروسين ينزلون احيانا في دار التاجر المراد التعامل معه،

ويتغدون عنده، وذلك من باب الدعاية البدائية لجلب الزبائن. وتقول امنة احمد العيشاوي باننا كنا نشتري الطعام المعد للطبخ من مالنا الخاص، وما على التاجر الا ان يفتح لنا داره ويقدم لنا الاواني فقط. ولكن قبل الرحيل بقليل صار التجار يأتون الى القرية بقماشهم وبضاعتهم ليقطعوا الكسوة في دار العروس ليجنبوهم مشقة وعناء السفر الى اللد.

كانت كسوة العروس تتكون في العادة من اربع الى خمسة مقاطع واربعة سراويل توبيت وكورت، وثوب حياري، ومخمل، وقرمسوط، وخضاري، وملكة، وهدم، واربع شلحات، وشاشين، وعصبة غراوية، اضافة الى الحرير اللازم لتطريز الثياب وشراشيب الشاشات والمناديل، ومكحاة العين وقلائد الخرز. اما حذاء العروس، فكان يستثنى عادة من الكسوة، اذ كانت تولد وتتزوج وتموت وهي حافية القدمين، لكنها كانت تلبس حذاء عريسها وهي تزف على ظهر الفرس ليلة الدخلة فقط. وكانت قيمة الكسوة هذه لا تتعدى عشرة جنيهات، وكانت تصر في عقدة كبيرة من القماش لتحملها احد النساء على راسها. اما بالنسبة للحلي والمصاغ، فكانت العروس تشتري اساور الفضة وزناقا وحلق ذهب، وجميع هذا على حساب اهل العريس، اما والدها فكان يقدم لها نقوطا من ليرات الذهب بقيمة عشرة جنيهات تضيفها الى زناقها، ويسمى هذا النقوط، صداق الرقبة. اما العريس. فكان يفصل دماية العرس، والساقو الطويل، وسروالين، وثوبين قصار، ويشتري حطة وعقال وحذاء، كما كان لزاما على اهل العريس ان يدفعوا لاهل العروس مع الكسوة قيمة هدم العم وهدم الخال. وعند العصر، يعود اهل العروسين من اللد، حاملين معهم الكسوة، حيث يستقبلهم اهل القرية على طريق اللد في ارض الوسطة او الهدفة بالغناء والرقص والسحجة، ويظلون هكذا حتى يصلوا في عودتهم باب دار العروس، ثم يتفرقون الى بيوتهم.

وفي اليوم الثاني يرسل القماش الى الخياط في البلــد، لــدرزه وتطريــزه بالحرير الذي يستغرق حوالي عشرة ايام. وطيلة الليالي الثلاث التي تسبق الدخلة. يقيمون الافراح والليالي الملاح، حيث ينصبون بعد المغرب حلل الشاي او الحليب الكبيرة على مواقد حجرية في وسط الساحة العامة، واحيانا على النــوادرة تحــت انوار مصابيح الكاز، ويقيمون السحجة والدبكة التي تتخللهــا الاغــاني الــشعبية المتنوعة الاغراض مثل الشجاعة وكرم الضيافة، والمحبة والاخــلاص والوفــاء والوصف والغزل، والتي يبدأ مطلعها في العادة بذكر النبي صلى الله عليه وســلم. وقد اعتادت حمولة دار زيد تقيم افراحها على ساحة المطامير، ودار صــافي فــي الساحة التي تحيط بدار الزغلول والشراقة في ساحة المقيل ودار النخلة في الساحات الكثيرة القريبة من بيوتهم. وهذا لا يمنع ان تقيم اي عائلة او حمولة افراحها في أي ساحة من ساحات القرية فهي ساحات عامة وملك الجميع ولكنهم اعتــادوا هكــذا، ومما هو جدير بالذكر ان معظم الاعراس بل جميعها كانت في فصل الــصيف او في الاشهر غير الماطرة على الاقل. وتسمى الليلة التي تسبق يوم الدخلــة، ليلــة الحناء، حيث تذهب قريبات العريس بعد المغرب الى بيت العروس، تحمل احداهن على رأسها طبقا من القش يحتوي على كمية كبيرة من الحناء، ويسرن في الطريق يحملن المشاعل والاولاد يتقافزون من حولهن وهن يرددن الاغاني الجميلة حتــى يصلن الى دار العروس. حيث تقوم احداهن باجلاسها على شيء مرتفع مثل المخدة او تنكة فارغة او كرسي ان وجد، وتقوم بتحنية رجليها من القدمين حتى الركبتين، ويديها من الكتفين حتى المرفقين، اضافة الى تنقيط بعض المواقع في جسدها، ثــم تقوم معظم الحاضرات من الطرفين بتحنية اياديهن بمعية العروس، حتــى الاولاد ينالون نصيبهم، اذ يقوم بعضهم بتحنية يد واحدة احيانا مما كان يعرضهم لســخرية

معلم المدرسة في اليوم التالي عندما يتعرض للعقاب بالــضرب علــى يــده اثــر تقصيره في احد دروسه، حيث يقول له المعلم افتح يدك المحنية لاضربك عليها.

بعد تحنية العروس، تعود قريبات العريس الــى بيــوتهن، وتظــل معهــا رفيقاتها من اهل الحارة حتى يجف الحناء وتغسله عن اطرافها، مخلفا بذلك وراءه اللون الاحمر الجميل الذي يثير في نفوس الصبايا الرغبة والتمني لــدخول عــالم الزواج المجهول، ويستمر الغناء والرقص في بيت العروس ويتخلل ذلك اوبريــت "حراثة الحقول"، حيث تقوم احدى الصبايا بدور الحراث، واثنتين بدور البقــرتين، واستعمال عصا بدلا من عود الحراث واخرى بدلا عن النير. ويبدأ الحراث يصيح عتابا وميجنا، اضافة الى الاغاني الزراعية الاخرى مثل (يا حراث البقر ما اطول معانيك). في اليوم الثاني يبدأ التحضير للزفة، حيث يقوم والد العريس بشراء قفتين من الارز ويفلفلونها ويديرونها على حصيرة مفروشة امام المدعوين للاكل، ويقوم الاطفال احيانا بوضع الارز في حجور ثيابهم ليأكلوه. وبعدها تبدأ الزفــة وذلــك بركوب العريس على ظهر الفرس والنساء ترقص وتغني من حوله، اما الرجــال فيسيرون خلف الزفة في موكب واحد عبر احد شارعي القرية الرئيــسية باتجــاه الغرب، حتى يصلوا ارض الوسطة، قبل ضمها داخل الكمب، وهناك يبــدأ ســباق فرسان اهل القرية على ظهور الخيل، وكان من اشهر هؤلاء الفرســان : خمــيس مطر وصافي طه ومحمد عساف وعبد القادر الملقب بالتركي وغيرهم. بعد ذلــك يعود موكب الزفة الى دار العريس. ثم بعد المغرب تبدا زفة العروس بعد ان تكون قد حصلت على النقوط من اقاربها وقريبتها الذي يتــراوح بــين الــشلن وجنيــه فلسطيني. وقد كانت قطعة النقود الورقية تشبك على صدرها بدبابيس، وكان اولى الناس بمساعدتها لركوب الفرس هما العم والخال اللذان حصلا على الهدمين مــن الكسوة، ثم يجلل رأسها بشاش يغطي جميع جــسمها، وتلــبس حــذاء العــريس.

وتمسك بالسيف وتركزه امامها على كربوس الفرس،وسط الغناء على طول المسافة بين بيتها وبيت عريسها فقط. وبعد ان تدخل البيت وتلبخ قطعة الخميرة على الباب يأتي دور الجلوه، حيث تحمل في يدها الشمعدانات وترقص امام عريـسها يمينـا وشمالا بحضور النساء، ثم ينتهي العرس بمغادرة الجميع الى بيوتهم. وفي اليـوم الثاني او الثالث لزواجها تذهب الى بير البلد او تسرح الى السهول مثل بقية النساء. وهنا، لابد من توضيح مفهوم هدم العم والخال، المتمثل في اعطاء كل مـن عـم العروس وخالها مبلغا من المال، من قبل عريسها، متفقا عليه، يكون عـادة بقـدر قيمة كسوتها، وذلك لان عمها وخالها سيحملان في المستقبل اعباء زيارتهـا فـي الاعياد وتقديم الهدايا لها.

ختان الاولاد (الطهور) :

اعتبر الختان في بيت نبالا من اهم الاحداث في حياة الولد والوالدين على السواء. ويتم هذا الحدث طبق برنامج معد يشبه برنامج الزواج من حيث الاهمية. فهو من الايام التي لا تنسى. ويتم تحديد يوم الطهور بالاتفاق بين والد الطفل وبين المطهر الذي كان يأتي الى القرية عادة من مدينة اللد او الرملة. وكان من اشهر المطهرين شخص من اللد اسمه رمضان. وبناء على هذا تقوم الام بالاعلان لجاراتها وقريباتها ودعوتهن الى هذه المناسبة السعيدة قبل اسبوع على الاقل، كما يقوم الاب بدعوة اقاربه واصدقائه لحضور حفل الطهور والزفة وتناول طعام الغداء في اليوم المحدد لهذه الغاية. وبعدها تبدأ الاسرة في التحضير وشراء الارز والذبائح والقهوة والدخان والتنباك. وعندما يأتي ذلك اليوم عند الظهر، يأتي المدعوون والمدعوات اللواتي يدخلن الدار بالتهايل والزغاريد، ثم يتجمعن ويقمن بالغناء والرقص، كما تقوم بعضهن بمساعدة ام الولد في طبخ اللحم والارز، واخريات في قطب ما تبرعن به من قطع نقدية او معدنية من النصاص والرباع على صدر الولد لتزينيه قبل الزفة. وبعدها يرفع الولد على ظهر الفرس وهو يرتدي الدماية والحطة والعقال، ومن الجدير بالذكر ان عملية الطهور كانت تحدث في العادة لمن يتعدى الخامسة من عمره او اكثر، وفي كثير من الاحيان كانت تتم لشباب بالغين، وقد تزيد اعمارهم عن الخمسة عشرة، واحيانا العشرين. وكانت الزفة تطوف احياء القرية يسير في مقدمتها الرجال. اما النساء، فيرقصن حول الفرس التي يباريها على الجانبين والد الطفل وخاله او عمه، خوفا من سقوطه عن ظهره. وبعد الانتهاء من الزفة تعود الجموع الى دار الفرح حيث يتناولون طعام الغداء، ثم يبدأ المطهر بتجهيز ادواته تمهيدا للعملية التي يسبقها سؤال وجيه الى الولد : من من الحاضرين تريد ان تترهب ؟ فيرد الولد خالي فلان او عمي

فلان. ويعني هذا ان من وقع اختيار الولد عليه يكون مكلفا بدفع اكبر قيمـــة مـــن النقود الذي قد يصل في بعض الاحيان الى جنيهين او ثلاثة، كما ان من قبل هــذا الترهيب يكون ملزما بعمل غداء او عشاء لاهل الولد بعد عدة ايام من الطهور. ثم يبدأ التنقيط الذي يتراوح بين شلن ونصف جنيه وجنيه وذلك حسب مقدار الصداقة او المعزة وبعد عملية الختان تستمر النساء بالغناء حيث يقلن :

طهره يا مطهر وناوله لامه — يا دموعوه الغالية سقطت على كمه

طهره يا مطهر وناوله لاخته — يا دموعوه الغالية سقطت على بشته

من طهرك يا (محمد) على رواق الشامي — قالت عدوة امك يا حسرتي على حالي

من طهرك يا (محمد) على رواق القبلي — قالت عدوة امك يا حسرتي يل غلبي

اغاني السجحة واغاني النساء في العرس :

تبدأ احتفالات العرس في بيت نبالا قبل ثلاث او اربع ايام على الاقل من ليلة الدخلة، بمشاركة معظم اهالي القرية، حيث تذهب النساء الى بيت العريس كل ليلة من هذه الليالي وهن رافعات المشاعل ويزغردن في الطريق، ثم يبدأن في الغناء والطبل والزمر حال وصولهن. اما الرجال، فيجتمعون في ساحة القرية الرئيسية اذا كان اهل العريس يسكنون داخل البلد، او في احدى النوادرتين، اذا كانت بيوتهم على الاطراف، وكانوا ينيرون ساحة العرس بلكسات الكاز وينصبون حلل الشاي والحليب على مواقد حجرية على طرف المكان. وكان يتخلل تلك السهرات الدبكات المرافقة لغناء زريف الطول ودلعونة وجفرا ويا هالرابع، او يصيحون العتابا والميجنا التي يتقنها عادة الحداءون القادمون من اهل الجبل، الا ان سامر السحجة، كان له النصيب الاوفر من تلك السهرات، والذي يؤدي عادة الشباب والكهول معا، حيث يقف المشاركون على شكل صفين متقابلين، يردون على بعض، ويكرر الصف الثاني ما يقول الصف الاول طيلة مدة السحجة التي تبدأ بالصلاة على النبي :

اول كلامي بصلي *عالنبي الهادي*

والفرح فيكم من *زمان عادي*

وشرب القهوة *محلاه ويا زينه*

من البكرج اللي انتصب *رنت فناجينه*

يا مرحببابك يا من دلك *يا من حبابك*

يا مرحبا بالطريق *اللي عرفتنا بك*

لولا المحبة علي *الاقدام ما جينا*

ولا دعسنا *اراضيكم برجلين*

سلم على حبيبي	*يلي تروح داره*
سلم عليه بالوما	*ليسمعك جاره*
نايم على حده	*بالمناديل غطاني*
والحلم كذاب	*لاشفته ولا راني*

وفي اثناء زفة العريس، فان النساء يرقصن حول فرس ويقلن :

عريسنا يا ناس، مين قال عنه اسمر

ابيض من الجبنن، واحلى من السكر

عريسنا يا ناس، مين قال عنه شين

ابيض من الجبن، واحلى من كحل العين

صلوا ع نابيكم يللي ع الحيطان

صلوا ع نبيكنم ع زفة العرسان

كما ترقص الختيارات والصبايا امامه وهو مصمود بجانب العروس، ويقلن :

كيف كيف يا (محمد) مالك زعلان	و (مريم) على حدك طلق الريحان
كيف كيف يا (محمد) مالك مغبون	و (مريم) على حدك طلق الليمون

اما اغاني الشباب في الدبكة، فهي متشابهة تقريبا في قــرى فلــسطين خــصوصا زريف الطول التي مطلعها :

يا زريف الطول وقف تقلك	رايح على الغربة بلادك احسن لك
خايف يا لمحبوب تروح وتتملك	وتعاشر الزينات وتنساني انا
يا زريف الطول من الحار مرق	والعنق شبرين هيك الله خلق

كما تقول الصبايا في بيت العريس بالدبكة وأيديهن متشايكة ويقلن :

جفرا ويا ها الربع بتصبح يا عمامي

ما بوخذ ابنكم لو تطحنوا عظامي

وان كان الجيزة غصب في شرع الاسلام

لارمي حالي في البحر لسمك المية

كما تقول النساء عندما يأتين لاخذ العروس من بيت والدها :

جين النباليات بثياب البحر ورجالهن قدامهن زي الوزر

جين النباليات هيلة بهيلة زي الغزلان الواردة على العين

واحنا النباليات ما فينا دنس ونطيح الخيال عن ظهر الفرس

ونطيح الخيال ونركب مطرحه واللي يعادينا بالسيف نطرحه

اللباس الشعبي :

كان اللباس الشعبي بين اهالي بيت نبالا يختلف باختلاف السن والجنس، ولايختلف بمجمله عن لباس اهالي القرى المجاورة الا بمميزات بسيطة ابدعت فيها ايادي النساء، وتوطن هذا الابداع حتى اصبح عادة، وقد تأثر هذا اللباس احيانا بالاعتقادات السياسية النابعة من مجاهل وتبعية القيس واليمن.

فقد كانت النساء المتزوجات و كبيرات السن يضعن على رؤوسهن الوقاة، وهي عبارة عن قطعة قماش حمراء نوعا ما تسمى (الدندتشي)، حيث تقوم النساء بتطريزها بغرز الحرير المتراصة بالوان التجانيس المختلفة وخاصة الاحمر. وكانت النساء تشتري لهذا الغرض شلل الحرير البلدي الاصلي بالوزن، كانت الوقاة تحتاج من ربع الى نصف وقية من الحرير، وكان ثمن الوقية الواحدة جنيها فلسطينيا، كما كانت اجرة خياطة الوقاة وتطريزها جنيها ايضا. وتصبح قطعة الدندتشي عند الانتهاء من تطريزها سميكة ومقواه ترسل بعدها الى الحاجة فاطمة عبد اللطيف مرفقة بكلفتها من قطع العملة المختلفة لتثقبها على السندان وتقطيبها حسب الاصول. وكان يشك على طرفها الامامي المحيط باعلى الوجه مائة قطعة متراصة من رباع الفضة، وتسمى هذه الصفة او الشكة، وكان ثمن القطعة الواحدة من هذه الارباع الفضية عشرة قروش. اما منتصف الوقاة فكان يغطى بعدة صفوف متوازية من قطع العملة المعدنية تسمى النصاص، مفردها نص، وهي ارخص من الارباع حيث كان ثمن النص الواحد يساوي قرشين ونصف، وتشكل هذه النصاص بمجموعها ما يسمى (الطفطاف). كما كان يقطب على الوقاة خلف الرأس خمس الى عشر قطع كبيرة من العملة الفرنسية تسمى الفرنسيات، وكان ثمن الفرنسية الواحدة نصف جنيه فلسطيني. وكان يلتقط بقرنتي الوقاة من الخلف

شريحتين من الصفوف طول الواحدة حوالي متر تسمى اللفايف، التي كانت تلــف حول جديلتي شعر المرأة من الخلف، ثم تلفان حول بعضهما عدة لفات فتــشكلان فوق الرقبة عنقورا يشبه ذيل البطة. وكان احد ابناء القرية الذي كان يرعى العجال ينسج هذه الفايف، كما كان ينسج ايضا البنود (الشطانات) التي تلقط في مقدمة الوقاة على جانبي الصفة مباشرة وتلف مع اللفايف عند لبس الوقاة وذلك لمنعها من الشقلبة (الشنكحة) نحو الخلف. وكان على جانبي الوقاة علاقتان معدنيتان صغيرتان يعلق فيهما طرفا الزناق وهو عقد من الفضة منظوم باثنتي عشرة ليرة ذهبية يلتف تحت الذقن، وينتهي في اسفله بقطعة كبيرة من الذهب تسمى المخمسية او الفطيرة يساوي ثمنها خمس جنيهات فلسطينية. وبهذا كله كان وزن الوقاة يزيد عن ثلاثــة كيلــو غرامات.

اما الفتيات الصغيرات، فكن يلبسن على رؤوسهن وقاة خفيفة موشاة بعــدد اقل من قطع العملة التي توضع على الوقاه، وتسمى هذه الشطوة. كما كانت النساء والصبايا يتزين ايام الافراح القذلة، وهي قطعة من الذهب تقطــب علــى عرقيــة صغيرة مطرزة من القماش وتربط حول الرأس بحيث تكون قطعة الــذهب علــى الجبين. كما كانت بعض النساء تعصب رأسها حول الوقاة بالعــصبة الغراويــة او تتشدد بها على وسط جسمها، وتسمى هذه العصبة (مقــرون). وكانــت الفتيــات الصغيرات يغطين رؤوسهن بالشاش الابيض المحبوك على الداير بالحرير، كمــا يقمن بتفقيع (بتزيين) قرنه المتدلية حول الجــسم بــالحرير الملــون ايــضا، امــا الختيارات، فكن يلبسن على رؤوسهن الشنابر السمر المنوسة أطرافها بالــشراشيب الحنونة.

كانت المرأة النبالية تلبس الثوب الفلاحي الابيض، ويسمى قماشه قبل حياكته بالمقطع، وقد اشتهرت في ذلك الوقت عدة ماركات من هذا القماش، منها مقطع الشام والطرابلسي، والمقطع الانجليزي. وكان الثوب الواحد يحتاج الى اثني عشر ذراعا، وثمن الذراع الواحد قرش فقط، وكان الثوب يخاط اما باليد او الماكنة بخمسة قروش، ثم يطرز عليه بعد تفصيله طبب الحرير الاحمر التي يصل عددها احيانا الى ثلاثين طبة، وكان ثمن الطبة الواحدة قرشا واجرة تطريزها قرشا ايضا. وتتألف الاجزاء المطرزة من هذا الثوب في العادة من القبة والبنايك والسيوف على الجانبين والاكمام، اضافة الى داير اطراف الثوب السفلي. اما الختيارات فكن يلبسن الثياب البيضاء السادة الخالية من الحرير التي لا تخلو من اثار الزعوط. وكان ثوب الختيارات له اكمام واسعة عريضة تسمى الردانات التي كانت تعقد نهايتها الامامية مع بعض ويلقى بها خلف الرقبة لتكشف زنديها الى ما فوق المرفقين لتكون مستعدة لخض اللبن في الشكوة، ومد يدها بداخلها لاخراج الزبدة دون ان تتسخ اكمامها. وقد تشددت الختيارات في الوسط بالقشامر الحمراء المقلمة باللون الاصفر والمسماه مزاريب الذهب.

لقد كانت نساء القرية وفتياتها الصغيرات يتسترن بالسراويل حتى القدمين بدون استثناء، وكان قماشها في الغالب من قماش التوبيت الاسود والمسمى (قزمير توبيت)، وكان يتم تطريز ارجله حتى الرقبتين بطبتين او ثلاث من الحرير بواسطة اليد او الطارة على الماكنة. وكان قماشه غالي الثمن حيث بلغ ثمن الذراع الواحدة خمسة قروش، وكانت الاسر الفقيرة تستعيض عنه بسراويل قماش الكورت رخيصة الثمن.

كانت نساء القرية على الدوام حافيات الاقدام، الا العروس التي كانت تنتعل حذاء زوجها اثناء زفتها على ظهر الفرس. وكانت المرأة اذا مـــا لبـــست الحـــذاء تتعرض للغمز واللمز، وقد سبب هذا الحفاء المستديم تشققا في كعب المرأة وجفاف مبرح في اظافرها. الا ان بعض النساء كن ينتعلن الوطى عنـــدما يـــسرحن الـــى السهول ايام الحراث او الحصيدة وقلاعة السمسم وقطاعة الذرة. وكان هذا الوطي يشبه البوط العادي ولونه احمر، ويتم شراؤه من سوق اللد بعشرة قروش.

اما العروس، فكانت تلبس ليلة الدخلة اثوابا عدة غير مطـــرزة بـــالحرير، ومنها ثوب الحياري، وهو ابيض اللون ممـــوس (ممـــوه) بـــالخطوط العريـــضة الخضراء والصفراء والحمراء من نفس القماش. او ثوب الخضاري، واسمه يـــدل على لونه، ولكنه ملون بخطوط وحزوز القماش المختلفة. او ثوب الملكـــة، وهـــو احمر اللون مبقج (مرقع) بقطع من القماش المشربشة الناعمة ذات الالوان الجميلة. كما كانت العروس تلبس ليلة الدخلة نوعا اخر من الثياب بسمى الهدم، وهـــو مـــن الحرير الخالص ومقلم بخطوط رفيعة مثل الدمايات، ولكن بألوان صفراء وحمراء، وقد عادل هذا الثوب ما يسمى بالبدلة البيضاء لدى عروس هذه الايام، ولا ننـــسى بان العروس كانت تزين صدرها ليلة الجلوة بالبرازخ، وهو عبارة عن وشاح على شكل خطين متقاطعين من شريط القماش ومشنشل بقطع الفضة.

لقد كانت العروس تلبس تحت الهدم ليلة الدخلة شلحة من القماش السادة غير محبوكة الفتحات سواء عند الرقبة او فتحات الاكمام او الداير الاسفل، حتى يمكـــن لخيطان نسيجه ان تنتسل من اطرافه بسهولة، وذلك تيمنا لبشارة العروس بان تكون كثيرة النسل بعد زواجها. اما زينة ايدي العروس واصابعها، فكانت تنحصر فـــي الاساور والخواتم الفضية دون الذهب باستثناء الزناق والقذلة.

وقد تدخلت عادات القيس واليمن في لبس العروس حين خروجها من بيت ذويها ليلة الدخلة، فكان القيس يجللون عروسهم على ظهر الفرس بالقماش الاحمر، اما اليمن فكانوا يجللونها بالقماش الابيض، مما كان يسبب الخـــلاف احيانـــا بـــين الحمائل، وعلى سبيل المثال : فقد وقع سوء تفاهم بين حمولة الشارقة وحمولة دار صافي عندما تلاقت مواكب عروستيهما البديلات على مزبلة دار الـــشاعر شـــمال القرية، حيث حاول الشراقة استبدال الجلال الابيض لنعمة عثمان ابو دية مـــن دار صافي بالجلال الاحمر، كما حاول دار صافي استبدال الجلال الاحمر لعايشة فتوح من حمولة الشراقة بالجلال الابيض، وقد تعالت صيحات الطـــرفين فـــي الفـــضاء وحلت الكربة بعد الفرحة وكاد ان يحمي الوطيس لولا عناية الله، واكتفى الطرفان بتعطيل العروسين عن الدخلة في تلك الليلة هادمين بذالك لذة ساعات من العمر، الا ان وجوه الخير من اهل البلد تدخلت بينهما في اليوم الثاني، واحلو الوئـــام بينهمـــا بدل الخصام، ودخلت العروسان بسلام، وطمس التواصل علـــى مبـــاديء القـــيس واليمن.

اما لباس الذكور، فكان يختلف حسب الاعمار، فالاولاد يلبـــسون الثـــوب الطويل المسمى (الشقة)، ويضعون على رؤوسهم طواقي الصوف او وبر الجمـــل او الطواقي البيضاء الموشاه بالحرير الناعم التي كان يأتي بها الحجاج من الحجاز. وكان الشباب والكهول يلبسون الدمايات البيضاء المقلمة بالالوان السوداء او الزرقاء، الا ان الوجهاء والميسورين والمتشببين، كانوا يلبسون اطقـــم الجـــوخ والـــصوف ودمايات وحطات الروزة والعقلة الفاخرة والساقو الطويل التي كانوا يفصلونها في اللد عند اولاد عبده، كما كانوا يتشددون بشمالات الطرابيش الحريريـــة المقلمـــة، وكان بعضهم يلبس الطرابيش الحمراء القصيرة الملفوفة بقماش الغبانية والمـــسماة

بمجلمها الكفية (التشفية). كما لبسوا في ارجلهم الاحذية الانيقة ذات اللون البرتقالي او الاسود التي كانوا يفصلونها عند برو في اللد ايضا، والتي كانوا يطلقون عليها احيانا اسم المشاية، ونذكر من هؤلاء الرجال على سبيل المثال لا الحصر : مصطفى حسن الحاج حسين صلاح، وعلي رباح، واحمد البرقة، والحاج محمود سليمان قطيفان، وسليمان امنة، وحسين خليل عيده، وعطا موسى سليمان، والحاج محمود حسين صالح، ومصطفى طه خالد، ومطيع عبد القادر وغيرهم، كما كان المتقدمون في السن يلبسون الثوب الابيض او الداكن لسهولة استعماله عند الوضوء او قضاء الحاجة.

اما ملابس العمل وخاصة اعمال الفلاحة، فكانت بسيطة لا تتعدى الدماية المقلمة والثوب القصير على اللحم والسروال الابيض والحطة او الكفية الملفوفة بقطعة قماش بيضاء مغبرة. ولهذه الكفيات الكثير من الطرائف المتداولة في مجالس ابناء القرية في غربتهم، فمنها ما عششت فيها الفئران بعد ان هجرها صاحبها في البيت لمدة من الزمن. ومنها ما لسعت صاحبها بالنار اثناء الحراثة، لان بعض الحرثين كان يضع فيها عشبة القديح الجاف والزنادة الفولاذية، التي يقدحون بها على حجر الصوان لاطلاق الشرارة في العشبة لاشعال السيجارة. ولما كان هؤلاء البعض يطفيء العشبة بين اصابعه ويحفظها في الكفية من اجل استعمالها مرة اخرى دون من التأكد من اطفائها كلية، كانت تتأجج في كفيته وهي على رأسه دون علمه، وينبعث منها دخان كثيف يشبه دخان الجرار الزراعي. كما كان بعضهم ينسى عشبة القديح مشتعلة في جيوب ملابسه التي كان يخلعها عند بداية العمل ويتركها على رأس المارس، وعندما يعود اليها بعد ساعة لاشعال السيجارة اخرى يجدها قد استحالت الى كومة من الرماد، وبعدها يحتار في كيفية العودة الى القرية بملابسه الداخلية بعد العصر، لكن بصيرته ترشده في النهاية الى الانتظار وتأجيل العودة

الى ما بعد الغروب تجنبا لتساؤل العيون. وكان ابناء القرية يلبسون فـــي اقـــدامهم اثناء العمل الوطى الاحمر او شواريخ الكاوتشوك التي كان يصنعها احد ابناء قرية الحديثة المجاورة.



قضاء وقت الفراغ :

كان كبار السن من اهل القرية يقضون اوقات فراغهم في الدواوين التي بلغ عددها قبل الرحيل ١٣ ديوانا، وكانوا يطلقون على الديوان اسم (بيت الزلام)، واذا ما عدنا قليلا الى الوراء، فاننا نجد ان مضافة البلد قد قامت في السابق بجهود الجميع، وكانت تضم بين جدرانها في الاصباح والاصايل والاماسي معظم رجال القرية من جميع الحمائل. ولكن عندما عمقت حكومة الانتداب البريطاني الخطوط بين الحمائل في فلسطين بشكل عام، وفي بيت نبالا بشكل خاص، فقد اصبح لكل حمولة ديوانها الخاص بها، بل واكثر من هذا، فقد قامت بعض الافخاد بالتقوقع حول نفسها وذلك بانشاء دواوين خاصة بها، خصوصا في فترة تفسخ الحمائل وتحالف بعض افخادها مع افخاد الحمائل الاخرى. وكان مريدو هذه الدواوين يتحلقون حول النراجيل يتسلون مع الضيوف من غير القرابة، او يتداولون الاحاديث في الامور العمة والقيل والقال. كما كان بعضهم يقضي وقت فراغه في النهار جالسا على مقاعد حجرية في ظل جدران البيوت لو امام دكاكين الحلاقين والبقالات واللحامين او مقهى عيسى احمد الحاج على المطامير لسماع محطة الشرق الادنى، او يونس البحري من اذاعة برلين. كما كانوا يلعبون السيجة تحت اشجار الزيتون في اطراف البلد، كما ارتاد المتصوفون زاوية الحاج كايد حسين لاحياء الذكر في بعض الاماسي.

اما الصبية، فكانوا يلعبون الكورة على النوادرة، وهي عبارة عن علبة صغيرة فارغة تضرب بالعصا، وتشبه الى حد بعيد لعبة هوكي الاعشاب. ومن العاب الاولاد السبع حجار. والمقرعة بالكبريت وهي تشبه حاكم جلاد، ولعبة اولك يا ابو اسكندراني يا ابو عيون الغزلاني، وهي بمثابة القفز من فوق ظهر احد

الاولاد وهو واقف محني الظهر ولعبة الطمله والمعروفة باسم الغماية، كما كان بعضهم يمارس صيد العصافير بالفخ اثناء النهار، وقد بحثو عن الدود اللازم للفخ داخل عيدان الذرة ووضعها في علب الزعوط المملوءة بالطحين.

اما البنات، فكن يلعبن البزم المعروف باسم الاكس، والشبر والشبارة والجمل والجمالة، والتحلق حول الجدات لسماع الخراريف عن الشاطر حسن والغولة واحديدون، ويمارسن لعبة طار الفراش او حدارجي بدارجي من كل عين دارجة. ولعبة الكال، وهي عبارة عن خمس حصوات صغيرة مكعبة الشكل.

اما النساء والصبايا، فكن يقضين اوقات فراغهن النادرة بنسج اطباق القش والمطاحن والسلال وتطريز الثياب بالحرير، ونسج طواقي الصوف ووبر الجمل، والجلوس في الطوابين على شكل مجموعات في ايام الشتاء يتبادلن الاحاديث والنوادر المضحكة.

المناسبات الدينية :

كانت الحجة عند نساء ورجال بيت نبالا منذ القدم امنية ما بعـــدها امنيـــة، خاصة كبار السن منهم، فكانت رحلت الحج على ظهور الجمال حتى عهد قريـــب رحلة شاقة قاسية محفوفة بالمصاعب والمخاطر، وكثيرا ما كان يتعرض الحجـــاج لمخاطر النهب والقتل والموت جوعا او عطشا في تلـــك الرحلـــة الطويلـــة عبـــر الصحراء الى مكة والمدينة المنورة. وكان الراغبون في اداء فريضة الحج يتأهبون لرحلتهم في وقت مبكر، ويسافرون قبل الموعد المقرر للحج باشهر عديدة وذلـــك بسبب ضعف وسائل المواصلات وصعوبة الطريق ووحشتها، ومن ناحية اخـــرى، فان طبيعة الرحلة الى بيت الله الحرام حافلة بالرغبة الملحة والشوق الملتهب لزيارة البيت ومثوى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

ومع دخول القطارات الى البلاد العربية، اصبح حجاج بيت نبالا يـــذهبون الى الرملة ليركبوا من هناك الى بور سعيد في مصر، ومنها يركبون البحر الاحمر الى جدة، ثم على ظهور الجمال الى مكة المكرمة. كانـــت المـــدة التـــي يقـــضيها الشخص في اداء فريضة الحج تستغرق من ثلاث الى اربعة اشهر. وكانت مراسم الحج تبدأ في القرية باعلان الشخص بطريقته الخاصة عن نيتـــه فـــي اداء هـــذه الفريضة المقدسة التي لا ينالها من الناس الا كل سعيد، والتـــي ستـــضفي علـــى صاحبها لقبا دينيا واجتماعيا مهيبا بعد عودته سالما غانما. فيبدأ الوداع قبل ان ينشد الرحال باسبوعين تقريبا. وكان المدعوون يفدون الى بيت صاحب النية ليتحـــدثوا عن الموقف الجليل خاصة الوقوف امام قبر النبي محمد صلى الله عليـــه وســـلم، وكان يتم شحنه بالمذخور الروحي خاصة من اولئك الذين سبقوه الى الحج من اهل

القرية، حيث يرشدونه الى ما يجب عمله في تلك الرحلة، ويعرضون عليه النقوط او المساعدات المالية.

وكان لا بد لكل تلك الاحاسيس الانسانية ازاء الرحلة المقدسة الطويلة ان تبرز في اغاني اهل القرية بهذه المناسبة التي تعبر عن شوق العاجزين عن الذهاب الى مكة، وتمنياتهم للذين واتاهم الحظ بزيارة الكعبة بالخير والسلامة.

وعند اقتراب موعد شد الرحال، ترتفع اصوات النساء في ليالي التحانين التي تقام فيها السهرات الاحتفالية، وتغني اغاني الوداع للحجاج، وتمتاز هذه الاغاني بطابع الشوق الذي يشيع في ثناياه، والذي يعبر عنه بالصوت الممطوط الحنون مثل :

يا زايرين النبي خذوني بمحاملكم   *لاني حديد ولا بولاد بثقلكم*

واذا كان زادي وزوادي يثقلكم   *بصوم لله ويكافيني النظر منكم*

كان حجاج بيت نبالا يغيبون عن قريتهم ثلاث اشهر على الاقل ذهابا وايابا، ينتظرهم خلالها الاقارب والاصدقاء على احر من الجمر، وفي حالة عودتهم عن طريق يافا/الرملة، كان الاشخاص المقربون من الحجاج يقومون بالتوجه الى ميناء يافا او غزة، ويمكثون هناك منتظرين الحاج المحمل بالهدايا التي احضرها معه لاهله واحفاده، وليرد المعروف خاصة لاولئك الذين نقطوه، وعندما يصل القرية تبدأ النساء بالزغاريد، فيشيع الخبر بين الناس، ويبدأ المهنئون يهلون عليه مسلمين معانقين، وتنهال عليه عشرات الاسئلة والاستفسارات، ويبدأ بالحديث عن رحلته مرارا كلما وصل بيته مهنئ جديد، وخاصة الحجات من النساء اللواتي يلهبن

شوق النسوة المهنئات بالحديث عن الكوب في الهودج على ظهر الجمل بين مكـــة والمدينة، وما يتخلل ذلك من الاغاني الدينية الحنونة المشوبة باللهفـــة الـــى قبـــر الرسول الكريم.

كان الحاج يحضر معه عادة البساط الحجازي لفرشه تحت المهنئين بدلا من الحصيرة البالية. وزنبيل التمر لاطعامهم، وماء زمـــزمم والمـــسابح والمـــصليات والمكاحل وطاسة الرجفة. اما الاطفال، فكانوا يحضر لهم في خرجة العقود والحلق والمناديل والاساورللبنات، اما اللاولاد، فكان نصيبهم الحطات الموشـــاه بـــالالوان والزخارف والعقلة المربعة المقصبة والعباءات الصغيرة ذات الالـــوان الزاهيـــة، والطواقي البيضاء الموشاة بعروق مطرزة على الماكنة. وكان هـــؤلاء الاطفـــال يدورون في الحارات متفاخرين امام اقرانهم من اطفال القرية لاظهار تميزهم عليهم بما احضره جدهم او والدهم.

وجدير بالذكر، انه مع قدوم الحاج من الديار الحجازية المقدســـة، كانـــت تذبح له الذبائح تكريما لمكانته عند الله، وكان الحاضرين يتناولون الطعام بمعيتـــه، كما كانت بعض العائلات تكرمه بدعوته الى العشاء او الغداء في بيوتهم.

وكان الحاج يضفي على الشخص وزنا اجتماعيا، فيلقب اولا "بالحاج" حيث يحاول الحاج الترفع عن سفاسف الامور ويطلق اللحية احيانا ويزيد مـــن تعبـــده، ويكثر من الدعاء ولاستغفار، ويأخذ مكانه الاجتماعي في الدنيا كعاقل من عقـــلاء البلدة ويكسب رضا الله في الاخرة.

اما بالنسبة لرمضان، فيبدأ في استقبال هذا الشهر الفضيل بتحضير المـــواد التموينية اللازمة للصيام، كالسمنة البلديـــة، والارز والـــسكر والـــشاي والقهـــوة،

والفاصولياء الناشفة وقمر الدين وقصات الحلاوة، ومرتبانات العسل التي يتم شراء معظمها من اللد قبل بدأ الشهر باسبوع. قبل رمضان بيوم وبعد صلاة المغرب يصعد المؤذن ويكبر، ليعلن عن قدوم رمضان. وكان يقوم بمهنة التسحير على الطبل مقابل فطرة رمضان، وما تجود به النفس، الشيخ مسعود حمد (العسس) وذلك بالسعي في شوارع القرية وازقتها وهو يلبس الدماية، ويلف رأسه بالشاش، وكان ضريرا، الا انه يعرف طريقه بضوء الذاكرة الخفي، يتبعه احيانا الاولاد الصغار وهم مبتهجون وكان المسحراتي وزوجته الضريرة القادمة من قرية دير طريف، يسكنان في الجزء الجنوبي من البلد بين بيوت المصاروة.

يعتبر انتهاك حرمة شهر رمضان في عرف اهل القرية نقيصة اخلاقية، حتى ولو جاء في موسم الحصاد خلال الشهور القائظة، وكان مقام السلطان عبد القادر وزاوية الحاج كايد حسن والجامع العمري تشهد نشاطا كبيرا في ليالي الشهر الفضيل لاقامة صلاة التراويح وقراءة القرآن، والتسبيح والاستغفار حتى السحور. وتصل العبادة ذروتها قبل حلول العيد. وفي صبحية يوم العيد يجتمع المصلون في مقام السلطان عبد القادر لاداء الصلاة، ثم يخرجون جميعا الى مقبرة القرية ويرددون على ساكنيها ادعيات الترخم والمغفرة خلف الشيخ يوسف امين، حيث تجلس النساء خلف قبور الاعزاء، ويرتل عند شواهدهم القرآن الشيخ خالد امين الضرير لقاء ما تجود به النفس من قروش او مطبق وزلابية ومخمرة وكبب، يعود الرجال بعدها الى بيوتهم، ويمرون في الطرقات بالاطفال بملابسهم الجديدة، ويمدون عليهم العيدية التي تتراوح بين التعريفة والقرش، بعد ذلك يهرعون لزيارة الارحام وهم يحملون اكياس النقل (المخلوطة) في اياديهم.

اما في عيد الاضحى، فيحملون لارحامهم فخدة او يد خروف من الضحية التي لا تخلوا منها دار، كما يمد على رحمه العيدية التي تتراوح بين الشلن والعشرة قروش، ونادرا نصف جنيه، بعد ام تقوم وليته بتقبيل يده وتقول له : من العايدين.

بعد ذلك، يقوم الرجال بزيارة بيوت العزاء للفاقدين، المسماة (البرزة) وهي التي تشمل الاموات الذين توفاهم الله خلال العام المنصرم بعد العيد الاخير. لقد سادت في قرية بيت نبالا ايضا عادة تسمى (عويشيرة)، وهي ليلة العاشر من شوال، وهي اعتقاد بأن ملكا في هذه الليلة، يسعسع ويفتش القدور حول افضل اكلة وطبخة، فكان الناس يتسابقون في طبخ الافضل والاحسن. وعلى هذا الاساس، كان من الواجب على كل بيت ان يطبخ اللحم في تلك الليلة لتأكل منها الملائكة وتسعد بها.

زياة المقامات :

اعتاد اهالي فلسطين بمن فيهم اهالي بيت نبالا زيارة المقامات المشهورة في البلاد، مثل مقام النبي صالح في اللد، والنبي روبين جنوب يافا، والنبي موسى قرب اريحا، وغيرها من المقامات العديدة.

وهناك تفسير تاريخي يوضح اعتبارات الحس الجماعي بالرغبة في تجديد الحياة ودعمها من خلال هذه الاحتفالات، ونلمح هذا الجانب من خــلال اســتقرار الاحتفالات الجماهيرية التقليدية بالمزارات وعند اضرحه الاولياء التي كانت تقام لها مواسم دينية شعبية حاشدة. ونذكر انه عندما احيا صلاح الدين الايوبي الاحتفالات بهذه المواسم، فانه كان يقصد من وراء ذلك الى جمع الناس في المناطق الجبليــة والساحل لتحقيق وجود تحشدات عربية اسلامية في ذلك الوقت من العام الذي كان يتدفق فيه على فلسطين الاوروبيين لاغراض الحج وما شابه ذلك. وكان هدفه من وراء تلك الاحتفالات حول اضرحة الاولياء والانبياء، حشد تلك الطاقــة البــشرية كأمر احترازي خشية ممن يبيت نوايا عدوانية. وقد رأينا كيف ان هذه الاغــراض كانت تتجدد بصورة واضحة مع قدوم الغزو الصهيوني، وانتقت الاحتفالات بمواسم دينية تحت مضامين معاصرة، حيث ان الاحتفالات نفسها ومعناها الحرفي ترمــز الى رغبة الانسان في تأكيد القيم الايجابية، واعلان فرحــه بتلــك القــيم، وعلــى العكس، فهي ايضا احتجاج واظهار للحزن في حالت المناسبات التي يخــسر فيهــا الانسان جولة مع الحياة، كتهديد الاوكار بالغزو.

وقد اعتاد اهالي بيت نبالا على زيارة مقام النبي صالح في الرملة في يوم الجمعة الاخيرة في شهر نيسان من كل عام، وقبل ذلك باسبوع كانوا يزورون مقام

النبي كفل الذي يقع بين طيرة دندن ودير طريف، ويشاركون هناك اهالي المنطقة في حلقات الدبكة على انغام الاراغيل والشبابات، ويشترون بعض حاجات الزينة ولهو الاطفال البسيطة. كما كان بعضهم يزور مقامي النبي روبين والنبي موسى. ولكن الزيارة الكبرى لاهل القرية، كانت لمقام النبي صالح، لما تحظى به هذه الزيارات من حب كبير في نفوس الاطفال. وبالرغم من ان هذه الزيارة، في اواخر شهر نيسان، كان يتزامن مع موسم حصاد القمح والشعير، الا ان ثلاث ارباع القرية كانوا يفضلون الزيارة على الحصاد، وكانوا يشدون الرحال قبل بزوع شمس الجمعة، اما مشيا على الاقدام، او ركوبا على الحمير والجمال، او في عربات الخشب التي تجرها الخيول. وعند وصولهم هناك يربطون دوابهم في الكروم المجاورة. وتقول امنة احمد العيشاوي : "بأنه وين ما ضربت عينك في الكروم، بتقول ان عدد الدواب المربوطة في عروق الشجر اكثر من البني آدمين."

وعند المقام يلتقي اهالي بيت نبالا مع اهل القرى والمدن المجاورة، حيث تعقد حلقات التعارف والاكل الجماعي والغناء والمديح والدبكات الشعبية التي تغمر النفوس بالبهجة. وفي غمرة تلك الجمهرة العظيمة، يقوم الناس وخاصة الاطفال بشراء الطبلات والزمامير وقلائد الخرز والخواتم والاساور والنقل والحلاوة المنفوشة وحلاوة القدوم والسمك المقلي والكباب وشراب الخروب والسوس والطابات والفرافير الورقية والخشبية.

وقبيل العصر تهل طلائع الفرق الدينية قادمة من المدن الرئيسية في المنطقة كالرملة واللد تتقدمها البيارق وقرع الطبول والضرب على المصنجات، المسماة في الاوساط الشعبية (العدة والاعلام). وعند وصولها تشرئب الاعناق وتتدحرج الدموع وتتلاطم القلوب في الصدور، وتغلو النفوس وتهبط في سعير من العواطف

الجياشة الممزوجة بالبهجة والايمان. ويتفرج الناس على ابداعات بعض الـشيوخ الخارقة وهم يضربون اجسادهم بالشيش والسيوف. وقد كانت فرقة الـشيخ امـين وهو من بيت نبالا تشارك احيانا في هذه المواسم والمهرجات.

وعند المساء، وقبل ان تأذن الشمس بالمغيب، تتفرق الجموع، ويعود كـل الى قريته بعد ان شحن نفسه بالثقة والتجديد، وينام الاطفال وهم يحلمون وارواحهم تطوف في هالة العمر.



المرأة :

كانت مكانت المرأة في بيت نبالا متدنية جدا اذا ما قيست بمكانة الرجـــل، وذلك لان مهمتها الاساسية محصورة في متعة الرجل والانجاب، والقيام بالاعمـــال الشاقة، عدا عن ضرب حياتها بتعدد الزوجات.

كان غالبية اهل القرية يزوجون بناتهم للشباب او الكهول في سن مبكرة قد تصل في بعض الاحيان ١٢ سنة، دون أخذ رأيها. وكان يحكم واقع هذا الـــزواج، اما صداقة العائلات، او الوضع الاقتصادي، او رغبت الاب فـــي مبادلـــة ابنتـــه بعروس كان مخطط ان يتزوجها او يزوجها لابنه. ومن المألوف جدا ان يتحـــدث رجال القرية من كبار السن، ان امهاتهم قد تزوجن من ابائهم في الماضي دون ان تأتيها العادة الشهرية بسنة او سنتين، او حتى قبل ان تعرف معنى الزيجة. وكانت عادة الحب بين الشباب قبل الزواج غير معروفة، لانهـــا كانـــت تعنـــي الطامـــة الكبرى على رأس الفتاة، والتي قد تؤدي بحياتها احيانا. ولكن هذا لم يكـــن يمنـــع الشباب من رؤيتها يوميا وهي تحمل عسلية الماء فوق رأسها على طريق بير البلد او وهي تعمل مع اهلها في الحقول، او وهي تجمع روث البقر خلف العجال لتعمل امها منه اقراص الجلة. وكان الشاب اذا ما سمع من اهله بأنهم يريدون ان يخطبوا له بنت فلان من الناس، فانه كان ينهال ضربا على دابته على مرأى من تلك الفتاة اذا ما رآها تحصد مع اهلها ليلفت انتباهها في الطريق ليريها قوته وجبروتـــه، او يقوم بالدق على الشبابة او الارغول اثناء الرعـــي، او بالغنـــاء ورقـــص الدبكـــة خصوصا اذا ما كان يزين فمه سن الذهب. كما كان يشبب بالحطة والعقال لتـــراه في الطريق، او يقوم بعرض خدماته على اهلها في اوقاتهم العصيبة.

لقد كان الزواج في الماضي قبل ان يتحسن الوضع الاقتصادي للفلاح النبالي يتم في الغالب بطريق البدل، فاما ان يبادل الاخ باخته، او الاب بابنتــه ليحــضر ضرة الى امها. ولكن عندما كثرت العملة في ايادي اهل القرية نتيجة للعمــل فــي الكمب، او مردود الكسارات، اصبح الزواج يتم في الغالب عن طريق دفع المهــر، الذي كانت تتراوح قيمته قبل الرحيل من ٧٠-٨٠ جنيها فلــسطينبيا، التــي كــان يقبضها والدها مهرا لابنته بعد ان يقتطع من هذا المبلغ ثمن صــندوقها وفرشــتها ولحافها ومخدتها وملابس عرسها.

ولقد فرضة الظروف احيانا على بعض الرجال ان يجمعوا في بيوتهم اكثر من زوجة، وذلك من اجل العمل في الزراعة، او حبا فــي مبادلــة العــرائس، او زواج الاخ من ارملة اخيه الذي قضى نحبه في حروب الاتراك المتعــددة. وقــد تأصل حب تعدد الزوجات بين رجال القرية حتى اصبح عادة راسخة، وبالرغم من زيادة عدد الاناث الطبيعي على عدد الذكور الا انه لم تبق انثى واحدة في القريــة دون زواج، بل وكانت تحدث زيجات من نساء من القرى المجاورة خاصــة فــي سنوات القحط حيث دفع مهور بعضهن مسحة قمح او ذرة فقط، والمــسحة هــي خمسة ارطال او ١٥ كغم.

اما عادة الطلاق، فكانت شبه معدومة بل ومحرمــة عنــد اهــل القريــة، وبالرغم من الخلافات الزوجية التي تقع، والتي كانت تحسم في الغالب بخــضوع المرأة لزوجها او لاسرته. وتقول غالبية النساء الكبيرات في الــسن، بــانهن كــن محكومات للزوج والحمى والحماة، وقد كان مباحا لاحد افراد العائلة من الرجال ان يقوم بتأنيب وتأديب نساء الاسرة، كما كان بعض الازواج يتفرجون على عــراك نسائهم في باحة الحوش او الحارة كما يتفرج انسان هذا العصر على مبارزة الديكة،

كان الرجل اذا ما تدخل لفض النزاع بين زوجاته، فانه يضرب الظالمة والمظلومة على حد سواء. ولا يزال كبار السن يتفاخرون حتى ايامنا هذه بأن الواحد منهم كان يفرض سلطته وهيبته على نساء الحمولة، ويأسف البعض منهم على هذا العــصر الذي لم يعد له سلطان على بنات اقاربه، او حتى علــى بناتــه خــصوصا بعــد زواجهن.

لم يكن للمرأة في بيت نبالا نصيب من الارث الذي انزله الله في شــرعه الاسلامي، وقد توطنت هذه العادة في القرية حتى اصبحت في مرتبة العيــب فــي اوساط النساء انفسهن، اذا ما طلبت احداهن بنصيبها من ارث ابيها بعد زواجهــا، لانها قد توصف بأنها باعت اهلها واطعمتهم الى اهل زوجها، خاصة وان المــرأة النبالية كانت معروفة بشدة تعلقها باهلها بعد زواجها، في اسرة اخــرى. وكانــت المسبة التي تصيب اخاها الميت او اباها او امها تؤلمها كثيــرا، وتــستميت فــي مواجهة من قذفها تلك المسبة، مثل (يحرق اللي مــات وخــصك) او (حــم مــات وخصك). وكان ينظر للمرأة من الناحية الاجتماعية عند الزواج، بانها انتقلت مــن كومة في اسرتها الى كومة اخرى في اسرة زوجها، حيث تمارس جميع الاعمــال الشاقة المنوطة بنساء القرية خاصة الاعمال الزراعية. ولا تعرف زوجها الى عند المنام فقط.

اما في مجال العمل، فكانت الفتات النبالية تفتح عيناها على شقاء والدتها في العمل المنزلي والاعمال الشاقة الاخرى، فترث هذا الشقاء عنها سواء فــي بيــت والدها او في بيت زوجها، فكانت في ايام الصيف تحمل سرير وليدها على رأسها في الاسبوع الاول لوضعها، وتقطع به مسافات طويلة مشيا حافية القــدمين عبــر السهول، فوق صماطات رمال الطرقات الملتهبة بفعل حــرارة الــشمس، لتلحــق

بالحصادين من افراد الاسرة، تحمل بين يديها الماء والطعام لهم بعد ان تكون قد اتمت عملها المنزلي في الصباح من عجين وخبيز وتزبيل الطابون، وتنظيف قاع البيت من روث البقر وجمعه في السل وحمله على رأسها لتلقي بمحتوياته على مزبلة العائلة في اطراف القرية، واحضار الماء من بير البلد او من بيارات اهالي قرية دير طريف اذا شحت مياه هذا البير. كما كانت تقوم بعمل اقرص الجلة وصناعة الطوابين وكوانين النار والمواقد والخوابي ومقاعد الاباريق ومداود البقر من طين الحور المجبول بالقصول، وجمع الحطب والنتش وطراشة البيت واعادة ترميمه وغربلة القمح والعدس وجرش بعض الحبوب على الطاحونة (الرحى)، والعناية بالمقاثي، واطعام المواشي، وجني الثمار وخاصة التين والصبر، ونظافة الاولاد وغسل الملابس من مياه ابار الجمع القديمة الموجودة في الحقول، حيث كانت تأخذ اولادها وملابسهم المتسخة وتسير بهم نحو الابار الى مسافات بعيدة، وتنشل الماء من البئر، ثم تجمع الحطب وتسخن الماء وتحمم اطفالها وتغسل ملابسهم بالصابون الذي كان معروفا لاهل القرية منذ القدم بسبب توفر الزيت الذي يدخل في صناعته، كما كانت تشارك في جمع الزيتون في موسم الجداد لفترة طويلة، وتعتني باطفالها، وتأخذ المريض منهم الى اللد او الرملة لمعالجته عند الاطباء مشيا على الاقدام او على ظهر دابة.

وكانت المرأة في فصل الربيع تقوم بجمع البقول البرية الصالحة للطبخ من النوادرة والحقول المحيطة بالقرية مثل الخبيزة والبقيليه ورجل العصفور والهندبة والعكوب ولسان الثور واللوف والزعموط. كما كانت تسرح قبل بزوغ الفجر الى اراضي قبية ورنتيس وبدرس لاحضار الحشائش داخل اكياس كبيرة لاطعام البقر، لان عمر الحشيش في تلال هذه القرى اطول عمرا من سهول بيت نبالا بسبب ارتفاعها اكثر عن سطح البحر. وقد كان نواطير هذه القرى يمنعون النساء في

كثير من الاحيان من الحش من اراضيهم، ولكن النساء النباليات كن يقـدمن لهـم الرشوات المتواضعة مثل الدخان، وقد كان بعضهم يحجز اساور المـرأة الفـضية كرهن حتى تأتيه في اليوم الثاني بقليل من الدخان الذي اشتهرت القرية بزراعته في حواكيرها.

لقد كانت المرأة النبالية تخص نفسها بوقت قصير من يومها لتخلع وقاتهـا الثقيلة عن رأسها في قاع الدار لتمشط شعرها الذي تهدل على وجهها مـن كثـرة الاحمال عليه، لتعيد لف جدائلها وترتيبها من جديد، ثم لا يفوتها بعد ذلك ان تقـوم بتكحيل عينيها. وكانت عيون النساء والعجائز لا تخلو من الكحل اثناء النهار، وقد تندر بعض رجال القرى المجاورة بعجائز بيت نبالا اللواتي كن يتمددن في الازقة الضيقة في ظل الجدران اثناء فصل الصيف، ويرحن فـي غفـوات تعقـب شـم الزعوط، واذا ما قال عابر سبيل : دستورك يا خالة، خليني امر. تجيبـه : افـشق عني يا بني، فانت مثل اولادي.

اما عند الولادة، فكانت المرأة النبالية لا تعرف المستشفيات اطلاقـا، بـل كانت تقوم بقبالتها الداية، واذا ماتت المرأة نتيجة لخلل في عملية الولادة، يقولون : انها ماتت على الجورة. وكان لا ينظرالى المرأة على ان عليها ان تـستريح قبـل المولد بشهر او اسابيع، بل عليها العمل حتى يفاجئها الم المخـاض وارهاصـات الولادة، وكان على المرأة بعد ذلك ان تتدبر امرها مع المولـود وحـدها، ولـيس للرجال شأن في ذلك سوى الفرح خاصة اذا كان المولود ذكرا. وكانت الام وبعـد ايام قليلة من ولادتها تحمل مولودها الى الحقول لتأخذ مكانها في الاعمال الشاقة مع بقية افراد الاسرة، وتعود له بعد كل حين لترضعه من حليبها الملتهب وضـرعها المعروق، فيصيبه الاسهال الذي كان يودي بحياته في كثير من الاحيان.

كان هذا هو وضع المرأة في بيت نبالا، عمل وعمل دون توقف على مدار اليوم كله، بل وعلى مدار العام كله، ذلك الـــروتين القاتـــل، والمجهـــود الجبـــار بالصيف والشتاء، فانك تجد العطاء والعمل بصمت، وانجاز المهمات، وكل ذلك يتم بدقة متناهية. وابناء القرية اليوم يعضون على اناملهم على تلـــك الايـــام وخبـــز الطابون والمنسف والمسخن واللحم المشوي في ساس الطابون والمطبق والزلابيـــة والهيطلية والبحتية، التي استبدلت هذه الايام بالبيتزا والكيك التي يتناولهـــا اطفـــال القرية في متاهات الضياع والغربة تحت حراب القلق على ارض الشتات.



الفصل الخامس

الرحيل



الفصل الخامس

الرحيل

احتلال بيت نبالا :

على اثر القتال الذي نشب بين العرب واليهود في فلسطين، فقد عقدت اول هدنة بين الطرفين، تبدأ في الساعة الثامنة (بالتوقيت المحلي) من صباح يوم الجمعة الموافق ١٩٤٨/٦/١١، ولمدة اربعة اسابيع. وقد كانت النية تقـوم عنـد الـدول العربية على عدم تجديدها عند انقضاء المدة، وهو موقف كان يعني العـودة الـى القتال، وعاد الطرفان مرة اخرى يحتكمان الى السلاح، مع فارق مهم جدا، وهـو اتخاذ العرب خطة الدفاع، واتخاذ اليهود خطة الهجوم، وقد كانت تقـع اختراقـات لهذه الهدنة بين الطرفين هنا وهناك، ومن ضمنها الطائرة اليهودية التي القت قنابلها على قرنة الارنب شمال القرية، على مرأى من سكانها صباح يوم السبت الموافق ١٩٤٨/٧/٣، أي قبل انتهاء مدة الهدنة بستة ايام، والتي من المفروض ان تنتهـي في الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة ١٩٤٨/٧/٩. وكان اهل القرية خلال ايام الهدنة يعيشون في حالة من اليقظة القصوى والترقب القاتل، وهم يجتـرون مـع المهاجرين اليها من القرى المحتلة قصص الفظائع التي ارتكبها اليهود بحقهم.

لقد كانت بيت نبالا واللد والرملة اثناء فترة الهدنة الاولى تقع ضمن ثغـرة مفتوحة عسكريا امام اليهود، تمتد على مسافة ١٥ ميلا بين ميمنة الجيش الاردنـي في اللطرون، وميسرة الجيش العراقي في مجدل يابا وكفر قاسم، ولم يكـن يـدافع

عن تلك الثغرة سوى المناضلين العرب والمسلحين من اهل البلد. وكانت القيادة الاردنية تملك بعض الدلائل، على ان اليهود سيهاجمون تلك الثغرة عند انتهاء الهدنة، ويظهر ان الوقوف في وجه العدو اذا هاجمها كانت تراود اذهان المسؤولين في تلك القيادة. ففي اثناء الهدنة، استدعى قائد الفرقة التابعة لها الكتيبة الاولى المرابطة في اللطرون، كلا من وكيل القوة، علي الحياري والملازم الاول صالح الشرع، وكلفها باعداد الترتيبات لتأليف الكتيبة الخامسة لكي تحمل محل الكتيبة الاولى التي وقع عليها الاختيار لان تكون احتياطيا وسريعة الحركة لسد الثغرات. وكان مما قاله لهما اذا ما اسؤنف القتال، فان الكتيبة الاولى ستقوم باحتلال مستعمرتي ريشون ورحبوت من اجل حماية اللد والرملة، لان المصريين لم يتقدموا شمالا بما فيه الكفاية [١] ، وقد كان المصريون اثناء ذلك في عرطوف. وعندما بدأ القتال، كانت الكتيبة الاولى تشكل الاحتياط الوحيد للجيش الاردني باجمعه، وقررت القيادة نشر تلك الكتيبة في سلسلة التلال الوعرة الى الشرق من اللد والرملة، وصد الامر لها قبل استئناف القتال ان تتحرك الى اراضي قرية دورة القرع على طريق رام الله – نابلس، للوقوف هناك استعدادا للطواريء، ولكنها بعد ان بقيت هناك ثلاث ايام، تلقت امرا اخر بالتحرك الى موقع الجفتلك في الجانب الغربي من وادي الاردن لسد المنافذ امام قوة يهودية تنوي التقدم من بيسان باتجاه الجنوب، ولقد دار جدل حول تلك الحركة : هل كانت تقوم على اسباب حقيقية، ام على ذرائع زائفة، وهل كان لها ما يبررها ؟؟ [٢] . لقد اثارت حركة الكتيبة الاولى الى الجفتلك في تلك الفترة الحرجة استغرابا شديدا، بل تحول الاستغراب عند البعض الى حملة اتهامات، بعد ان تبين عدم صحة المعلومات التي تحركت الكتيبة بسببها [٣] . وهنا لابد من القول بان قيادة الكتيبة كانت منذ ٣٠ ايار بيد وكيل القائد روبرت ملفل ومساعده وكيل القائد كارتر. وعندما انتهت الهدنة، استؤنف القتال صباح يوم ٩ تموز، وكانت اول بادرة من بوادر تحركات العدو،

ان كتيبتين مدرعتين من قواته قامتا بالهجوم على بيت نبالا ودير طريف والكمب، مما اضطر المدافعين عنهما الى الانسحاب، وعندها بادرت قيادة الفرقة الى اصدار الاوامر الى الكتيبة الاولى للعمل على مواجهة تقد العدو، وسرعان ما تحركت القوة التالية نحو القريتين بقيادة مساعدي الكتيبة.

- سرية المدرعات بقيادة الملازم حمد عبد الله ابو دخينة.
- سرية المشاة الثالثة بقيادة الملازم عبد الله فلاح
- بطارية مدافع الهاون الثقيلة بقيادة الرئيس احمد ارسلان.

فوصلت بيت نبالا في الساعة الثالثة بعد الظهر يوم الجمعة الموافق ١٩٤٨/٧/٩. والواقع انه لم تتحرك الى بيت نبالا سوى سرية المدرعات وسرية المشاة فقط، وفي اثناء الليل، اخذت هذه القوة مواقعها قبالة مواقع العدو الى الشرق من القريتين، وفي الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي (السبت ١٠ تموز) قامت سرية المشاة بالهجوم مع مساعدة مدافع المدرعات، وتوافرت للهجوم عناصر المباغتة والسرعه والاقدام، فتم الاستيلاء على القريتين والكمب، واضطر العدو الى الانسحاب بعد ان تكبد جملة خسائر، ولكن في اثناء الهجوم توغلت بعض المدرعات في خطوط العدو وسقطت احداها في حفرة، وتعذر سحبها لشدة كثافة نار العدو، فبقيت في موضعها (وهذه هي المدرعة التي ذكر موشيه دايان ان كتيبته اغتنمتها). وفي هذه المعركة قتل الشهيد مصطفى موسى الرطانة.

كان الموقع الذي استعادته القوة الاردنية ذا اهمية استراتيجية، فهو يقع على مسافة اربعة كيلومترات فقط الى الشرق من اللد، ولا يبعد سوى عشرة كيلومترات عن مجدل يابا، حيث يتمركز العراقيون، كما يمر منه تقاطع طرق حيوية. قضت القوة الاردنية ذلك اليوم في مواقعها الجديدة، بينما اخذ اهل القريتين يعودون الى

منازلهم ليس بقصد الاستقرار وانما لاخذ ما يستطيعون حمله من تموين وفراش من بيوتهم التي غادروها. وفي ظهر اليوم التالي (الاحد ١١ تموز) وصل الى الموقع رجل على ظهر جواد وهو يحمل معه انباء دخول اليهود الى مدينة اللد. عندئذ اصدر كارتر امرا للملازم ابو دخينة بأن يتحرك باتجاه المدينة لاستكشاف الوضع، وحذره من المخاطرة والتوغل في خطوط العدو. كان الوقت عصرا، فمضى ابو دخينة مع ثلاث مدرعات باتجاه الغرب، ولكن ذلك الرجل الثابت الجنان، القوي المراس، لم يشأ ان يتقيد حرفيا بتعليمات مساعد قائد الكتيبة، بل شق طريقة من جانب مستعمرة بن شيمن، وعندما وصل الى اطراف اللد، بادر الى الاشتباك مع قوات العد، ثم دخل الى الجانب الغربي من المدينة وهو يشاغل العدو ببسالة فائقة واندفاع، حتى تمكن من تشتيت عدة وحدات اسرائيلية. الا ان حمد لم يلبث ان لاحظ مصفحات العدو وسياراته المسلحة وهي تتحرك لقطع طريق العودة عليه، فعمد الى الانسحاب بعد ان استقين ان العدو يتمركز هناك بقوات كبيرة. وهكذا شق طريقه عائدا الى مركز وحدته في بيت نبالا.

بعد ان تمت للعدو السيطرة على اللد والرملة مساء يوم الاحد ١١ تموز، اخذت قواته تتجه نحو الشرق باتجاه التلال المرتفعة للاستيلاء على مزيد من المواقع. وكان في طليعة اهداف العو احتلال قريتي دير طريف وبيت نبالا. وعلى هذا، ففي صبح يوم الاثنين ١٢ تموز، قامت قوة تتألف من كتيبة مشاة تدعمها سرية مدرعات (مجنزرة مكشوفة عليها رشاشات)، بالهجوم على المواقع الاردنية. ونشبت معركة حامية بين الطرفين. وصمدت القوة الاردنية، واضطر العدو الى التراجع بعد ان تم تدمير ثلاث من مدرعاته واغتنام اخرى بالاضافة الى مدفع عيار ١٧ رطلا واربعة رشاشات.

على ان المعلومات التي توافرت لدى قائد القوات الاردنية، جعلته يعتقد ان العدو لن يلبث ان يعود للهجوم بقوة اكبر، بعد ان تمت له السيطرة على اللد والرملة، وان القوة الاردنية الصغيرة، ستتعرض لاخطار جسيمة اذا بقيت في مواقعها- المنخفضة نسبيا- خصوصا ان بقية سرايا الكتيبة كانت قد تحركت بعيدا الى غور الجفتلك في وادي الاردن. لهذه الاسباب قرر ان تخلي القوة مكانها وتتراجع الى التلال المرتفعة غربي قرية دير قديس، على مسافة كيلومترين الى الشرق تقريبا. ومع غروب الشمس ذلك اليوم تمت عمليت الانسحاب.

وفي صباح اليوم التالي تقدم العدو نحو بيت نبالا ودير طريف فاكتشف انهما خاليتان، فعاد التمركز فيهما، ولكنه لم يتقدم لمهاجمة القوة الاردنية في مواقعها الجديدة.

الرحيل :

قبل رحيل اهالي بيت نبالا عن بلدتهم بعد اشهر كانت اعداد كبيرة من النازحين من اهالي العباسية وكفرعانة وسلمة والخيرية وغيرها من القرى قد وصلت بيت نبالا هاربين من قراهم حيث نزلوا ضيوفا على اهل البلدة، وكان هؤلاء يحملون معهم خبر الارهاب والترويع الصهيوني من قتل ودمار وذبح بالسلاح الابيض وبقر بطون الحوامل واطلاق الرصاص على الشباب العزل من السلاح بالجملة. وفي صباح يوم السبت ١٩٤٨/٧/٣ قامت طائرة اسرائيلية من مخلفات الجيش البريطاني باسقاط قنبلتين (كيزانين)، على قرنة الارنب بالقرب من جبل النقارة الذي يقع شمال القرية، وخلفت الرعب في نفوس اهلها، وقد شاهدتها بأم عيني،وهي تلمع في سماء القرية على ارتفاع منخفض تحت اشعة الشمس صباح يوم السبت الموافق ١٩٤٨/٧/٣، وهو اول يوم من شهر رمضان في ذلك العام. وقد اشار اليها المرحوم خليل كايد حسين، في قصيدته الزجلية، التي كتبها في نفس الشهر تحت زيتون قرب بدرس، والتي مطلعها :

يوم السبت، من الصباح	*اجتنا طيارة بجناح*
والكل منا مرتاح	*ضربتنا الضرب الاليم*
اجانا صايح من الشمال	*شفناهم بأعلى الجبال*
قلنا : ايش الخبر يا رجال ؟	*ردوا علينا بتجهيم*

وبدأ النازحون الضيوف الى القرية بالرحيل عنها باعتبار انه لا تربطهم بها سوى الملاذ الامن الذي داهمه الخطر، فكان ذلك سببا رئيسيا من اسباب زعزعة اهل القرية الذين بدأوا يستعدون للرحيل اسوة بالضيوف النازحين، حيث بدأ التحضير

بالشد على عربات الخشب التي تجرها الخيول وتحيمل الاغراض الضرورية جــدا لهم قاصدين بدرس القريبة منهم على امل ان يزول الخطر ويعودوا الـــى بيـــوتهم في القريب العاجل على غرار ما كان يجري سابقا عندما يأتي الغزاة الى فلسطين، وحيث ما زال في الذاكرة الرحيل الى مدينة اللد عندما هزمت الجيوش العثمانية امام الانجليز في اواخر الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٧. وقد حاول بعض الوجهـــاء الواعين من القرية ثني الناس عن عزمهم في الرحيـــل امثـــال المختـــار ســـليمان مصطفى سليمان الذي قام بالطواف بين الناس يدعوهم للثبات في بيوتهم، وقد تدخل شخصيا في تشغيل بعض المرافق الحيوية قي القرية فقام بتدوير بابور الطحين وفتح الفرن لمزاولة اعماله، لكن الرعب والجهل كانا اقوى من ارادته، فغـــادر النـــاس القرية مشيا على الاقدام او على ظهور الدواب وعربات الخشب والسيارات المعدودة التي تعود لجمعة كاملة واحمد علي فرحة ومحمود ابو حسنية، حيث استقر بعضهم في اراضي القرية من الجهة الشرقية على بعد ٣كم ووصل بعضهم الى قريةبدرس وقبية وشقبة. وسكنوا تحت اشجار الزيتون ينامون ويأكلون مـــا يخبزنـــوه علـــى الصاج. وقد ابى بعض الناس مغادرة القرية مثل الحاج يوسف خليل مخلوف الذي لم يخرج منها الا بعد اسبوع. وفي يوم السبت ١٩٤٨/٧/١٠، سقطت قريـــة ديـــر طريف القريبة، وعلى اثر ذلك قام اليهود باحتلال التلال الشمالية المشرفة على بيت نبالا، وخاصة جبل النقارة، وصاروا يقومون من هنـــاك باعمـــال القـــنص ضـــد المسلحين العرب المتواجدين في القرية. وفي نفس اليوم، عبرت قرية بدرس ارتال من مصفحات الكتيبة الاولى التابعة للجيش العربي، وخرجت من القريـــة باتجـــاه الغرب، على مشهد من اهالي بيت نبالا والنازحين من القرى المجاورة، الجـــاثمين على جنبات الطريق، وقد استقبلت هذه الكتيبة من قبل الامهات والعجائز بالتهليـــل والزغاريد المنطلقة من الالسنة الجافة، والقلوب الكسيرة، المتلهفة للحق والنـــصر، وتمركزت هذه القوة في عروض زبن من ارض القرية، الذي يقـــع شـــرق راس

الاقرع بحوالي كم واحد. وعلى التو أخذ بعض الضباط بالاستفسار من اهالي القرية المتواجدين تحت اشجار الزيتون في ارض الحبايل، ملك سليمان امنة، عن مكان تمركز اليهود في جبل النقارة، بصفتهم من اهل البلد، ويعرفون طبيعتها جيدا، وقد تبرع كل من احمد ذيب عبد الكريم العبد، ومحمود شنين، وعلي الشايب بمرافقة حوالي ثلاثين جنديا مشاة بكامل اسلحتهم وذخائرهم، وانضم اليهم بعض المسلحين العرب المتواجدين في القرية من ابناء القرى المجاورة، وعند الساعة الرابعة من صباح يوم الاحد ١٩٤٨/٧/١١، تسلل الجميع بمحاذات القرية من الجهة الشمالية، حتى وصلوا تعميرة ابو بكر المزروعة بالتين والزيتون في اسفل جبل النقارة من الجهة الجنوبية الشرقية، وقد تواروا عن اعين اليهود تحت باطن الجبل الكثيف بالاشجار. وكان معهم "برنات" عدد ٢، وقام قائد السرية بتقسيمهم الى مجموعتين، المجموعة الاولى، للرماية، والمجموعة الثانية لتعبئة الذخيرة، ثم تسللوا بعدها الى ظهر جبل النقارة من الجهة الشرقية، وباغتوا اليهود المستحكمين وراء الصخور وداخل المغر من الخلف، وفي الوقت الذي بدأت فيه المصفحات الاردنية باطلاق القذائف على كل دبابة يهودية تطل برأسها من رأس سحيلة دير طريف، واثر هذه المعركة انسحب اليهود نحو الغرب باتجاه الهلمة، مخلفين ورائهم بعض الاسلحة التي غنمها العرب. وقد استشهد في المعركة المرحوم مصطفى موسى الرطانة في موقع الكسارات (الطرنشة)، الذي ما ان رفع بندقيته ليطلق النار على احد اليهود، حتى فاجئه اخر بطلقة اخترقت رأسه عبر تجويف عينه. وفي مساء ذلك اليوم سقطت اللد بيد اليهود.

وفي يوم الاثنين ١٩٤٨/٧/١٢، تراجعت القوة الاردنية نحو طريق بدرس الى الشرق من القرية، مما ادى الى سقوطها استراتيجيا مرة اخرى، بالرغم من بقاء المسلحين من ابناء البلد فيها. وقد ساعدت الهدنة الموقعة بين الطرفين

الاردني واليهودي ١٩٤٨/٧/١٥ اليهـود فـي تثبيـت اقـدامهم فـي المنطقـة، واصبحت القرية بمعظمها من ضمن الاراضي المحتلة، كما اعتبرت اجزاء كبيـرة من اراضيها الشرقية من ضمن منطقة الحرام بين العرب واليهود، حتى ان حـسن غانم زوجة الحاج كايد حسين، كانت تدخل هذه المناطق لعدة سنوات فـي مواسـم قطاف الزيتون لجني الثمار من ارض زوجها المرحوم والمحاذية لاراضي قريـة بدرس.

طغى اليأس بعد الهدنة على بقية الامل في نفوس اهـل القريـة بـالعودة، واخذت كل اسرة تفكر في ايجاد مستقر لها في احدى القـرى القريبـة، وتـوزع معظمهم في قرية بدرس وشقبة وقبية ورنتيس ونعلين ودير عمار وبيت اللـو وام صفا وبير زيت وكوبر وابو اشخيدم وبرهام وجلجيليا وكفر عين وقراوة.

وبالرغم مما تقدم ذكره، فلا بد من الاشارة، الى ان دور اهالي بيت نبـالا النضالي في مقاعرة اليهود، حيث اعتبر اهاليها رمزا من رمـز المـساعدة فـي القطاع الاوسط من المنطقة الوسطى التي اشرف عليها الشيخ حسن سلامة، كمـا شارك شبابها وشيبها في اغلب النجدات والمعارك التي دارت في المنطقة، وخاصة معارك وادي الصرار وسلمة والهملة وراس العين والعباسية، كما عـرف عـنهم التزامهم الوطني، ودورهم القيادي في حماية ارضهم وديارهم. ومن بين المعـارك التي وجد لها انعكاسا في الصحف الهجوم الذي حدث على قافلة يهودية قرب بيت نبالا بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١٦ سقط على اثره عدد من القتلى اليهود خريجي مدارس عالية وكليات صـناعية وهندسـية كمـا اشـارت صـحيفة فلـسطين بتـاريخ ١٩٤٨/١٢/١٧. ويروي ايضا احد ابناء القرية، الذي عمل مـع حـسن سـلامة،

وهو هاشم محمد خداش، المعروف باسم هاشم السيد، الذي كان يعتبر من عتاولة المتسللين بعد الرحيل حتى عام ١٩٦٢ عن جوانب اخرى من دور بيت نبالا حيث قال : مع نهاية الحرب العالمية الثانية، جائت طائرة المانية تقل الشيخ حسن سلامة برفقته ضابط الماني، وانزلت الاثنين بالباراشوت في منطقة اريحا، كسرت على اثرها ساق حسن سلامة، وحمله الضابط الالماني على ظهره الى اطراف قرية دير دبوان، واقعده في مغارة، ثم اوعز حسن سلامة للالماني ان يذهب الى البيرة وحمله ورقة الى مختارها. وقد صادف الضابط الالماني في طريقه راعي غنم، وتبادل معه الملابس، وكان الاماني يتكلم العربية جيدا، لانه كان من سكان الهلمة (ويلهام) في فلسطين سابقا، وعندما علم مختار البيرة عن مكان وجود حسن سلامة، اخذ معه دابة، واحضره معه الى داره في البيرة، وبعها واصل الالماني مسيره الى قرية قولية بلدة حسن سلامة، واخبر والده عن وجوده في البيرة وبحوزته كمية من الذهب، حيث كانت المانيا تشرف على تدريب بعض الفلسطينيين في اراضيها لمساعدتهم ضد الانجليز واليهود، وعندما علم والد حسن سلامة بالخبر، حضر فورا الى عند حسين خليل عيدة في بيت نبالا ومنها بدأ بالدعوة لجمع وتنظيم الثوار من اهل البلاد المجاورة مثل السعيد حمودة من دير طريف، والحاج محمود درويش من العباسية، علاوة على اهل القرية. بعد ذلك قام بشراء السلاح عن طريق بدو السبع الذين كانوا يقيمون بتهريبه عن طريق مصر من مخلفات معركة، العلمين في ليبيا. وقد وزع على القرية حوالي ١٠٠ بندقية، بواقع ٢٥ جنيها لكل بندقية ذلك دعما للثوار، علما ان البندقية الواحدة كانت تساوي في ذلك الوقت ١١٠ جنيها.

يضيف هاشم السيد، نقلا على لسان حسن سـلامة : ان رفيقـه الامـاني كان قد اطلق النار على زوجته واولاده قبل مغادرة المانيا حين سقوطها بيد الحلفاء خوفا من اغتصاب الحلفاء النساء الالمانيات.

لقد التف الكثيرون من رجال القرية حول قيادة حسن سلامة، فـيهم كبـار السن نذكر منهم، حسين خليل عيدة، والسعيد حسن عثمان الذي اصـيب بجـروح بالغة في احد المعارك، وكان هذا يمتلك بندقية يفتخر بها كثيرا امام اهل القريـة، وكثيرا ما كان يجلس على كرسي في قهوة عيسى احمد الحاج على ساحة المطامير ويضع بندقيته امامه على كرسي اخر، يتابع اخبار المناوشات بين العرب واليهود، وكثيرا ما كان ينيب عنه لنجدة القرى المحاصرة خدامه سالم القبـاوي باعطائـه بندقيته، وعندما تكررت انابته لسالم عدة مرات، قال له احد المازحين مـن اهـل القرية : الظاهر انك يا حاج سعيد ستحارب حتى اخر قطرة في دم سالم.

ان دولة اليهود ما كانت لتصبح ممكنة لو لم يرحل عن الارض اصـحابها الفلسطينيون، ولو بقي الناس متشبثين بجذورهم، غير هايبين من المجـازر التـي وقعت هنا وهناك لتحولت الحرب في البلاد الى ما يشبه الحرب الاهلية بين شعبين متداخلين بعضهما مع بعض، ولمنعت هذه الحرب الاهلية اعدادا كبيرة من اليهـود من القدوم الى فلسطين، بل وربما كانت سببا في مغادرة الكثير منهم ارض فلسطين ممن ليس لهم القدرة على العيش في جحيم المعارك اليومية. الا ان تفريغ الارض من اصحابها الاصليين، جعلت الحركة الصهيونية تغتنم فرصـتها لتجـسيد دولـة اليهود على الارض الفلسطينية، بعد ان اعطـاهم قـرار تقـسيم فلـسطين فـي ١٩٤٧/١١/٢٩ الحق باقامت دولتهم، مما اتاح لهم الفرصة لبناء مجتمع متكامل في جوانبه العسكرية والمالية والاقتصادية والاجتماعية.

التسلل :

على ثر اعلان الهدنة بين العرب واليهود، وانسحاب السرية الاردنية من البلدة شرقا نحو قرية بدرس، لم يبق في القرية الا بعض الناس الذين ابت عليهم نفوسهم مغادرتها، مثل الحاج يوسف خليل عيدة، وموسى الرطانة الذي لم يستطع الابتعاد عن قبر ابنه مصطفى الذي كان يجلس عند رأسه ساعات طويلة في باحة مسجد السلطان عبد القادر، كما بقي في القرية بعض المسنين والعجزة ممن لم يستطع ذووهم حملهم معهم يوم الرحيل على امل العودة اليهم حال زوال الخطر، اضافة الى بعض المسلحين الذين كانوا يجوبون البيوت والحارات بعد ان هدمت عزيمتهم اثر تراجع الجيش الاردني وعقد الهدنة، فتحول اهتمامهم الى حمل ما يستطيعون حمله من اثاث واغراض الى عائلاتهم في ديار الغربة لعلها تخفف من معاناتهم. وبعد حوالي اسبوع من الرحيل نزل اليهود من جبل النقارة والتلال المحيطة بالقرية فدخلوا شوارعها على شكل دوريات لتمشيطها، لكن الناس المتواجدين فيها كانوا يختبئون داخل البيوت التلاصقة والتي يصعب تفتيشها من قبل جيش يدخلها لاول مرة تحسبا من مفاجآت متوقعة وبسبب طبعية بناء بيوتها القديمة وتقسيماتها من الداخل التي تحتوي عادة في الداخل على زرائب الدواب تحت المصاطب وقاع البيت وقطع التبن والتي تفصل بين هذه الاقسام خوابي القمح ومقاعد الاباريق والجرار، هذا عدا عن وجود الظلمة داخل البيوت اثناء النهار لعدم وجود نوافذ واسعة في جدرانها. وكان هؤلاء يسمعون من مخابئهم رطانة اليهود وهم يجوبون شوارع القرية خارج البيوت. ولكن وفي النهاية تسللت هذه البقية والتحقت بعائلاتها في قرية بدرس وقبية وشبتين ونعلين ورنتيس وشقبة.

بعد حوالي اسبوعين فقد اهل القرية الذين اتخذوا من كروم الزيتون التابعة للقرى انفة الذكر مستقرا لهم تحت العراء الامل في العودة الى بيت نبالا بعد ان تركوا ورائهم كل ما يملكون. ووجدوا امامهم حياة قاسية بعد ان القت الحرب بظلالها على مجمل الحال في فلسطين. وادركوا انه من غير الممكن بقائهم وعيالهم عالة على القرى التي يعبرونها، حيث لا عمل هناك، ولا شيء يملكونه ينفع او يصلح للبيع للانتفاع بثمنه لتأمين ادنى مستوى من القوت اليومي لهم ولعائلاتهم. فجميع هذه العوامل شكلت حافزا قويا واضطراريا لبعض الرجال كي يتسللوا الى قريتهم لاحضار اغراضهم وفراشهم وبعض من مؤونتهم التي كانت مخزونة في بيوتهم كالقمح والزيت والذرة. فكان اول من فتح باب التسلل الى القرية قدورة محمود الحاج والزرعي، وبعد ذلك تبعهم ناس كثيرون، حتى ان اهل القرى المجاورة التي عبروها انخرطوا في هذا العمل الخطير على حياتهم، وقد قام بعضهم بالتسلل عدة مرات وذلك باستخدام الدواب للاحمال الثقيلة.

ويقول السيد محمد ذيب عبد الكريم العبد : لقد قمت بالتسلل سبع مرات، ولكن في المرة الاخيرة تم القبض علينا بالقرب من معمل شيد مصطفى طه الذي يقع على بعد كيلو متر واحد شرق القرية، وكنا حوالي ٩٠رجلا وثلاث نساء، منهن اثنتين من قرية السافرية وواحدة من بيت نبالا، حيث كمن لنا اليهود عند منعطف في الوادي الشامي من الجهة الشرقية، وصاروا يلقون القبض علينا واحدا واحدا بعد مباغتتنا عند المنعطف المخفي، ويجلسوننا في مكان واحد تحت الحراسة. وبعد ان انتهوا من اسرنا اخذونا الى مغارة في دير طريف تسمى مغارة الزفسفية، وقاموا بتقشيطنا من ساعات اليد والمصاري وكا ما نملك من اشياء، ثم اخذونا الى كمب بيت نبالا وحشرونا في عنبر السلاح سبعة ايام كانوا يقدمون لنا البطاطا المدودة كطعام، وكنا نشرب من مياه البرك العادمة التي كان الانجليز في الكمب

يصنعون فيها الكرميد، وكان طعمها قلويا مشبعا بالجير والتي ان وضعت على جلد الثور فان شعره يتساقط من شدة قلويتها. وبعد ذلك اخذونا الى كمب البنات الـذي يطلق عليه اسم كمب الاميركان والقريب من مطار اللد، وهناك بدأوا التحقيق معنا، ثم اخذونا الى قرية اجليل شمال يافا وصفونا على شكل طابور وبدأوا في تـدوين اوصاف كل واحد واخذوا مقاس طولنا ثم اعطو كل واحد ، منا نمـرة، وبعـدها انزلونا الى المعتقل في نفس اجليل حيث التقينا هناك الكثير مـن المعتقلـين مـن اهالي البلاد الاخرى، وبعدها ارسلوا قسما منا الى سجن صرفند وعتليـت وتلـة فنسكي القريبة من قرية ساكية حيث بقينا في الاسر لمدة تسعة اشهر.

ولكن التسلل لم ينقطع طيلة ١٤ عاما حتى ١٩٦٢ من قبل الـبعض مثـل الزراعي وهاشم السيد والمرحـوم صـبحي يوسـف الـذي قتلـه اليهـود فـي ارض المدور اثناء التسلل عام ١٩٥٠، وغيـرهم مـن ابنـاء الـبلاد الاخـرى، واصبحت قاعدتهم الرئيسية التي ينطلقون منها قرية قبية الحدودية التي قام اليهـود بالعدوان عليها وقتل الكثير من اهلها مع هدم معظم منازلها فوق رؤوس اصحابها وذلك في محاولة للحد من نشاط المتسللين.

اما مسألة تعامل الجيش الاردني مع المتسللين، فكثيرا ما كانوا يفرضـون عليهم الاقامة الجبرية واثبات الوجود في المخافر، وكثيرا من الاحيان كان الامـر موكولا الى الجندي الذي ينفذ عملية القاء القبض ويخضع تـصرفه حينئـذ الـى مزاجية ذلك الجندي او الضابط، فاحيانا كان يتم تجريد المتسللين من كل ما يحملونه واحيانا يحاكمون ويغرمون او يسجنون، ومرات كان يشعر الجندي مـع معانـاة هؤلاء المتسللين فيتركهم يذهبون الـى حـال سبيلهم. وقد قـامت الحكومـة فـي

الخمسينيات بالهاء بعض المتسللين بأن عينتهم في سـلك البـوليس الـسري فـي الضفة الشرقية لابعادهم عن اعمال التسلل.

ويقول احد المتسللين وهو هاشم السيد بأن حسين خليل يوسف مخلوف قـد حضر الى بيتي في دير عمار سنة ١٩٦٢ وكان معاه اربع بنادق وذخائر واعطاني اياها وقال لي : من الان فصاعدا لا نريد التسلل مـن اجـل احـضار المواشـي والاغراض ولكن يجب عليك وعلى جماعتك ان تقوموا بنسف المرافـق الحيويـة داخل الارض المحتلة مثل مضخات المياه ومحولات الكهرباء والجسور واسـلاك الاتصالات، وهذا يعني ان نوظف التسلل للنضال وليس للمنفة الخاصة. ومن هنـا فقد اخذ عمل التسلل طابعا نضاليا جديدا، واستمر هكذا ليس معنا فقـط بـل مـع الكثيرين عبر القرى الحدودية على طول الحدود التي على اثرها قام اليهود بالهجوم على قرية حوسان وقرية السموع في قضاء الخليل.

بعد سنتين من الهجرة، وما عقبه من ضيق ذات اليد، بدأ اهـالي القريـة يوطنون وجودهم في الشتات على شكلين من الاستقرار الدائم، الاول، كـان فـي القرى والمدن، مثل عمان ورام الله وبير زيت، والثاني في المخيمات، مثـل ديـر عمار والجلزون والمحطة والوحدات، ثم تبع ذلك استقرار البعض في الزرقاء.

وخلال خمسة العقود الماضية، التي اعقبت احتلال فلسطين عـام ١٩٤٨، طرأ تغير جذري على الاقامة الدائمة لمعظم اسر اهل القرية، من حيـث هجـرهم للمخيمات وانتشارهم في اماكن اخرى اكثر قدرة على توفير الخدمات الاساسـية، مثل جبال عمان الشرقية، كالهاشمي والقويـسمة وجبـل التـاج ووادي المـربط والاشرفية واسكان ماركا ومشاريع التطوير الحضري وابو عليا وخريبة الـسوق

وناعور ومرج الحمام وصويلح، وسكن القليل منهم في مناطق عمـــان الغربيـــة، امثال ابناء الحاج عبد الحفيظ طالب الحيت، وابراهيم محمد سلامة، وحسن حكمت واديب صالح عابد، وابناء محمد علي صالح. كذلك الحال في الزرقاء، فقد تملــك معظمهم قطع اراضي، واقاموا عليها ابنية خاصة لهم. هذا في الــضفة الــشرقية، اما في الضفة الغربية، فلا يزال قسم كبيــر مـــنهم يــسكن مخــيم ديــر عمــار والجلزون، اضافة الى نسبة كبيرة يقيمون في بير زيت ورام اللـــه.

وجدير بالذكر ان المساكن الحالية التي يقيم فيها اهل القرية في شتاتهم، هي من املاكهم الخاصة، ومن النادر جدا من يقيم منهم في بيوت مستأجرة.

تدمير القرية :

لم ينشغل اليهود خلال حربهم مع العرب بتدمير القرى والاحياء العربية في المدن وكان همهم الاول هو تهجير اكبر عدد من الفلسطينيين ثم تثبيت اقدامهم على الخطوط التي وصلوا اليها، وذلك بحفر الخنادق واقامة التحصينات اللازمة لضمان عدم زحزحتهم عن هذه الخطوط. بل كان عليهم القيام بعمليــات اخــرى تتطلبهــا الخارطة العسكرية وذلك بالتحضير لعمليات عسكرية اخرى.

وكانت بداية الطرح لهدم قرى متروكة، او محتلة، وفي احياء عربية فــي المدن المختلطة بشكل رسمي ، في ١٩٤٨/٥/٨، حيث دار النقاش في احدى جلسات القيادة الصهيونية في ذلك التاريخ، حول حاجتهم الى قانون خاص بالمدن والقــرى المحتلة، فمن سيكون الحاكم، وما هي سلطته ومصادرها ؟ وماذا يفعلون بالاسرى؟ ايتواجد في تلك المنطقة المحتلة "المحررة" جيش او شــرطة ؟ مــا هــي القــرى الواجب تدميرها ؟ حيث رأي البعض، انه يجب استيطان ١٠٠ قرية، بينمــا رأى اخرون انه يجب تحديد القرى التي لا يسمح بالعودة اليها بأي حال من الاحــوال، واقتراح تأمين قطاع معين على الحدود مثلا ١٠ كم يحظر عودة " العدو" اليه، ومن ثم يجب هدم القرى في هذا القطاع، وهناك قرى يجب الحفاظ عليها وترتيب تنمية مشتركة : يهودية / عربية فيها. (٤)

تزامن هذا الخلاف حول طبيعة القانون الواجب تنفيذه في القــرى، وعــدم حسمه في حينه، اذ تم ادراج تدمير القرى العربية على جدول اعمال الحكومة فيما بعد، في جلسات عقدت بتواريخ ١٦ و ٢٠ و ٢٣ و ٢٧ و ٣٠حزيران ١٩٤٨، مع الوضع العسكري ومع توقيت انهاء الانتداب، واعلان قيام الدولة العربيــة. وقــد

انصبت الجهود الاسرائيلية اولا على القضايا الحساسة، احتلال القرى والمدن اولا ثم محاولة الاستفادة منها لتوطين اليهود الجدد ولو بالمراحل الاولى مما دفع البعض لطرح فكر ترميم بعض هذه القرى لايواء اليهود (٥) . وبعد ان شعرت الدولة الجديدة بالاستقرار واطمأنت الى عجز دول الجوار العربية ، سارعت الى عملية هدم جماعية وسريعة للقرى العربية المهجورة، لتحول والى الابد دون عودة اصحابها اليها ومن ثم دون تنفيذ قرار ١٩٤ الصادر عن الامم المتحدة والمطالب بعودتهم. يقول هاشم السيد بأن عمليات الهدم لبيوت القرية ومعالمها قد بدأت وانتهت عام ١٩٥٢، وكنا نتابعها اثناء عملية التسلل بنظرات حزينة لايقل عن الحزن الذي يخلفه مقتل الام امام عيني وليدها. فكانت الجرافات تهدم والشاحنات تنقل دوامر الحديد التي تدعم السقوف، وحجارة البناء القاسية لتذهب بها بعيدا لجهات غير معلومة ولم تترك القرية الا بعد ان تم تسوية كل قائم عليها مع سطح الارض، في محاولة لقطع خيوط الامل التي تشاغل احلام الاجيال اللاحقة مع ابنائها واصبحت خربة نائمة في جوف ليل التاريخ المظلم كجاراتها من الخرب الاخرى، مثل بيت قوفا، والخربة الشامية، وراس ابو يعقوب، ودسرة، وبعنة. الا ان ذكراهم العطرة ظلت ترتفع في سمائها بين النجوم السرمدية، كالمنطاد المربوط بحبل من الذكريات في جذوع نباتات الصبر واشجار الزيتون الضاربة جذورها في عمق ترابها، المجبول بدم الاجداد، وعتاولة التاريخ، وقادة الفتوحات الاسلامية.

بعد عدوان ١٩٦٧ زار كثيرون من ابناء القرية مسقط رأسهم بدافع فطري لحب وطنهم. قال المرحوم محمد سليمان داود الذي زار القرية في صيف ١٩٩٣ لقد جئت القرية من الجهة الجنوبية وصولا الى باب الكمب فترجلت من السيارة واندفعت بلهفة الى حديقة المدرسة الغربية بين اشجار الكينا والسرو ثم اتجهت الى الساحة الرئيسية التي كانت تتوسط الغرف الصيفية، وقد ذهلت عندما وجدت ان تلك

الغرف قد ازيلت من مكانها، ولم يبقى منها سوى الغرف الشرقية من القسم الثاني للبناء الذي يمتد من الشرق الى الغرب وتستعمل هذه الغرف كمكتبة ادارة لمستنبت زراعي يحتل ارض المدرسة جميعها. وجلت بنظري في ارجاء الحديقة الشرقية، فبدت لي مليئة بالاشتال على شكل صفوف منتظمة. كانت ارض الساحة التي اقف عليها معبدة بالاسفلت في شكل مربع، فامتلا قلبي بالضيم والحسرة، وراح يلاطم جدران صدري الذي عج بالعواطف، وتدفقت من عيني دمعتان لم تغادرهما، وبدأ كل ما حولي من اشياء مقعرا ومحدبا، فدعوت ارادتي ان تمدني بالرعاية، لاوطن نفسي على الواقع الذي وجدت فيه، وفي اللحظة التي كنت استعيد فيها قدرات حواسي ترامي الى اسماعي صوت اجش، صادر عن رجل يخرج من احدى الغرف، ينهرني بالابتعاد عن المكان، فغادرته على الحفاظ على كرامتي، وسهام التحدي تنطلق من عيني نحوه لتحد من غروره. وعبرت بين اشجار الزيتون المهملة نحو الشمال الشرقي باتجاه القرية، وعلى مسافة قصيرة طالعتني شجرة سدر كبيرة تقف على حافة وادي كريكعة، ترخي فروعها فوق المجرى ثم صعدت المقبرة مرورا بارض الحمرية وقرأت الفاتحة على ارواح الاجداد وجلت فيها قليلا. كانت معظم القبور مهدمة متداعية، تتوارى بين الهشيم الشاحب، تغطي جنباتها بعض الطحالب الجافة. ووقفت على ركام السلطان عبد القادر المندثر، ونظرت الى منحدر نحو الجنوب، فوجدت ركب الصبر القريبة واقفة تتحدى نوائب الدهر بأشواكها، فترحمت على ساكني القبور، واتجهت نحو الشرق، عبر مسرب حل محل الشارع الرئيسي المندمل تحت الركام،والذي كان يخترق القرية من الغرب الى الشرق. كانت ارض القرية من حولي متشابهة، فقد طمستها كومات الشيد وبقايا الحجارةالصغيرة المتوارية بين الاعشاب الجافة، وتوقفت عند بقعة منخفضة بين الركام، وتأملت فيه قليلا فعرفت بضوء الذاكرة الخفي انه موقع البلد الذي كان خلف المضافة، بالقرب من دار طالب الحيت،

وتمكنت من تحديد موقعي، والقيت نظرة بعيد نحو الجنوب فبانت لي نوادرة السطح كما هي، محافظة على مسطحها المحاط بأشجار الزيتون. وواصلت مسيري نحو الشرق، لابحث عن مكان بيت والدي ووصلت الى بقعة من الارض توسمت فيها مقصدي، ورحت اتحرز هنا وهناك، وخمنت مكانه من باب المكابرة ، ووقفت على اطلاله بخشوع العابد، وعرفت ان القرى والمدن مثل الاحياء تحيى وتموت بأصحابها. وخطرت على بالي ست النسب، وغادرت المكان نحوها، ولما وجدت نفسي على مرتفع من الارض، درت حولي دورة بطيئة تسمح بالتأمل، استطعت من خلالها تحديد محيط القرية، بامارات ركب الصبر واشجار الزيتون التي تطوقها كالسوار في المعصم، وواصلت سيري، وحددت موقع مغارت ست النسب بامارة شجرة تين تنبت على بابها، تشبه الحاجب الذي يقف على باب السلطان. فدسترت عليها وتزودت من ايمانها، والقيت نظرة من عند بابها الى النوادرة الشامية، فلم استطع التعرف على حدودها، فقد تم ضمها الى البرك، التي كانت متشابكة باشجار الزيتون، وتحولت على يد الغرباء الى كروم من العنب المعلق على عرش، يشرف عليها يهود من اليمن. ولم تزل التلال المحيطة بالقرية مغطاة باشجار الزيتون الكثيفة الهرمة، وكانت معالمها واضحة للعيان. ووقفت وقفة تأمل، فوجدت ان خارطة القرية التي احملها في رأسي اوضح بكثير منها على الارض، ولن يستطيع احد تحديد مكان بيته بالضبط، الا اذا استعان بفتحات ابار المياه المهجورة، التي تتطاير منها الحمائم البرية الزرقاء، او ببعض اشجار السدر الكبيرة الباقية الصامدة صمود ركب الصبر. وقبيل العصر، لفحتني الحسرة، وغادرت اطلال قريتي وكتلات الضيم تملؤ صدري.

وبالرغم من مرور نصف القرن على رحيل اهل القرية عن بيوتهم واراضيهم، الا ان حبهم الفطري الجامح، لمرابع قريتهم، لا يزال يسيطر على

اكبر مساحة من وجدانهم. وان حديثهم اللاارادي، الذي يدور في مجالسهم عند التلاقي في المناسبات، لايخلوا ابدا من ذكرياتهم، ونسيج علاقتهم الحميمة. هذا الحديث، الذي يقبض بشدة على عقول اطفالهم وشبابهم، ويرسم في احلامهم الفسيحة معالم الفردوس المفقود. ولا زال القسم الاكبر منهم يحتفظ حتى اليوم، بقسائم الطابون في خزائنهم، وكأنهم يعيشون على الامل في اغتراب قصير الامد. ورب امل يتحقق، ما دام القلب يعشق.

واحياء لذكرى القرية، فقد اطلقت امانة عمان الكبرى منذ ما يزيد على عشرة اعوام اسم بيت نبالا على احد الشوارع في الشميساني، الذي يبدأ من الزاوية الشرقية الشمالية من ضاحية الحسين، حيث اسمها مكتوب على لافتة معدنية مثبتة على اسوار بعض البيوت هناك. كما ويتفرع من هذا الشارع ممرات ودخلات صغيرة نحو البيوت الجانبية كتب على بدايتها عبارة "ممر بيت نبالا".

اهل القرية اليوم :

يتميز اهل نبالا بقوة الروابط الاجتماعية الحميمة فيما بينهم، التي لا زالت حتى اليوم على مستوى رفع الكفاية، واذا ما توفي واحد من احد حمائل القرية، فان الجميع يهبون لاداء الواجب، وكأنه نداء النفير، هذا الواجب الذي يعتبره الواحد منهم على انه فرض عليه.

ان مرور نصف قرن على تشتيت اهل البلد عن ديارهم، كفيل بتقطيع عرى التواصل فيما بينهم. الا ان الغربة ضاعفة من تلاحم الناس وتعاطفهم. وكان مثلهم اشبه ما يكون بخلية نحل طردت من جرنها والتفت حول غصن شجرة على شكل عنقود، بانتظار تشكيل وبناء خلايا جديدة. وكان الغصن الاول جمعية الزيتون النبالي، التي قام بتأسيسها نخبة واعية من خيرة شباب القرية في ١٩٩٠/٤/١٦، واتخذت مقرا لها في جبل الهاشمي الشمالي في عمان، في بناء مستأجر، وكان المهندس ابراهيم حكمت شقديح اول رأيس لها، وقفز به قفزات نوعية عظيمة خلال سنتين بمساعدة اهل القرية. وقد تمكن بنشاطه من تأسيس فرقة براعم الزيتون للفن الشعبي، التي تعبر عن تراث القرية، كما قامت الجمعية بتأسيس وتفعيل عدة نشاطات اجتماعية وثقافية. وحمل الراية من بعده، السيد احمد عبد النبي الشنطي في شهر تموز ١٩٩٢، والذي سار على خطى سلفه بتفان منقطع النظير على حساب وقت اسرته، وقد استطاع باريحية وطيبته ان يقنع اهل القرية بشراء قطعة ارض تقدر بحوالي ٦٠٠ متر مربع، وبقيمة خمسة عشر الف دينار، في موقع متوسط من شارع اليرموك (وادي الرمم)، في منطقة متوسطة من سكنى معظم اهل البلد. وقد تسابق اهل القرية بالتبرع لاقامة بناء دائم للجمعية على تلك القطعة، وضرب اهل القرية المثل في السخاء. كل حسب طاقته، وقد تبرع

الحاج عبد الحفيظ طالب الحيت وحده لهذا الفرض بتسعة الاف دينار، كما تبرع خمسة وعشرون اخرون بمبلغ خمسمائة دينار عن كل شخص، كما قام الخيرون منهم بتسوية الارض الصخرية المائلة وازالة الطمم، وتقديم الحصمة للمشروع مجانا. ويتألف المشروع المزعزم اقامته من عدة طوابق، مساحة كل طابق ٣٠٢ متر مربع. ويدير شؤون الجمعية في هذا الوقت رئيسها الحالي الاستاذ بهجت اسماعيل سليمان قطيفان، الذي استطاع بجده ان يقيم الطابق الثاني، ويعمل الان على تشطيبه قاعة اجتماعات لاهل البلد.

وقد وصل كرم بعض اهل القرية ذروته عندما تبرع محمد سليمان داود بمبلغ الفي دينار للجمعية امام اهل البلد، وهو قيمة ما قبضه من احدى شركات التأمين عن ولده المرحوم مأمون ١٧ عاما الذي توفي بحادث سيارة، هذا عدا عن عمل الياته وجرافاته وتقديم الحصمة مجانا كباقي اصحاب الكسارات الكرماء من اهل القرية، وقد طلب تخصيص مصلى داخل الجمعية يحمل اسم ولده المأمون.

يبلغ عدد الاعضاء المنتسبين لجمعية الزيتون النبالي حتى الان ١٥٥٠ عضوا، وتمارس في مقرها المؤقت نشاطات عديدة، منها عيادة صحية ودار للزكاة واخرى لكفالة اليتيم، كما توجد فيها اقسام لتدريب الخياطة التريكو والتجميل وتنسيق الزهور والحفر على الزجاج والمرايا، كما قامت بعمل عدة بازارات خيرية عرضت فيها جميع انواع المطرزات والاشغال اليدوية التي تعبر عن التراث الشعبي الوطني بشكل عام والقرية بشكل خاص. كما تقدم للمواطنين اسبوعا يوميا طبيا خيريا مجانا، وتساعد الطلبة في الحصول على منح دراسية واعفاءات جزئية من رسوم الجامعات وكليات المجتمع لبعض الطلبة من المجتمع المحلي، وبذلك اصبحت هذه الجمعية رمزا لوحدة اهل القرية، وامتحانا ناجحا لمدى قوة تماسكهم

وترابطهم وتكيفهم مع اصعب الظروف. كما تمكن اهل القرية المقيمون في مدينة الزرقاء من تأسيس ديوان اهالي بيت نبالا عام ١٩٩٠، ومقره قرب قصر شبيب، اضافة الى عضويتهم في الجمعية، حيث يجمعهم في المناسبات المختلفة.

اما الغصن الثاني فقد كان جمعية بيت نبالا الخيرية في رام الله التي تم تأسيسها عام ١٩٩٦ حيث تم في ذاك العام انتخاب مجلس من ٣٥ عضوا يكون بمثابة الهيئة الموجهة للهيئة الادارية. ويرأس المجلس السيد مصطفى خداش. اما الهيئة الادارية فمكونة من ٩ اشخاص ويرأس هذه الهيئة حاليا السيد عبد الله سلامة. تولي الجمعية اهمية خاصة لشؤون اهالي بيت نبالا المتمركزين بالاساس في محافظة رام الله، وتمارس العديد من النشاطات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي والتعليمي، من حيث الاشراف على النشاطات الثقافية والفنية الخاصة بأهل البلدة، والاهتمام بالتعليم، ورعاية وتكريم الطلبة والمعلمين، وكذلك رعاية شؤون العائلات النبالية المستورة.

وقد تبنت الجمعية مشروعا كبيرا وهو احياء ذكرى مرور خمسين عاما على الرحيل من القرية وذلك ما بين ١١-١٢/٧/١٩٩٨. وقد تم احياء المناسبة في مدينة رام الله بالبدء بمسيرة طافة الشارع الرئيسي للمدينة شارك فيها العشرات من اهل القرية، ثم اقيمت في غرفت تجارة رام الله وعلى مدى يومين العديد من النشاطات الثقافية من دراسات عن الحياة التعليمية والاقتصادية والاجتماعية في القرية والوضع العام للاجئين، كما تم عرض افلام عن القرية وافتتاح معرض تراث خاص بالحياة في بيت نبالا، عرضت فيه مقتنيات اهل القرية الاثرية الفنية من لباس وادوات منزلية وزراعية، وكما عرضت العديد من الوثائق التاريخية.



الهوامش والمصادر



هوامش الفصل الاول

١- Hadawi, sami, village Statistics1945,P.L.O, Research Center P.66 Beirut 1970

٢- الموسعة الفلسطينية – القسم العام، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، عام ١٩٨٤، ص٤٦٦.

٣- النمر، عباس، قرية بيت نبالا، جريدة القدس تاريخ ١٩٩٥/٤/١٩، ص١٢.

٤- Picard, L.Y & Golani U : Israel – Geological Map Nothern Sheet Scale 1:250,000. Survey of Israel – 1992

٥- الموسوعة الفلسطينية – القسم الثاني – الدراسات الخاصة. المجلد الاول عياد، عبد القادر الدراسات الجغرافية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، بيروت ١٩٩٠، ص ص٣٥,٣٣.

٦- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام مرجع سابق ص ص ٥٩٦,٥٩٥.

٧- موسوعة المدن الفلسطينية، الخطيب، حامد. مدينة الرملة. دائرة الثقافة. م.ت.ف، دمشق، ١٩٩٠، ص ٣٣٦.

٨- Statistical Abstact of Israe1, No 19. Centre Bureau of Staistics. Jerusa1em. 1968. P.P. 6-9

٩- هداوي، سامي. مرجع سابق بالانجليزية، ص ١١٤.

١٠- موسوعة المدن الفلسطينية. مرجع سابق، ص ٣٣٨.

١١- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مرجع سابق. الجزء الاول ص ١٤.

هوامش الفصل الثاني

١- النمر، عباس، مرجع سابق.

٢- Howard M. Sachar : The Energence of the Middle East. 1914 -1924. Allen Lane – The Penguinn Press, London, 1969,P. 240.

٣- صبري، بهجت، فلسطينخلال الحرب العالمية الاولـــى ومـــا بعـــدها ١٩١٤-١٩٢٠. جمعية الدرسات العربية، القدس ١٩٨٢، ص. ١٤٨

٤- النمر، عباس، مرجع سابق

٥- الغوري، اميل : ١٥ ايار ١٩٤٨ "دراسة سياسية عملية مركزة عن الاســباب الحقيقية لنكبة فلسطين : دار النشر العربي، بيروت ١٩٥٩، ص. ٧٣.

هوامش الفصل الثالث

١- الحزماوي، محمد ماجد صلاح الدين. ملكية الارض فـــي فلـــسطين ١٩١٨-١٩٤٨ مؤسسة الاسوار – عكا، ١٩٩٨. ص ٢٧.

٢- الحزماوي، مرجع سابق ص ٩

٣- الحزماوي، مرجع سابق ص ٢٧

٤- Wolf – Dieter Hutteroth, Kamal Abdul Fatah. Historical Geography of Palestine, Transjordan and South Syria in the late 16th Century. Erlangre Geographische Arbeiten, Erlangen – 1977 P. 153

٥- هداوي – مرجع سابق ص ٦٦

٦- هداوي – مرجع سابق ص ١١٤

٧- النمر، عباس، مرجع سابق

٨- هداوي – مرجع سابق ص ١١٤

هوامش الفصل الرابع

١- Wolf – Dieter Hutteroth, Kamal Abdul Fatah. OP.Cit. P . 153

٢- Report and General Abstracts of the Cenus of 1922. Palestine. Greek Convent press. Jerusalem 1923. P . 22

٣- Mills, E. Editor Census of Palsetine 1931. Populotion of villages and Towns and Administrave Areas. Jerusalem 1932. P. 18

٤- Hadwi, Sami, Village Statistics 1945. Op. cit. P. 66

٥- النمر، عباس، مرجع سابق

٦- المنجد في الاعلام، دار المشرق. الطبعة السابعة. بيــروت ١٩٧٣ ص ٢٣٢.

٧- احصاء نفوس فلسطين بسنة ١٩٣١. مرجع سابق ص ١٨.

٨- هداوي، سامي، احصائيات القرى، مرجع سابق ص ١٦٤.

٩- الموسوعة الفلسطينية القسم العام. مرجع سابق ص ٤٦٦.

١٠- النمر، عباس، مرجع سابق

هوامش الفصل الخامس

١- موسى سليمان، ايام لا تنسى، الاردن في حرب ١٩٤٨ الطبعة الاولى، تشرين الاول ١٩٨٢ مطابع القوات المسلحة الاردنية، عمان – الاردن. ص ٣٤٩.

٢- المرجع السابق نفسه ص ٣٦٦.

٣- المرجع السابق نفسه ص ٣٦٩.

٤- موريس، بنى، طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئــين، وثيقــة اســرائيلية ترجمة دار الجليل للنشر، عمان سنة ١٩٩٣. ص ٣٠٥،٦٠٥.

٥- المرجع السابق نفسه ص ١٥٦، ١٥٧.



قائمة المصادر والمراجع بالعربية

١- د. الحزماوي، محمد، ملكية الارض في فلسطين ١٩١٨ – ١٩٤٨. مؤسسة الاسوار – عكا ١٩٩٨.

٢- الخالدي، وليد. كي لا ننسى. قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل. مؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت ١٩٩٧.

٣- الدباغ، مصطفى. بلادنا فلسطين. دار الهدى – كفر قرع ١٩٩١.

٤- رافق، عبد الكريم. "فلسطين في عهد العثمانيين". الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، المجلد الثاني. هيئة الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٠.

٥- صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العلمية الاولى وما بعدها ١٩١٤ – ١٩٢٠. جمعية الدراسات العربية، القدس ١٩٨٢.

٦- العارف، عارف. نكبة فلسطين والفردوس المفقود. دار الهدى – كفر قرع.

٧- الغوري، اميل : ١٥ ايار ١٩٤٨ "دراسة سياسية عملية مركزة عن الاسباب الحقيقية لنكبة فلسطين : دار النشر العربي، بيروت ١٩٥٩.

٨- موريس، بني. طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة الاجئين، وثيقة اسرائيلية. دار الجليل للنشر والابحاث الفلسطينية، عمان ١٩٩٣.

٩- مؤسسة الدراسات العربية. حرب فلسطين ١٩٤٧ – ١٩٤٨ : الرواية الاسرائيلية الرسمية. ترجمة احمد خليفة. شركة الخدمات النشرية المستقلة. قبرص – ١٩٨٤.

١٠- الموسوعة الفلسطينية – القسم العام، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، عام ١٩٨٤.

١١- موسوعة المدن الفلسطينية، الخطيب، حامد، مدينة الرملة. دائرة الثقافة. م.ت.ف، دمشق، ١٩٩٠.

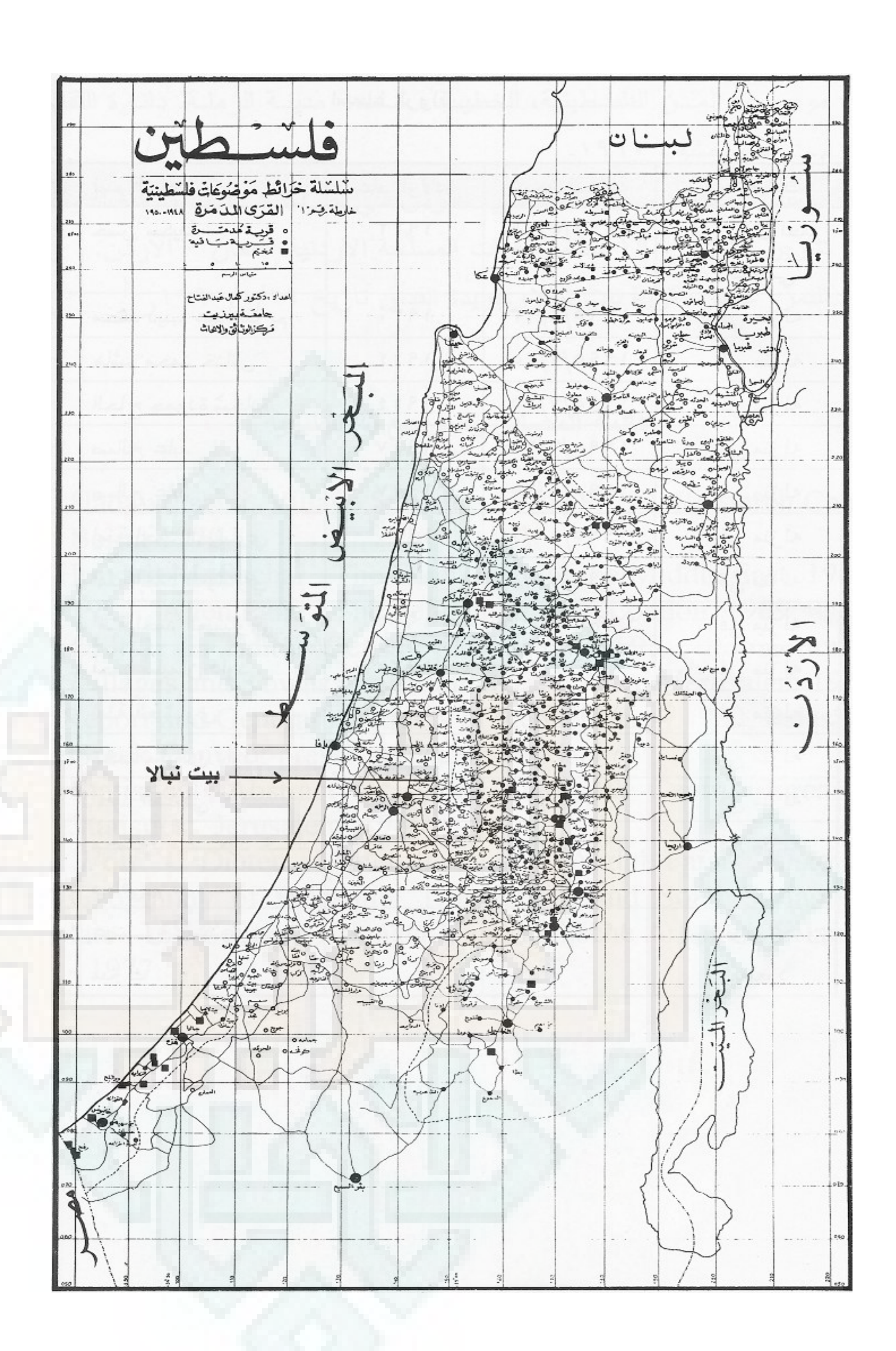
١٢- موسى، سليمان، ايام لا تنسى، الاردن في حرب ١٩٤٨ الطبعـة الاولـى، تشرين الاول ١٩٨٢ مطابع القوات المسلحة الاردنية، عمان – الاردن.
١٣- النمر، عباس، قرية بيت نبالا، جريدة القدس تاريخ ١٩٩٥/٤/١٩.

قائمة المصادر و المراجع بالانجليزية

1- Hadawi, sami, village Statistcs 1954, P.L.O, Research Center Beirut 1970
2- Howard M. Sachar : The Emergence of the Middle East. 1914-1924. Allen Lane – The Penguinn Press, London, 1969.
3- Mills, E. Editor Census of Palsetine 1931. Populotion of Villages and Towns band Adminisrave Areas. Jerusalem 1932.
4- Report and General Abstracts of the Cfnsus of 1922. Palestine. Greek Convent Press. Jerusalem 1923.
5- Statistical Abstract of Israel, No 19. Centre Bureau of Statistics. Jerusalem. 1968.
6- Wolf – Dieter Hutteroth, Kamal Abdul Fatah. Historical Geography of Palestine, Transjordan and South Syria in the late 16 Century. Erlanger Geographische Arbeiten, Erlangen - 1977

اسماء الرواة

الرقم	اسم الشاهد	عام الولادة	تاريخ المقابلة	ملاحظات
١-	حسين سكيبة	١٩٢٢	١٩٩٥/٥/١٥	في منزل احمد الشنطي
٢-	محمد ذيب عبد الكريم	١٩٣٠	١٩٩٥/٦/١٣	في منزله
٣-	هاشم محمد خداش	١٩٢٤	١٩٩٥/٦/٢٥	في منزله
٤-	الحاج محمود شحادة	١٩١٤	١٩٩٥/٧/١٥	في منزله
٥-	صالح عابد	١٩١٧	١٩٩٥/٧/٢٤	في منزله
٦-	صالح عابد	١٩١٧	١٩٩٥/٨/٢٥	في منزله
٧-	امنة احمد العيشاوي	١٩٢٠	١٩٩٥/١٠/٢	في منزله
٨-	امنة احمد العيشاوي	١٩٢٠	١٩٩٥/١١/٥	في منزله
٩-	امنة احمد العيشاوي	١٩٢٠	١٩٩٥/١١/٢٥	في منزله
١٠-	احمد سليمان داود	١٩٢٢	١٩٩٥/١/٥	في منزله
١١-	امنة العيشاوي	١٩٢٠	١٩٩٥/٣/٥	في منزله
١٢-	محمد سليمان داود	١٩٣٣	١٩٩٥/٣/٨	في منزله
١٣-	احمد الشنطي	١٩٤٥	١٩٩٥/٣/١٢	في منزله
١٤-	محمود مسعود خالد صافي	١٩٢٤	١٩٩٥/٦/١٢	في منزله
١٥-	عيسى عبد الرحيم مبارك	١٩٣١	١٩٩٥/٦/١٢	في منزل محمود مسعود



فلسطين
سلسلة خرائط موضوعات فلسطينية
خارطة رقم ١
القرى المدمرة ١٩٤٨-١٩٥٠
قرية مدمرة
قرية باقية
مخيم
مقياس الرسم
إعداد: دكتور كمال عبد الفتاح
جامعة بيرزيت
مركز الوثائق والأبحاث
لبنان
سوريا
الأردن
مصر
البحر الأبيض المتوسط
بحيرة طبريا
البحر الميت
عكا
حيفا
يافا
بيت نبالا
بئر السبع
أريحا

صور ووثائق



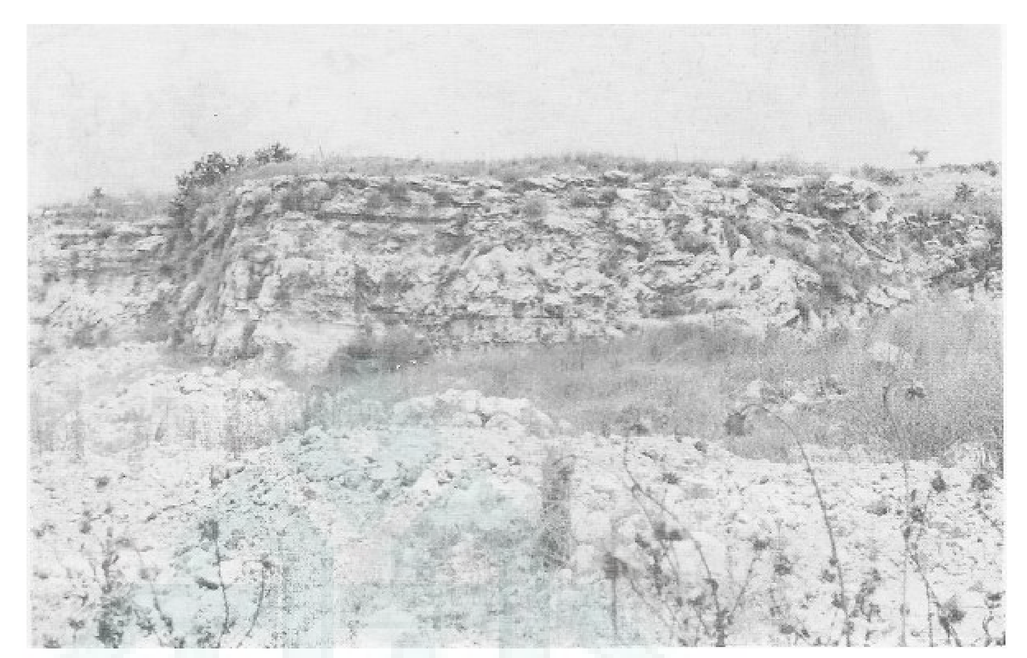




صورة الغلاف مدرسة بيت نبالا عام ١٩٤٦م



صورة الجناح الشرقي المتبقي من مدرسة بيت نبالا.



صورة مكان المحاجر والكسارات في بيت نبالا



ما تبقى من أشجار التين على أراضي بيت نبالا.



مغارة سلام في اراضي بيت نبالا



صورة بئر ماء على أراضي القرية.



الدهليز أو البد وهو من آثار بيت نبالا.



منظر عام لوادي كريكعة في شرقي القرية.



صورة مخاتير القرية الثلاث عام ١٩٣٣ وهــم بالترتيــب: محمــد عساف صافي، الحاج محمود حسين زيد، حسين خليل يوسف.



صورة فاطمة محمود وهي في الزي الشعبي النبالي.



صورة ما تبقى من نبات الصبار على أراضي القرية.



تلة مقابلة لمغارة سلام وتظهر فيها بعض مزروعات القرية مثل الزيتون والصبر والتين.

L. 19. 447 No. 49606

Game Preservation Ordinance, 1924.

قانون وقاية الصيد لسنة ١٩٢٤

الرسم جنيه فلسطيني واحد Fee £P. 1 מס לי"פ 1

פקודת ההגנה על הציד 1924

Serial No. .... Year 1948

LICENCE TO HUNT GAME IN PALESTINE.

(Name) Hassan Yousif residing at Beit Nabala is hereby licensed to hunt Game, including not more than two Gazelles, subject to the provisions of the Game Preservation Ordinance, 1924, and any regulations made thereunder.

This licence expires on the 31st day of December, 19 48

Provision of this licence does not exempt the holder from obtaining a firearm licence.

Given the 21 st day of January 1948

(Signed) .... District Commissioner.

(1) Guarantor's name ....

Address ....

(2) Guarantor's name ....

Address ....

Attention is drawn to the provisions of the Game Preservation Ordinance, 1924, extracts of which are set forth on the back hereof.

الرقم المتسلسل .... سنة ١٩

رخصة بصيد الطيور والحيوانات في فلسطين

قد رخص الـ(الاسم) ....

المقيم في ....

ان يصيد صيداً على ان لا يزيد ما يصيده من الغزلان على غزالين اثنين مع مراعاة احكام قانون وقاية الصيد لسنة ١٩٢٤ واي نظام صادر بموجبه.

تنتهي هذه الرخصة في اليوم الحادي والثلاثين من شهر كانون الاول سنة ١٩

ان حيازة هذه الرخصة لا تعفي حاملها من الحصول على رخصة بسلاح ناري.

تحريراً في اليوم .... من شهر ١٩

التوقيع .... حاكم اللواء

(٢) اسم الكفيل .... العنوان ....

يلفت النظر الى احكام قانون وقاية الصيد لسنة ١٩٢٤ المشروح خلاصة منه على ظهر هذه الرخصة.

המספר הסדורי .... שנת 19

רשיון לצוד ציד בפלשתינה (א"י).

השם ....

ב .... מורשה בזה לצוד בהמות ועופות ציד, ובכללם לא יותר משני צביים, בהתאם להוראות פקודת ההגנה על הציד 1924, ולתקנות שהותקנו על פיה.

מועד הרשיון הזה יתם ביום ה־31 בדצמבר .... 19.

רשיון זה אינו פוטר את בעליו מלקבל רשיון מיוחד להחזקת נשק.

ניתן ביום .... לחדש .... שנת .... 19.

(חתום) .... נציב המחוז

(1) שם הערב ....

הכתבת ....

(2) שם הערב ....

הכתבת ....

מסבים בזה את תשומת לב המעונינים להוראות פקודת ההגנה על הציד 1924 שקטעים ממנה הועתקו בעבר לדף התעודה הזאת.

وثيقة رقم ١ رخصة لصيد الطيوروالحيوانات بفلسطين، صادرة عام ١٩٢٤م للسيد "حسين يوسف"



وثيقة رقم ٢ وصل قبض صادر عن مصلحة تحصيل الضرائب العثمانية عام ١٣١٦ه للسيد موسى سليمان

Beit Nabala V. Local Council

مجلس بيت نبالا القروى

رقم ٥٦

Beit Nabala ...... بيت نبالا في ١٨/١١/٤٧

وصل من ...

مبلغ ...

وذلك ...

مجلس ... بيت نبالا

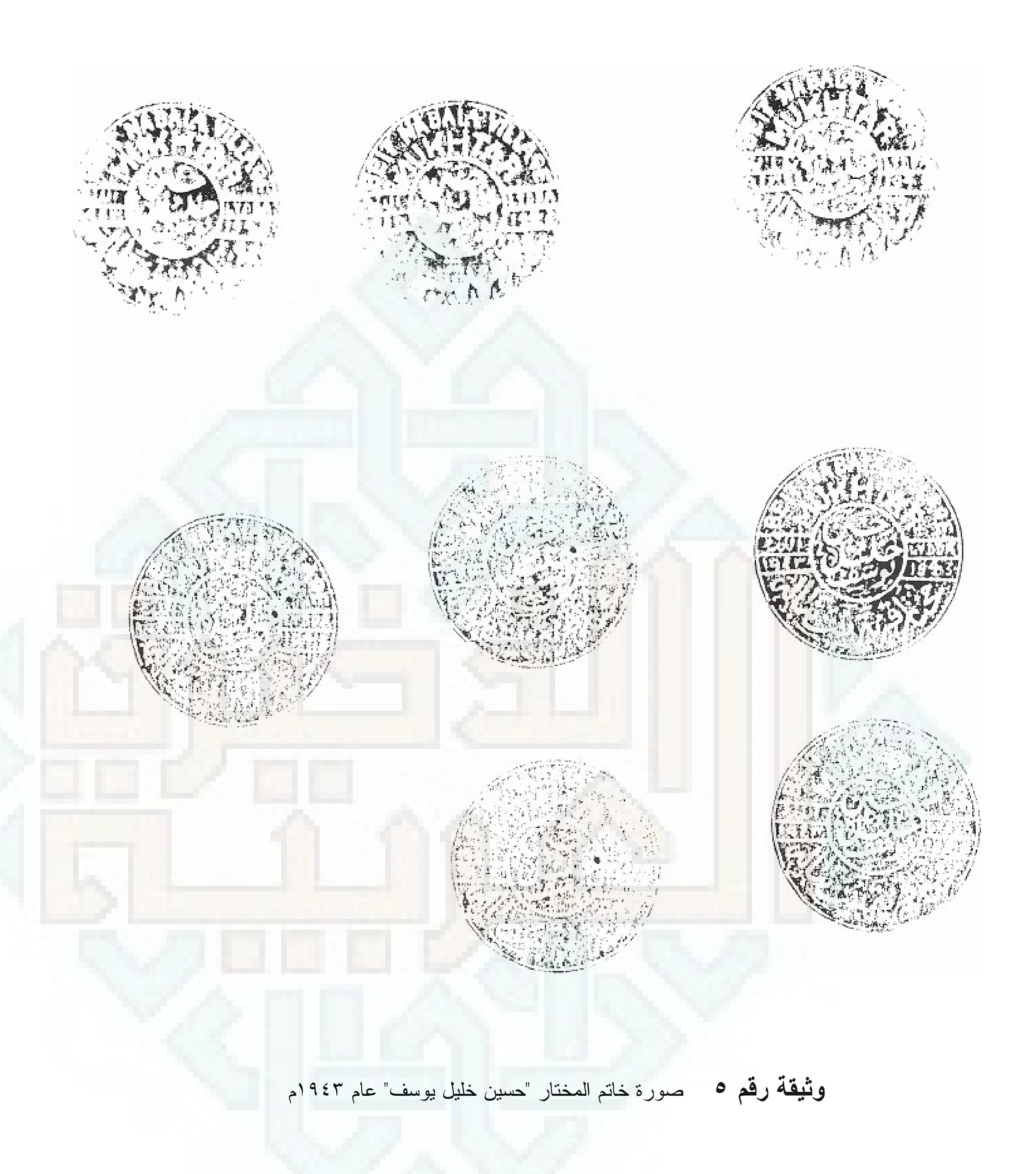
The ... Council Beit Nabala

محصل الاموال

وثيقة رقم ٣ وصل قبض صادر عن مجلس بيت نبالا القروى



وثيقة رقم ٤ صورة خاتم مختار قرية بيت نبالا "عطا موسى سليمان



وثيقة رقم ٥ صورة خاتم المختار "حسين خليل يوسف" عام ١٩٤٣م

ديوان قائمقام اللد
٤٦/٧/٢

رقم ل ٢٥/٢٩

حضرة حسين خليل يوسف المحترم – بيت نبالا

لقد كلفني سعادة مساعد الحاكم ان اخبركم بانه قد وافق على تعيين الاشخاص الآتي ذكرهم

اعضاء في المجلس القروي لقرية بيت نبالا ابتداءً من ٣١ تموز ١٩٤٦ :-

١	مصطفى طه صالح – رئيس	٥	عطا موسى
٢	الحاج محمود حسين نائب رئيس	٦	عبد العزيز صالح
٣	حسين خليل يوسف	٧	حسن خليل محمود
٤	احمد محمود عبد	٨	عبد الهادي حسين عبد

١- ان الحكومة قد راعت في تعيينها رغبة الاهالي اذ ان الاشخاص الذين نجحوا بالأكثرية بالاصوات في الانتخابات هم الذين وقع عليهم اختيار الحكومة. ان الخمسة اشخاص الاول هم اعضاء بحكم مناصبهم كمخاتير (الخامس وكيل مختار) اما الثلاثة الباقون فقد فازوا بأكثرية الاصوات لكل واحد منهم يمثل حامولته او بالتزكية فيكون والحالة هذه لكل حامولة ممثلين اثنين.

٢- ان المسؤوليات الملقاة على عاتقكم لا يستهان بها. عليكم معالجة الامور بكل حكمة وروية. آمل ان تكونوا عند حسن ظننا وتنهضوا بالقرية حتى اذا ما رفعتم من مستواها تكونوا قد اديتم خدمة جلى لقريتكم.

٣- وباختتام احثكم على هذه الثقة التي نلتموها من الحكومة والاهالي وآمل ان تثبتوا انكم نلتموها عن جدارة واستحقاق

واقبلوا الاحترام

المخلص
قائمقام قضاء اللد

GOVERNMENT OF PALESTINE

IN REPLY PLEASE QUOTE
No. 9/1.

PUBLIC WORKS DEPARTMENT,
JERUSALEM.

August 24, 1941.

Mr. Hssein Khalil.

Defence Regulations, 1939.

By virtue of the powers vested in me by Regulation 46 of the Defence Regulations, 1939, I hereby order that you are prohibited from moving your stone crusher or any part thereof, from its present site at Beit Nabala, without a permit in writing from me so to do.

[signature]

DIRECTOR OF PUBLIC WORKS
COMPETENT AUTHORITY

D4.

F. 49.

GOVERNMENT OF PALESTINE

حكومة فلسطين

ממשלת פלשתינה (א״י)

No. C 538411

REVENUE TAX RECEIPT

وصل بالضريبة المتحصلة

קבלה על מסים

District .... لواء מחוז

Sub-District ..... الرملة ..... قضاء הנפה

Village ..... [illegible] ..... قرية כפר

Instalment .... قسط השעור

Register No. .... رقم السجل מספר הספר

Folio No. ..... ١٨١ ..... رقم الصفحة מספר הדף

Kind of Taxes نوع الضرائب מין המסים	Arrears البقايا פיגורי תשלומים		Curr. Year السنة الحالية התשלומים הנוכחים		Total المجموع סך הכל	
	L.P. ج.ف. פ״פ(א״י)	Mils مل מיל	L.P. ج.ف. פ״פ(א״י)	Mils مل מיל	L.P. ج.ف. פ״פ(א״י)	Mils مل מיל
House and Land Tax ضريبة المنازل والاراضي מס הבתים והקרקעות						
Rural Property Tax ضريبة الاملاك في القرى מס הרכוש החקלאי	١	٨٧٥			١	٨٧٥
Urban Property Tax ضريبة الاملاك في المدن מס הרכוש העירוני						
Animal Tax ضريبة الحيوانات מס הבהמות						
Tithes اعشار מעשרות						
TOTAL المجموع סך הכל	١	٨٧٥			١	٨٧٥

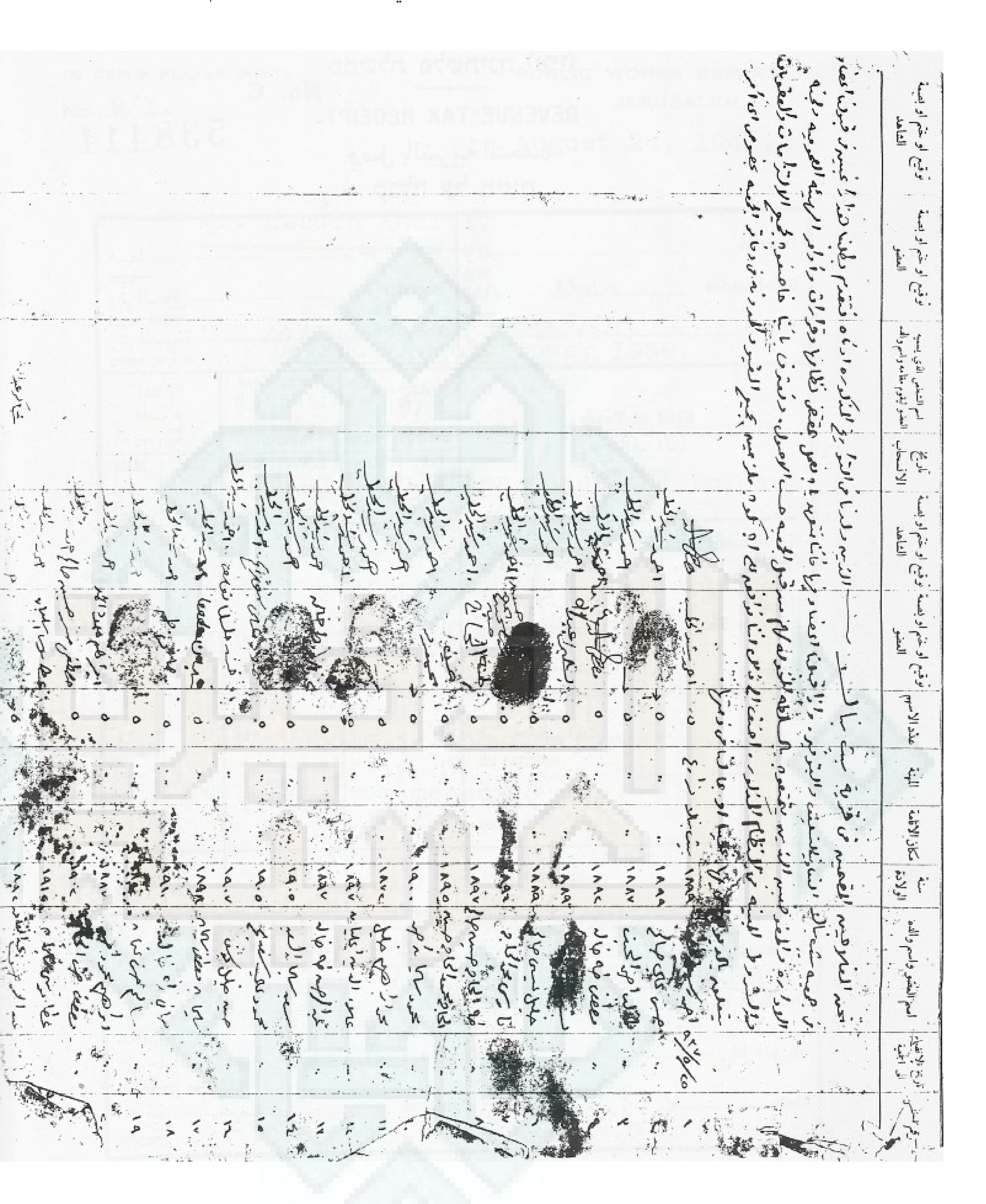
Received from ..... [illegible] ..... وصل من נתקבל מאת

the sum of ..... [illegible] ..... مبلغ הסכום

on a/c of .... Sub-District ..... [illegible] ..... على حساب قضاء על חשבון נפת

Date ..... [illegible] ..... التاريخ התאריך Signature ..... [illegible] ..... التوقيع החתמיה

من سجل الجمعية التعاونية لقرية بيت نبالا، الأصل محفوظ في جمعية بيت نبالا–رام الــه

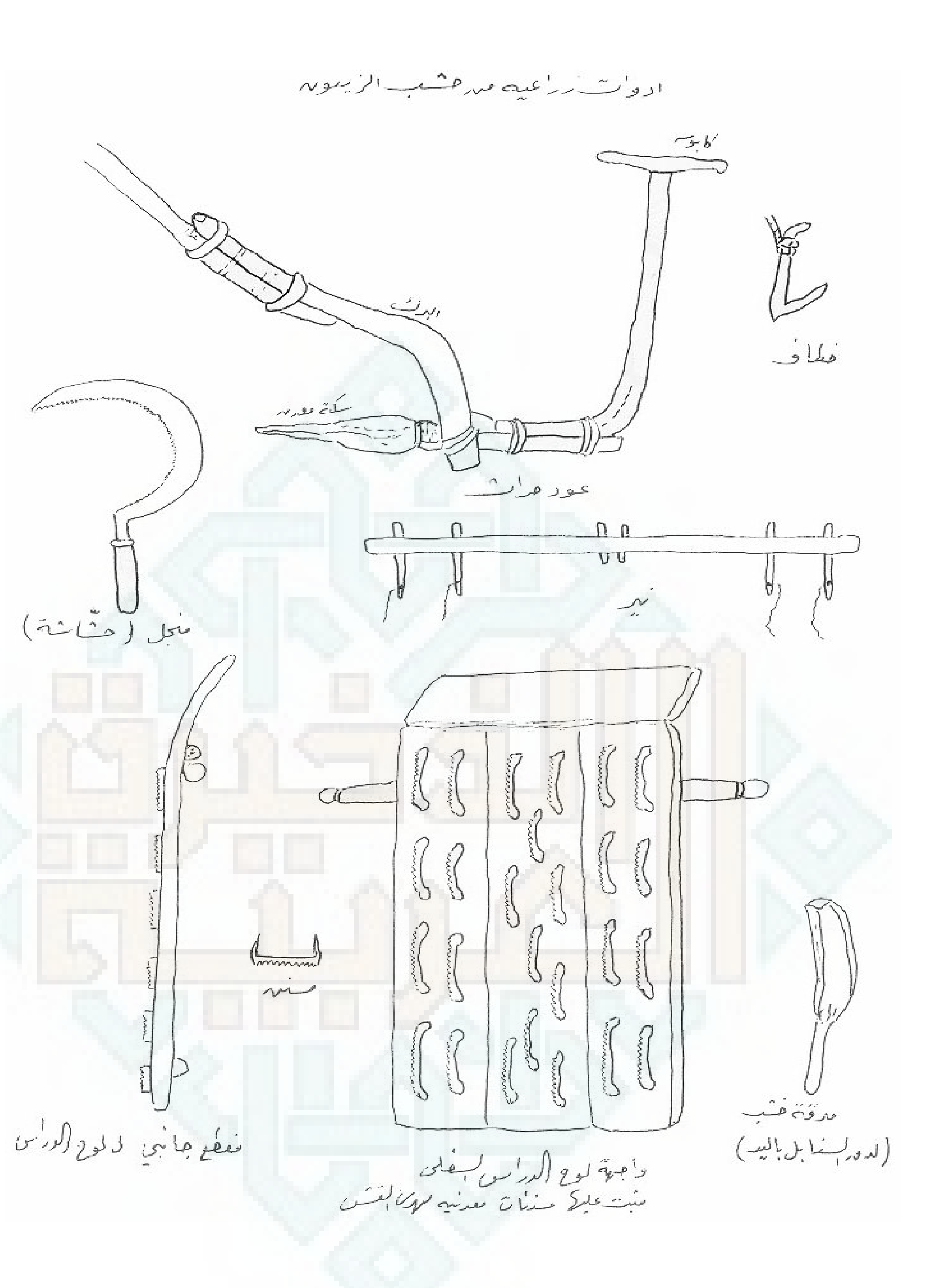




رقم العضو	تاريخ الانضمام الى الجمعية	اسم العضو واسم والده	سنة الولادة	مكان الاقامة	المهنة	عدد الاسهم	توقيع او ختم او بصمة العضو	توقيع او ختم او بصمة الشاهد	تاريخ الانسحاب	اسم الشخص الذي يسميه العضو ليقوم مقامه واسم والده	توقيع او ختم او بصمة العضو	توقيع او ختم او بصمة الشاهد
٢٤	٥/٢/٩٣٧	عرابي محمد ابراهيم	١٩١٩	بيت نبالا	زارع	٥	عرابي محمد ابراهيم	احمد سعيد الخطيب				
٢٥	״	احمد علي محمد الحاج	١٩٠٢	״	״	٥		احمد سعيد الخطيب				
٢٦	١/٦/٣٩	عبد الله احمد عبد النبي	١٨٩٦	״	״	٥	عبد الله احمد عبد النبي	سليمان مصطفى				
٢٧	״	ابراهيم حسين صباح	١٨٩٦	״	״	٥	ابراهيم حسين صباح	سليمان مصطفى				
٢٨	״	مصطفى محمد عبد النبي	١٩١٢	״	״	٥	مصطفى محمد عبد النبي	سليمان مصطفى				
٢٩	״	عبد المجيد طه	١٨٩٧	״	״	٥	عبد المجيد طه	سليمان مصطفى				
٣٠	״	عبد القادر خليل ابراهيم	١٩٠٢	״	״	٥	عبد القادر خليل ابراهيم	سليمان مصطفى				
٣١	״	طاهر محمد مصطفى شقير	١٩١٢	״	״	٥	طاهر محمد مصطفى شقير	سليمان مصطفى				
٣٢	״	يوسف احمد ابراهيم	١٩٠٢	״	״	٥	يوسف احمد ابراهيم	سليمان مصطفى				
٣٣	״	احمد خليل خضر	١٩٠٢	״	״	٥	احمد خليل خضر	سليمان مصطفى				
٣٤	״	شريف فهد عبد القادر	١٩٠٢	״	״	٥	شريف فهد عبد القادر	سليمان مصطفى				
٣٥	״	احمد فهد صادق	١٩٠٢	״	״	٥	[illegible]	سليمان مصطفى				
٣٦	٤/٧/٣٩	محمد احمد عبد النبي		״	״	٥	محمد احمد عبد النبي	سليمان مصطفى				
٣٧	״	محمد احمد سليمان		״	״	٥	محمد احمد سليمان	سليمان مصطفى				
٣٨	״	عيسى احمد سليمان		״	״	٥	عيسى احمد سليمان	سليمان مصطفى				
٣٩	״	حسن خليل محمد		״	״	٥	حسن خليل محمد	سليمان مصطفى				
٤٠	״	عبد العزيز صالح		״	״	٥	عبد العزيز صالح	سليمان مصطفى				
٤١	״	ابراهيم عبد العزيز		״	״	٥	ابراهيم عبد العزيز	سليمان مصطفى				
٤٢	״	احمد محمود عبد النبي		״	״	٥	احمد محمود عبد النبي	سليمان مصطفى				
٤٣	״	حمدان علي محمد		״	״	٥	حمدان علي محمد	سليمان مصطفى				
٤٤	״	جمعة محمد عبد النبي		״	״	٥	جمعة محمد عبد النبي	سليمان مصطفى				
٤٥	״	عبد محمد سلامة	٧	״	״	٥	٧ ״ ״	״ ״ ״				
٤٦	״	عبد الرحيم عيسى محمد		״	״	٥	عبد الرحيم عيسى محمد	سليمان مصطفى				
٤٧	״	خليل ابراهيم صالح		״	״	٥	خليل ابراهيم صالح	سليمان مصطفى				
٤٨	״	زهير حسين محمد بكر		״	״	٥	زهير حسين محمد بكر	سليمان مصطفى				
٤٩	״	احمد خضر ابو ياشية		״	״	٥	احمد خضر ابو ياشية	سليمان مصطفى				
٥٠	״	احمد علي صالح				٥	احمد علي صالح	سليمان مصطفى				
						٥	[illegible]					

مصنوعات يدوية تقليدية من بيت نبالا




ادوات زراعية من خشب الزيتون
قطاف
سكة حديد
عود حراث
منجل (حشاشة)
نير
مسننة
مقطع جانبي للوح الدراس
واجهة لوح الدراس السفلى
مثبت عليه مسننات معدنية لهرس القش
مدقة خشب
(لدق السنابل باليد)


الشاعوب لازالة الكتل
الطينيه العالقه بالسكة الحديديه
اثناء الحراثة
الدقران
المذراه


أدوات من الخشب
مقحار الطابون
مغرفة
مكيال الحبوب
هنابة
باطية
رحل يوضع على ظهر الجمل لتحميل القش من الحقول



أدوات فخارية
شربة
قدرة
قصرية المفتول
طباخة
طوس
بوشه
بكلولة
صحن فخار
برنيّة عسل
مصنوعة من الخزف المطلي

ادوات منسوجة من اغصان الاشجار

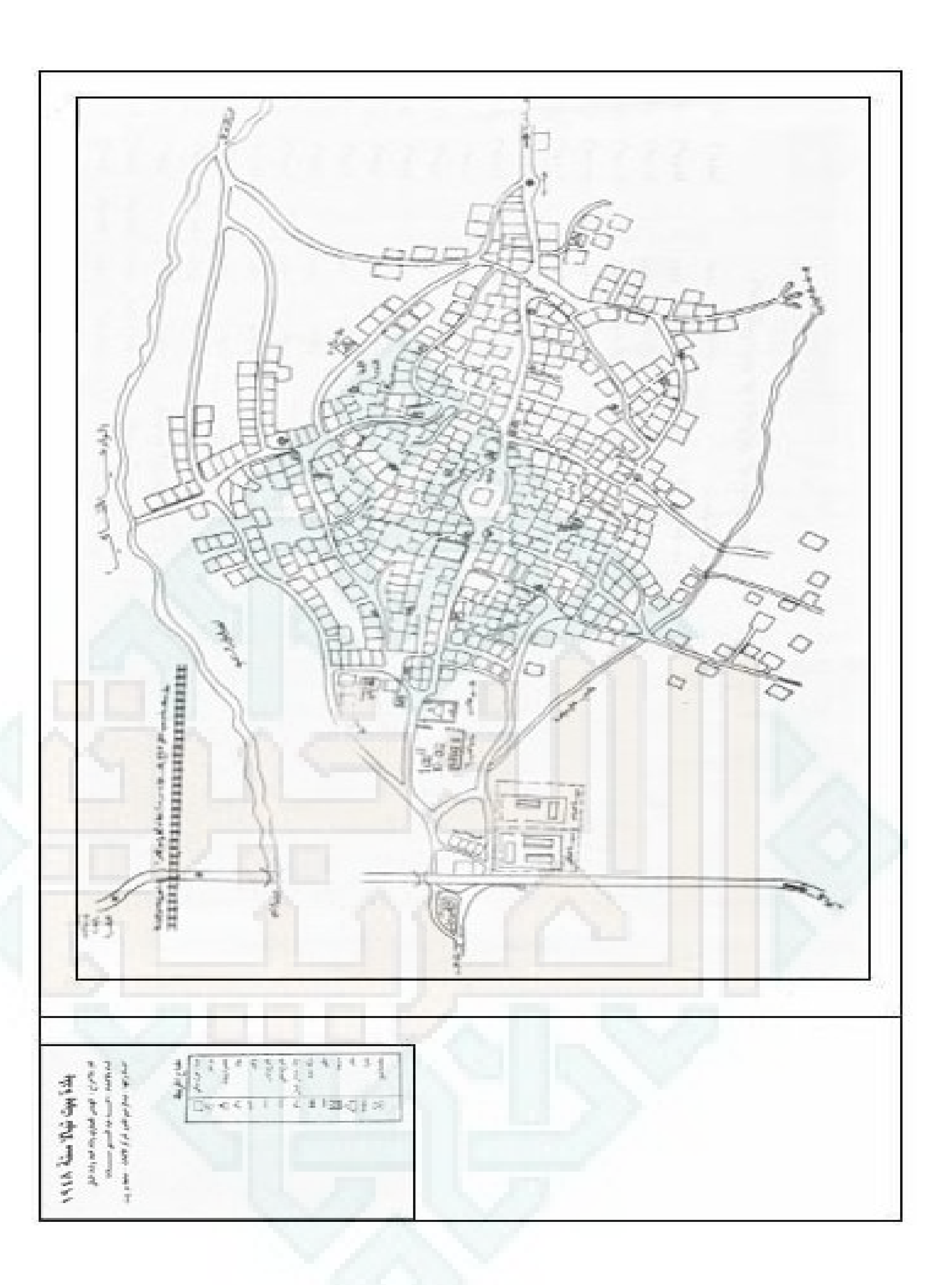
قرطلة

سل

ملقاط

قفص دجاج


ادوات فخارية
الكرّاز
الابريق
الكعلوز
زير
عسلية
جرة
القحف
الهشّة



* صدر من سلسلة أبحاث " القرى الفلسطينية المدمرة" :-

سلسلة " القرى الفلسطينية المدمرة " تهدف الى التعريف بالقرى الفلسطينية التي دمرت عام ١٩٤٨ وتقديم صور اثروبولوجية تراثية للمجتمع الفلسطيني القروي من خلال منهجية التاريخ الشفوي.

١- د. شريف كنعانة وبسام الكعبي	:عين حوض	١٩٨٦	طبعة ثانية	(٥٨ص)	١٠ش
٢- د. شريف كنعانة ورشاد المدني	:مجلد عسقلان*	١٩٨٦	طبعة ثانية	(٢٢٥ص)	١٠ش
٣- د. شريف كنعانة ولبنى عبد الهادي	:سلمه*	١٩٨٦		(٨٣ص)	١٠ش
٤- د. شريف كنعانة ونهاد زيتاوي	: دير ياسين	١٩٨٧	طبعة ثانية	(٦٧ص)	١٠ش
٥- د. شريف كنعانة ومحمد اشتيه	:عنابة	١٩٨٧		(٥٨ص)	١٠ش
٦- د. شريف كنعانة ورشاد المدني	:الفالوجة	١٩٨٧		(١١٨ص)	١٠ش
٧- د. شريف كنعانة وعمر محاميد	:اللجون*	١٩٩٠		(٧٥ص)	١٠ش
٨- د. شريف كنعانة ورشاد المدني	: الكوفة	١٩٩٠		(٦٣ص)	١٠ش
٩- د. شريف كنعانة ولبنى عبد الهادي	:أبو كشك	١٩٩٠		(٦١ص)	١٠ش
١٠- د. شريف كنعانة وبسام الكعبي	:مسكة	١٩٩١		(٨٥ص)	١٠ش
١١- د. شريف كنعانة وبسام الكعبي	:كفر سابة	١٩٩١		(٧٥ص)	١٠ش
١٢- د. شريف كنعانة ولبنى عبد الهادي	:لفتا	١٩٩١		(٥٢ص)	١٠ش
١٣- د. شريف كنعانة ومحمد اشتيه	:كفر برعم	١٩٩١		(٥٥ص)	١٠ش
١٤- عبد الرحيم المدور	:قاقون	١٩٩٤		(١٦٠ص)	٢٠ش
١٥- حيد يعقوب ابو غوش	:عمواس	١٩٩٤		(٢٥٠ص)	٢٠ش
١٦- ابراهيم جميل مرعي	:زرعين	١٩٩٤		(٢٥٠ص)	٢٠ش
١٧- ابراهيم يحيى الشهابي	:لوبيا	١٩٩٤		(١١٠ص)	١٥ش
١٨- نصر يعقوب وفاهوم الشلبي	:ابو شوشة	١٩٩٥		(٣٠٠ص)	٢٠ش
١٩- عبد الرحيم بدر الدين المدور	:طيرة حيفا	١٩٩٥		(٣٠٠ص)	٢٠ش
٢٠- عبد العزيز عرار	**:بيت جبرين**	**١٩٩٥**		**(٣٢٥ص)**	**٢٠ش**
٢١- احمد العداربة	**:الدوايمه**	**١٩٩٧**		**(١٧٣ص)**	**٢٠ش**

يجري العمل حاليا على انجاز قريتي (كفر عانة، والشيخ مونس).